



منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

النحو والأساليب اللغوية المعاصرة

«المقرر على طلاب السنة الرابعة»

تأليف

الدكتور

محسن العبيد

أستاذ مساعد - في جامعة دمشق

الدكتور

شوقي المعري

أستاذ - في جامعة دمشق

الدكتور

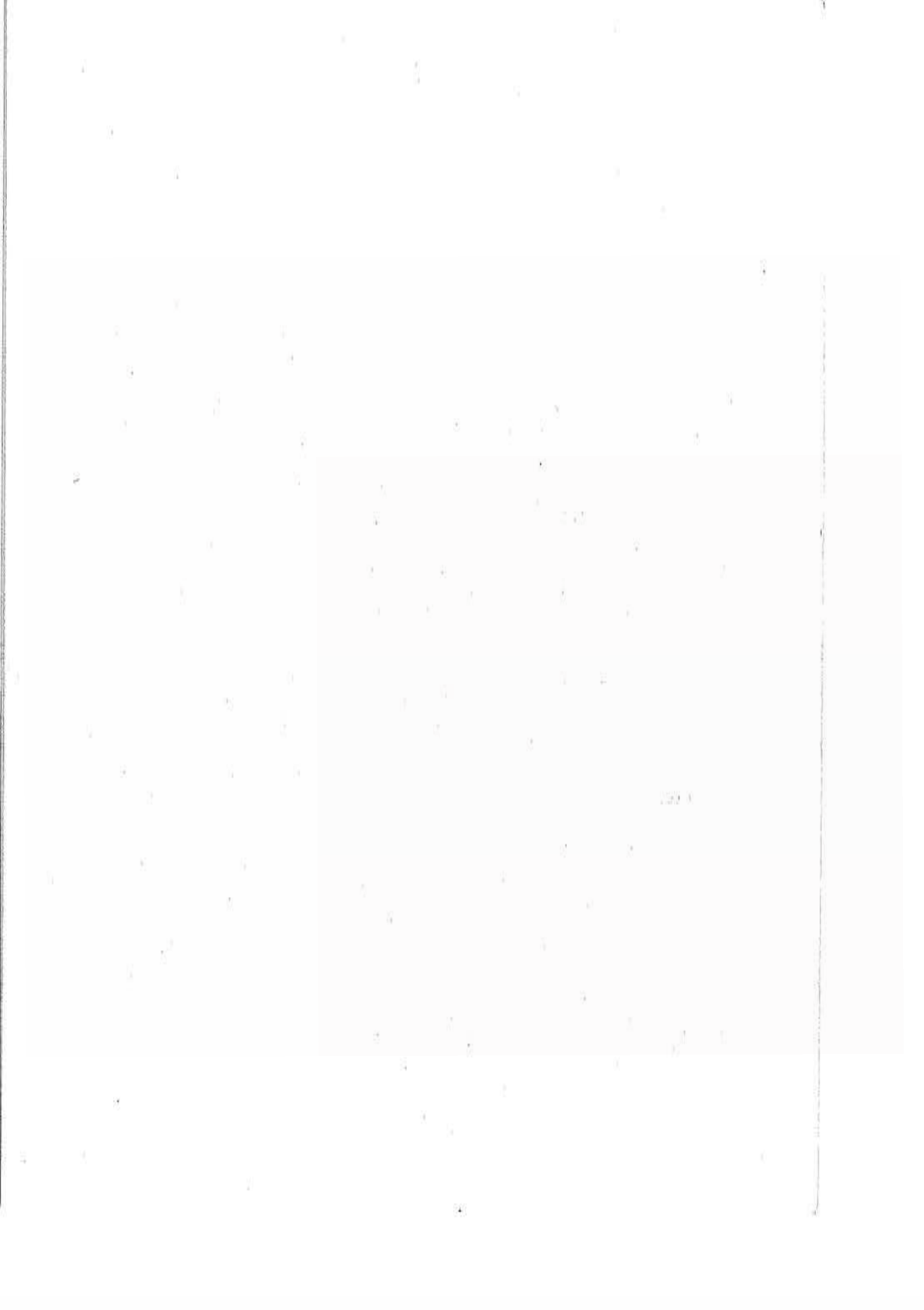
منير نعيم

أستاذ - في جامعة دمشق

١٤٣١ - ١٤٣٢ هـ

٢٠١٠ - ٢٠١١ م

جامعة دمشق



فهرس المحتويات

٧	مقدمة
٩	(قسم الأول) : محاولات تيسير وتجديد النحو العربي «دراسة نقدية»
١١	مقدمة
١٣	مشكلات النحو العربي
٢٠	١- محاولة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)
٣٢	٢- محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى
٤٥	٣- محاولة مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والأربعين ١٩٧٩م
٥٠	٤- النحو الوظيفي للأستاذ عبد العليم إبراهيم
٥٧	٥- النحو المصفي للدكتور محمد عيد
٦٧	٦- تجديد النحو العربي للدكتور عفيف دمشقية — ط عام ١٩٧٦
٧٢	٧- النحو المعقول للدكتور محمد كامل حسين
٩٠	٨- تجديد النحو العربي (د. شوقي ضيف)
١٠٥	٩- تيسيرات لغوية (د. شوقي ضيف)
١١٣	١٠- اللغة العربية — معناها ومبناها للدكتور تمام حسن
١٣٢	١١- تقويم محاولات تيسير النحو العربي
١٤٣	● فهرس المصادر والمراجع

١٤٤	● الدوسريات
١٤٥	● كان وأخواتها
١٦٥	(القسم الثاني) : الألفاظ والأساليب اللغوية المعاصرة
٢٥٤	ملحق رقم (١) : الجديد في دلالة التعبير
٢٥٦	ملحق رقم (٢) : تعابير أوروبية في العربية الحديثة
٢٧٩	(القسم الثالث) : التطبيق النحوي
٣٣٣	نصوص بلا تعليق
٣٣٧	نصوص تثرية

مُتَكَلِّمًا . . .

يحاول هذا الكتاب الوقوف على عدة جوانب من اللغة ، وهي من الأهمية بمكان ، لأن اللغة المعاصرة التي تُدَمَّ من المختصين ، ويُرحَّب بها من الكثيرين ليست لغة يصيبها الظلم في كل مرة استعملت فيها ، وفي كل جملة ، بل إن الأسلوب المعاصر يكون صحيحاً إذا كان قائماً على القاعدة النحوية الصحيحة ، وإلا فهو أسلوب غير صحيح ، وغير سليم ، وهذا يعني أن الربط بين النحو والأسلوب واقع لا محالة ، ولا يجوز أن ينفصل الواحد عن الآخر .

من هنا عمدنا إلى توزيع أبواب الكتاب على ثلاثة أقسام ، تناول القسم الأول «محاولات تيسير وتحديد النحو العربي» ودرسها دراسة نقدية ، ووقف عند أهم المحاولات التي لم تحقق ما أرادت بل ما يجب أن تحقِّقه ، ففشلت في معظم ما جاءت به ، والهدف من هذا أن يطلع الطالب على أبرز هذه المحاولات ويستطيع في هذا المستوى من العلم الذي وصل إليه أن يحكم عليها ، ويكون له رأي ، وألا ينساق وراء محاولات يقرأ عنها هنا وهناك ويسمع بها ، ولا يعرف ما قيمتها ، ولا شأنها .

أما القسم الثاني فكان «للألفاظ والأساليب اللغوية المعاصرة» ليطلع الطالب على لغتنا التي استطاعت ولا تزال أن تعبر عن الحضارة العربية والإسلامية منذ أقدم العصور ، وهي قادرة على هذا في هذا العصر ، ولكن لا بدّ من تطور اللغة إذا أردنا لها الحياة والاستمرارية ، ويكون الاستمرار وتكون الحياة من خلال الأسلوب الصحيح الذي يقوم على القاعدة الصحيحة ، مع الاحتفاظ بخصائصها الأصلية وضوابطها اللغوية المميزة ، وقد رصدنا عدداً لا بأس به من الألفاظ والأساليب التي تفيد الطالب في كتاباته وهي صحيحة ، ويظن أنها من العامة أو من الخطأ ، والهدف تصحيح ما

وسخ في الزمن ، والحكم على هذه الألفاظ والأساليب على ضوء ما جاء في علمي النحو والصرف ، وسيطلع الطالب على بعض التعبيرات التي دخلت معجمنا من اللغات الأوروبية ، ويطلع أيضاً على السهولة في التعبير والابتعاد عن التعسف والالتواء في التعبير ، بلغة قريبة جداً منه ، ومن مجتمعه ، ونكون بهذا قطعنا الطريق على من يدعون أن لغتنا صعبة ، وأنها لا تسير العصر .

أما القسم الثالث فكان «تطبيقاً نحويّاً للنصوص الأدبية شعراً ونثراً» ، والتطبيق النحوي هو الذي ينظر إليه الطالب غالباً ، بل إنه لا يرى في النحو إلا الإعراب ، ويظن أن الإعراب صعب جداً ، لذلك تراه يربط صعوبة اللغة العربية بصعوبة الإعراب ، وهذا غير صحيح ، لأن من يجيد القواعد النحوية يستطيع أن يصل إلى الإعراب الصحيح ، وقد وقع اختيارنا على عدد من النصوص الشعرية بدءاً من امرئ القيس وانتهاء بنزار قباني ، وقد يكون في هذا ما يثير السؤال عند كثيرين ، أننا أثبتنا نصوصاً من خارج زمن الاحتجاج ، بل وصلنا إلى المعاصرين ! ونقول : لا شيء يمنع ، ثم إن الكتاب هدفه أن تصل إلى الأساليب اللغوية المعاصرة ، ونحن لم نختَر نصوصاً فيها من الخطأ ، لا فالنصوص كلها مدروسة دراسة متأنية ، فيها الإعراب القائم على القاعدة الصحيحة ، وكان معظم النصوص من المشهور والمطول نسبياً ، وقد أعربنا عدداً من الألفاظ من الأبيات الأولى من كل نص وتركنا للطالب بقية النص ليعربه بنفسه ، وأردفنا هذه النصوص نصوصاً نثرية مختارة لأشهر الكتاب كالجاحظ وطه حسين وغيرهما .

وما نأمل من هذا الكتاب أن يحقق الفائدة التي وُضع من أجلها ، وهي اتصال الطالب أو إبقاؤه على صلة مستمرة بما درسه من قواعد النحو والصرف في السنوات الثلاث السابقة ، ويكون هذا الكتاب مكماً لها ، ويضيف إلى الطالب جوانب جديدة غابت عن مناهجنا ولم يكن يطلع عليها .

- (الخاتمة) -

القسم الأول

محاولات تيسير وتجديد

النحو العربي

«دراسة نقدية»

قال أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى (٣٩٢هـ)
«وذلك ألني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة
اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاق ،
والرقة ، ما يملك عليّ جانب الفكر» .
الخصائص : ٤٧/١

مُتَكَمِّمَاتَا ...

معني النحو العربي بالصعوبة والتعقيد منذ زمن قديم ، وشاع هذا الأمر بين كثير من الدارسين في حياتنا المعاصرة ، وقرئ في أذهانهم أن قواعد الإعراب تعدّ مصدراً كبيراً لصعوبة اللغة العربية ، وأن المادة النحوية قد تضحمت بتقديرات وتأويلات وتعليقات وأقيسة ، وباهتمام كبير بالعامل النحوي .

ويبدو أن هؤلاء الدارسين وغيرهم لا يرغبون في بذل أي مجهود عقلي في مسألة أو مشكلة نحوية قد ورد ذكرها في كتب النحو ، أو في متون النحو ومنظوماته . وقد اختلفت نظرة الباحثين إلى حلّ صعوبات النحو أو مشكلاته ، وحاووا في تفسيرها وإيجاد الحلّ لها ، فمنهم من رأى أن الصعوبة تكمن في مناهج النحاة الجامدة في التأليف ، ومنهم من أرجعها إلى الاهتمام بالعامل النحوي ، وكثرة التأويل والتقدير ، أو إلى طبيعة علم النحو .

غير أن أصحاب محاولات التحديد قد بالغوا في نقد النحو العربي ، والهجوم عليه أحياناً ، وتناسوا أن علم النحو يستوي في هذه الصعوبات مع العلوم الطبيعية الأساسية (العلوم التجريبية) من رياضيات وفيزياء ، وفلك ... «بل لماذا لا نقول إنه ما من مادة علمية يدرسها أبناؤنا ، لا تفرض عليهم قواعد وضوابط ليست بحال ما ، أسهل ولا أيسر من القواعد الأساسية للغة العربية ، والتلميذ في المدرسة الابتدائية يتعلم قواعد الحساب ، فلا نفكر في إعفائه مثلاً من القسمة المطوّلة أو إجراء عمليات الحساب في الكسور الاعتيادية والعشرية ، وما أظنّها أيسر من القواعد النحوية للفعل والفاعل

والمفعول . وقد تكون عملية حسابية في الأرباح البسيطة والمركبة ، أعقد من ضوابط
المتبدأ والخبر أو الإضافة والاستثناء»^(١) .

وتبدو الحاجة ملحة إلى النظر في محاولات تيسير أو إصلاح النحو العربي ، وذلك
لبيان الفائدة التي تعود على النحو في سبيل تيسيره أو تذليل ما يحيط به من صعوبات
أو مشكلات .

ولسنا نزعم أن هذه الدراسة قد استوعبت كل محاولات تيسير النحو العربي في
العالم العربي ، بل نستطيع أن نقول إن هذه الدراسة قد تناولت أغلب المحاولات التي
استهدفت دراسة النحو بصورة شاملة ، وقلما تعرضنا للدراسات التي تناولت نقد
أجزاء المادة النحوية «وشتان بين من ينقد أجزاء المادة وبين ما يريد علاج لفلسفة التي
انتهت عليها دراستها»^(٢) وقد توسلنا في دراستنا هذه بالمنهج النقدي التقويمي للدراسة
محاولات تيسير النحو العربي .

والله المؤمل لإرشادنا إلى سواء الصراط ، عليه توكلنا وإليه ننيب .

(١) لغتنا والحياة ، د. عائشة عبد الرحمن ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٩١ ، ص ١٩٥ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية ، د. تمام حسان ، ص ٣ .

● مشكلات النحو العربي :

قرر في أذهان الدارسين أن النحو علم صعب ، وأن المتعلمين لم يعودوا قادرين على استيعاب النحو لما فيه من مشكلات وإشكالات . وهنا نسأل ما هذه المشكلات التي جعلت علم النحو علماً صعباً ؟ هذا السؤال يدفعنا إلى تحديد هذه المشكلات على النحو الآتي :

١ - الكتب النحوية :

يعد كتاب سيبويه المتوفى سنة (١٨٠ هـ) أول أثر نحوي وصل إلينا ، والكتاب يقع في قسمين ، تناول القسم الأول النحو ، وفي القسم الثاني الصرف ، غير أنه كان يتكلم على الموضوعات الصرفية في أبواب النحو ، وقد «بدأ كتابه بقضية الإعراب وانتقل منها إلى عدد من القضايا الخاصة ببناء الجملة ، وعندما تحول بعد ذلك إلى الأبواب الخاصة بالأبنية الصرفية وجد لزاماً عليه أن يفسر بعض الأبنية في ضوء البحث الصوتي فجاءت الأبواب الخاصة بالأصوات في آخر كتابه»^(١) .

وفي كتاب سيبويه مواطن مختلفة تتسم بالغموض والاضطراب في التأليف ، ويبدو ذلك واضحاً في الأمور التالية :

١ - جاء ترتيب الكتاب مخالفاً لما هو مألوف في الكتب النحوية التي ندرسها ، فقد أكثر من عناوانات الأبواب ، وتداخل الكثير منها بعضها في بعض ، وعنوان بعض أبواب الكتاب جاء غامضاً وطويلاً ويحتاج إلى شرح يزيل هذا الإهمام أو الغموض ، من ذلك قوله : «باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل وما كان نحو ذلك»^(٢) .

(١) علم اللغة العربية ، د. حجازي ، ص ٦٠ .

(٢) الكتاب : ٧٣/١ .

وكقوله : «هذا باب ما جرى من الأسماء التي من الأفعال ، وما أشبهها من الصفات التي ليست بفعل نحو الحسن والكرم وما أشبه ذلك بجرى الفعل إذا أظهرت بعد الأسماء أضمرتها»^(١) .

غير أن هذه العنوانات لم تبقى كما هي لدى النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه بل حلت محلها عنوانات أخرى في كتب النحو ، فباب مجاري أواخر الكلم من العربية^(٢) ، سماه النحاة «الإعراب والبناء» ، والتوكيد المكرر وغير المكرر ، سماه النحاة التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي ، ومصطلح «البيان»^(٣) سُمي فيما بعد باسم «فك الإدغام» .

٢- مسائل الباب الواحد كانت تأتي أحياناً مفرقة في الكتاب ، وهذا الأمر يؤدي إلى صعوبة في دراسة المسائل النحوية بصورة متتابعة أو متكاملة . فقد تحدث سيبويه عن السدل في الجزء الأول^(٤) ، ثم استأنف الحديث عنه في الجزء الثاني^(٥) من الكتاب وتحدث عن الحال في الجزء الأول^(٦) ، ثم استأنف الحديث عنه في الجزء الثاني^(٧) .

وكان لهذا أثر في صعوبة الإلمام بالمسألة النحوية في مكانها ، وعلى الدارس أن يتتبع المسائل النحوية في غير مكان واحد ، يضاف إلى هذا أنه «يقدم أبواباً من حقها أن تتأخر ، ويؤخر أبواباً من حقها أن تتقدم ، ويضع فصولاً في غير موضعها ... ولا

(١) الكتاب : ٣٦/٢ .

(٢) الكتاب : ٣/١ .

(٣) الكتاب : ٤٥١/٤ .

(٤) الكتاب : ١٥٨/١ ، ٤٣٩ .

(٥) الكتاب : ١٤/٢ ، ١٨ .

(٦) الكتاب : ٣٧٠/١ - ٤٠٠ .

(٧) الكتاب : ٨٦/١ - ١٢٢ .

يذكر مسائل الباب الواحد متصلة متتابعة بل يذكر بعضها في موضع ، وبعضها الآخر في موضع ثان بعد أن يفصل بينها بأبواب غريبة»^(١) .

يضاف إلى هذا أن ابن مالك ألف كتابه المعروف «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» الذي نظم فيه رؤوس المسائل النحوية في أبواب وفروعها في فصول . وقد طبعت مؤلفاته بالطابع التعليمي الذي يهدف إلى تيسير علم النحو والصرف على الدارسين .

وشهد القرن السابع الهجري تأليف كتب كبيرة في النحو والصرف من أهمها «ارتشاف الضرب من لسان العرب» وكتاب «التذيل والتكميل في شرح التسهيل» وقد تضمن هذان الكتابان كثيراً من التعليقات والاستطرادات والأقيسة وتعدد آراء النحاة حول المسألة الواحدة .

ومما تميز به كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب هو أن أبا حيان النحوي الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥هـ) قد جعل الصرف في أول الكتاب خلافاً لما عهدناه في الكتب النحوية التي سبقتة ، فتحدث عن الصرف أولاً ثم النحو ثانياً ، لأنه كان ينظر إلى علم النحو على أنه «معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة أفرادها ومن جهة تركيبها» أي أنه يبحث في بنية الكلمة المفردة وعلاقات الكلمات في الجملة .

وبخلاصة الأمر «حدد كتاب سيبويه لأجيال النحويين على مدى القرون معالم البحث النحوي ومنهج معالجة قضايا النحو . وظل فكرهم في إطاره بغض النظر عن اختلافات جزئية بسيطة قامت عليها المدارس النحوية»^(٢) .

ويعد كتاب المقتضب الذي ألفه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة (٢٨٥هـ) الكتاب الثاني في النحو والصرف بعد كتاب سيبويه ، غير أن كتاب

(١) أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديشي ، بغداد ، ١٩٦٥ . ص ٦٧ .

(٢) نظم اللغة العربية ، د. حجازي : ٨٤-٨٥ .

المقتضب أُنسم بالغموض والاضطراب ، فقد جاء كلامه على النحو موزعاً في الكتاب، ففي الجزء الأول تكلم على أنواع الكلمة ، الفاعل ، حروف العطف ، البدل القلب المكاني ، حروف الزيادة ، همزة الوصل والقطع ، الإدغام ، مخارج الحروف . ولهذا نجد صعوبة وإشكالاً في تتبع الموضوعات النحوية والصرفية في الكتاب .

وفي القرن الرابع الهجري اتجه النحاة نحو تأليف كتب تعليمية في النحو ، وذلك مثل كتاب «الجمل» للزجاجي المتوفى سنة (٣٣٧هـ) ثم ألف أبو علي الفارسي المتوفى سنة (٣٧٧هـ) كتاب «الإيضاح» في النحو ، وكتاب «التكملة» في الصرف . كما ألف ابن جني كتاب «اللمع» . وقد أُسِّمَت هذه الكتب بالإيجاز ، ولهذا اضطُر النحاة إلى شرح هذه الكتب لتيسيرها على المتعلمين .

وزاد اهتمام النحاة بالكتب النحوية التعليمية ، فظهرت المنظومات التعليمية التي تُعَدُّ قواعد النحو والصرف في منظومة يسهل على الطالب حفظها ومراجعتها ، ولعل أشهر هذه المنظومات منظومة ابن مالك أو ألفية ابن مالك المتوفى سنة (٦٧٢هـ) .

اضطر النحاة إلى شرح هذه المنظومات لما فيها من غموض في بعض الأحيان ، فاستمرت حركة تأليف الشروح على الألفية دون انقطاع أكثر من خمسة قرون^(١) .

كما أن ابن هشام المتوفى سنة (٧٦١هـ) قد كتب كتاباً في النحو قصد منها تيسر الإعراب على المعلمين والمتعلمين وأشهرها «معني اللبيب عن كتب الأعاريب» . وفيه في قسمين ، تحدث في القسم الأول عن الأدوات النحوية مبيناً استخدامها وجمعها في الأساليب العربية ، وفي القسم الثاني تحدث عن الجملة العربية . هذا بالإضافة إلى تأليفه «الإعراب عن قواعد الإعراب» و«قطر الندى وبل الصدى» و«شذور الذهب» وغيرها . وقد طبعت مؤلفاته أيضاً بالطابع التعليمي الذي يهدف

(١) علم اللغة العربية ، د. حجازي : ٨٤-٨٥ .

إلى تيسير النحو على الدارسين .

وهكذا دأب السحابة «منذ القرن الثاني الهجري إلى-العصر الحديث يضعون في النحو مختصرات ومتوناً موجزة يستخلصون فيها مطولاته قواعده الأساسية ، ويصفوها — أو قل يقطرونها — في صيغ جملة أشبه ما تكون بقوانين مركزة ، كي يستظهرها الناشئة وتدرسها دراسة تتيح لها استيعاب أوضاع العربية ومقومات صياغتها وتمثلها تمثيلاً بيناً» (١) .

واستمرت حركة التأليف في النحو العربي في العصر العثماني في الشرح والتعليق على المتون والمنظومات التعليمية «وكانت قيمة أي مؤلف في النحو تتركز في إحاطته إن كان يولف شرحاً موسوعياً ، أو في حسن صياغته إن كان يشرح متناً تعليمياً» (٢) .
إن المنهج الذي اتخذه سيبويه في دراسة النحو كان منهجاً وصنيفاً في معظمه غير أن من تبعه من اللغويين توقفوا عند الاستشهاد باللغة المستخدمة في زمنهم وجاهلوا على ما استشهاد به سيبويه ، فاستعملوا قواعده كقواعد معيارية ، وحاولوا أن يخضعوا لها كل ما يقال ويكتب في العصور المختلفة ، ولا زال هذا حالنا إلى حد كبير بالنسبة لقواعد لغتنا حتى العصر الحالي (٣) .

وكان لاهتمام العلماء بدراسة المنطق اليوناني الذي انتشر في نهاية القرن الثاني الهجري أثر في طريقة النحاة في دراسة النحو العربي ، فهذا الفرزدق مثلاً يبدي امتعاضه من عبد الله بن أبي إسحاق الذي وجه نقداً إلى شعر الفرزدق ، فيقول :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتعدوا
أن قلت قالية بكراً يكون بها	بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا

(١) تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف عام ١٩٩٣ ص ١٧ .

(٢) علم اللغة العربية ، د. حجازي : ٩٣ .

(٣) أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، د. نايف خرما ، ص ٩٩ .

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طبعوا^(١)
وهذا أبو علي الفارسي يقول عن الرماني (ت ٣٨٤هـ) : «إن كان
النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه
شيء»^(٢) .

وفي القرن الثالث الهجري تطورت ظاهرة العلة وأصبحت علل النحويين أقرب
إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفتيين^(٣) .

وانتهى الأمر إلى أن قواعد النحو أصبحت تقوم على التعليل وذلك «على حسب
مقدرة النحوي وتمكنه من فهم اللغة والجدل ورغبته في إظهار البراعة»^(٤) . وقد بالغ
النحاة في البحث عن العلة في النحو العربي وأحكامه ، وأصبحت هذه العلل «قيوداً
حديدية أخضعوا لها الكلام إلى الأصيل ، كما أخضعوا لها كلام المحدثين ، فإذا رأوا
الأول لا يسايرها قالوا عنه شاذ أو قليل أو مؤول ، أو ما إلى ذلك من أسماء تعلن ضعفه
والقياس عليه ، وإذا رأوا كلام المحدثين لا يوافقها حكموا عليه بالخطأ والفساد وإن كان
موافقاً للكلام العربي الأصيل»^(٥) .

فبداية النحو العربي كانت بداية للحركة العقلية والثقافية التي شهدوها ، وقد تأثر
النحاة في وضع أصول النحو العربي بما كان يحيط بهم من ثقافات مختلفة .

٢- طبيعة علم النحو :

يرى بعض الدارسين أن إعراب اللغة العربية ثقيل ولا يضبط بقاعدة ، وأن قواعد

(١) الخصائص لابن جني : ٢٣٩/١ .

(٢) نشأة النحو ، محمد الطنطاوي ، ص ١٧٣ .

(٣) الخصائص : ٤٨/١ .

(٤) اللغة والنحو بين القديم والحديث ، د. عباس حسن ، ص ١٤٣ .

(٥) اللغة والنحو بين القديم والحديث : ١٤٥ .

النحو وأحكامه تتعدد وتتضارب ، وأن اضطراب القواعد هي السبب في صعوبة النحو العربي ^(١) .

ولا شك أن بعض الموضوعات التي وردت في كتب النحو تتسم بالصعوبة والتعقيد مثل : الممنوع من الصرف ، والاشتغال ، والتنازع ، والعدد ، والاستثناء ، يضاف إلى هذا أن مطولات النحو ومتونه ومنظوماته جاءتنا بأسلوب معقد أحياناً ، وبصياغة يسودها الجدل والخلاف النحوي .

وهكذا نرى أن مشكلات النحو العربي ترجع إلى منهج النحاة في تأليف كتب النحو ، وكثرة الشروح والإغراق في فلسفة العامل النحوي ، والمبالغة في التعليل والتأويل والقياس ، بالإضافة إلى طبيعة بعض الموضوعات النحوية التي اتسمت بالتعقيد والاضطراب .

(١) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير ، أمين الخولي : ٢٧ .

١- محاولة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)

تتمثل محاولة ابن مضاء في ثورته على النحو العربي في كتابه «الرد على النحاة»^(١) وكنان ابن مضاء متأثراً بالمدب الظاهري الذي كان سائداً في عصره ، وقبل أن نعرف مدى تأثيره بالمدب الظاهري فإنه لا بد من إلقاء نظرة على الأسس التي يقوم عليها هذا المدب لكي نستطيع أن نتلمس ذلك الأثر .

● المدب الظاهري :

ظهر هذا المدب في بغداد في القرن الثالث الهجري ، كرتة فعل على إسراف الفقهاء في الاستنتاج ، وتحميل النص أكثر مما يحتمل ، بالإضافة إلى وقوفهم عند حدّ التقاليد لأصحاب المذاهب الأربعة .

وقد قام داوود بن علي الأصفهاني المتوفى سنة (٢٧٠هـ) بالدعوة إلى المدب الظاهري ، يقول الخطيب البغدادي فيه : «إنه أول من أظهر انتحال الظاهر ونفي القياس في الأحكام قولاً ، واضطر إليه فعلاً فسماه دليلاً»^(٢) .

ورأي داوود بن علي «أن المصادر الشرعية هي النصوص فقط ، فلا علم في الإسلام إلا من النص»^(٣) .

(١) حققه الدكتور شوقي ضيف عام ١٩٤٧ .

(٢) تاريخ بغداد : ٣٨٤/٨ .

(٣) ابن حزم ، محمد أبو زهرة : ٢٦٥ .

وبعد ذلك قام بنقل هذا المذهب إلى الأندلس عبد الله بن قاسم بن هلال المتوفى سنة (٢٧٢هـ) تلميذ داوود الظاهري وهو الذي نسخ كتب أستاذه بخط يده ، وأقبل بها إلى الأندلس ^(١) .

ثم اشتدت حملة العلماء على داوود ومذهبه في حياته وبعد مماته ، يقول الشيخ محمد أبو زهرة : «ولكن جاء بعد ذلك في القرن الخامس الهجري ابن أبي يعلى المتوفى سنة (٤٥٨هـ) ، وجعل للمذهب الحنفي مكانة زحزحت المذهب الظاهري عن مكانة وحل محله» ^(٢) .

وفي الوقت الذي تحيا فيه ضوء ذلك المذهب بالشرق ، وحل محله المذهب الحنبلي ، كان يحيا حياة قوية في الأندلس ، إذ ظهر مفكر قوي هو ابن حزم الأندلسي المتوفى (٤٥٦هـ) ، وأخذ يقرر المذهب الظاهري في قوة وعنف ، ويناضل عنه في غير رفق» ^(٣) .

● أصول المذهب الظاهري :

- ١- أنه مذهب يأخذ الألفاظ بظواهرها اللغوية .
- ٢- يحترم النصوص ، ولا يرجح بينها بأي وجه من أوجه القياس ، ويستمد قوته من الكتاب والسنة بلا تكلف أو تأويل .
- ٣- سند الإجماع يعتمد على النص ، ولا إجماع إلا عن نص ، والنص هو الدليل . وعلى هذا فهم ينفون القياس ، لأن النصوص جاءت بكل ما هو محرم ، وما هو مباح ، ولا حاجة إلى قياس بعدها .
- ٤- إن كل نص يقتصر على موضعه لا يتجاوزه ، ولا يفكر في علة مستنبطة منه ،

(١) ينظر نفح الطيب : ٣٥٩/١ .

(٢) ابن حزم : ٢٦٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٦٩ .

فالنصوص الشرعية لا يبحث عن علي لها ، قال ابن حزم : قال تعالى «لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ» ، فأحبر تعالى بالفرق بيننا وبينه ، وأن أفعاله لا تجري فيها (لَمْ) ، وإذا لم يحل لنا أن نسأله عن شيء من أحكامه وأفعاله : لِمَ كان هذا ؟ فقيد بطلت الأسباب جملة ، وسقطت العلل البتة إلا ما نص الله تعالى عليه أنه فعل كذا ، لأجل كذا ، وهذا أيضاً مما لا يسأل عنه ، فلا يحل لأحد من العباد أن يقول : لِمَ كان هذا السبب ؟ ولم يكن لغيره ، ولا أن يقول : لِمَ جعل هذا الشيء سبباً دون أن يكون غيره سبباً ؟ لأن من قال هذا السؤال فقد عصى الله عز وجل ، وألحد في الدين» (١)

ولم يكن أثر المذهب الظاهري مقصوراً على تفسير الآيات القرآنية ، بل امتد أثره إلى السنن والعري ، فقد ظهر ابن مضاء المتوفى سنة (٥٩٢هـ) وكان متعصباً للظاهرية ، وشديد الميل إلى ثورة الموحدين ، ولكن «يظهر أن الموحدين لم تكن ثورتهم سياسية وحسب ، بل كانت مع ذلك ثورة فكرية ودينية ، فهم أرادوا مقاومة التقليد للمذاهب في الفقه ، وتأييد مذهب نشأ في الشرق هو مذهب الظاهرية الذي يعتمد على النص .. فكانت ثورة الموحدين ضد العلوم المعتمدة على التأويل فالتخذت طابع الحرية في الخروج على الفروض ، واتخذت من جهة أخرى طابع الثورة على الشرق ، ومحاولة إثبات شخصية غربية تقاوم عقلية الشرق في السياسة والعلم والفلسفة ، فتورة الموحدين على الفقه نشأ عنها ثورة القاضي ابن مضاء على النحو ، وطريقته هي طريقة الفقهاء في الثورة على المذاهب ، لا قياس ، ولا تأويل ، ولا رأي» (٢) .

(١) الإحكام في أصول الأحكام : ١٠٢/٨ وانظر : ١٣٦/٤ ، وتاريخ الفكر الأندلسي : ١٤ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد السابع : ٧٦-٧٧ ، عام ١٩٥٣ ، مقال الدكتور طه حسين .

وابن مضاء كان محققاً في ثورته على النحو ، والنحاة ، لأن المادة النحوية قد تضمنت بتقديرات وتأويلات ، وتعليلات وأقيسة ، وآراء كثيرة تحتاج إلى إعادة النظر في النحو العربي .

● ثورة ابن مضاء القرطبي:

انصبت ثورة ابن مضاء القرطبي على النحو والنحاة في كتابه «الرد على النحاة» لما رأى في كتب النحو من تقدير وتعليل واهتملم بنظرية العامل وفلسفته وإغراق في القياس «ولعل أول محاولة لها خطرهما في هذا الباب هي محاولة ابن مضاء الأندلسي الظاهري المذهب الذي دعا إلى اعتبار ما هو مستعمل فحسب من صيغ اللغة دون الحاجة إلى التقدير والتعليل»^(١) .

وتتلخص ثورته على النحو والنحاة فيما يأتي :

١- إلغاء نظرية العامل :

هاجم ابن مضاء في كتابه نظرية العامل ، وهي النظرية التي أسس النحاة عليها أصول النحو العربي ، قال : «قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه ، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه ، فمن ذلك ادّعاؤهم أن النصب والخفض والحزم لا يكون إلا بعامل لفظي ، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا : «ضرب زيدٌ عمرًا» أن الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمرو إنما أحدثه (ضرب) وذلك بين الفساد»^(٢) .

ويقول في موطن آخر مؤكداً رفضه لفكرة العامل النحوي : «أما القول بأن الألفاظ يُحدث بعضها بعضاً فباطل عقلاً وشرعاً لا يقول به أحدٌ من العقلاء لمعان

(١) مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، ص ١٢ .

(٢) الرد على النحاة : ٦٩ .

يطول ذكرها فيما المقصد إيجازه ، منها أن شرط الفاعل أن يكون موجوداً حينما يفعل فعله ، ولا يحدث الإعراب فيما يحدث فيه إلا بعد عدم العامل ، فلا ينصب (زيد) بعد (إن) . في قولنا (إن زيداً) إلا بعد عدم (إن) » ^(١) .

ثم يتابع حديثه ويرد على النحاة الذين يرون أن ذلك العمل للمعنى لا للفظ، فيقول : «فإن قيل : بِمَ بُرِّدَ على من يعتقد أن معاني هذه الألفاظ هي العاملة ؟ قيل : الفاعل عند القائلين به إما أن يفعل بإرادة كالحَيوان ، وإما أن يفعل بالطبع، كما تحرق النار وتبرد الماء ، ولا فاعل إلا الله عند أهل الحق وفعل الإنسان وسائر الحيوان فعل الله تعالى ، وكذلك الماء والنار وسائر ما يفعل .. وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل ، لا ألفاظها ولا معانيها ، لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع» ^(٢) .

وقد بذل جهداً واضحاً في تتبع أثر العامل النحوي ، فدرس باب التنازع والاشتغال ، وذهب إلى تنحية هذين البابين عن قواعد النحو وأبوابه كي لا ترفض بعض الأساليب العربية الصحيحة ، ونضع مكانها أساليب جديدة لم ينطق بها العرب ولا تعرفها ألسنتهم ^(٣) .

ودعا أيضاً إلى إلغاء التقديرات في النحو لأنها فاسدة ، فألقى متعلق الجار و سرور حين يقع محيراً أو صلة أو صفة أو حالاً ، وقال : «إن هذا كله تمحل لأن الكلام تام بدونه ، ولا يحتاج إليه» ^(٤) .

كما ألغى التقديرات المخلوطة في نحو : زيد قام ، فإنكر وجود الفاعل للفعل قام ، وانتهى إلى أنقسام مثل قائم في نحو : زيد قائم لا تشتمل على ضمير مستتر بل هي

(١) الرد على النحاة : ٧٠ .

(٢) الرد على النحاة : ٧٠ .

(٣) تفسير النحو قديماً وحديثاً : ٢٠-٢١ .

(٤) الرد على النحاة : ١٠٢ .

تدل على (الفاعل) بمادتها كما تدلّ عليه (قائم) وكما تدلّ عليه الأفعال المضارعة (أقوم ، تقوم ، تقوم) ^(١) .

٢- إلغاء العلل الثواني والثالث :

قبل ابن مضاء «العلل الأول» وذهب إلى إلغاء العلل الثواني والثالث قال : «وما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثالث ، وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا : (قام زيد) لِمَ رُفِعَ ؟ فيقال : لأنه فاعل ، وكل فاعل مرفوع ، فيقول : وَلِمَ رُفِعَ الفاعل ؟ فالصواب أن يُقال له : كذا نطق به العرب ، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر ... ولو أجبت السائل بأن تقول له : للفرق بين الفاعل والمفعول ، فلن يقنعه ، وقال : فلم لم تعكس القضية..؟ قلنا له : لأن الفاعل قليل .. والمفعولات كثيرة ، فأعطى الأثقل الذي هو الرفع للفاعل وأعطى الأخف الذي هو النصب للمفعول .. لَيَقُلَّ في كلامهم ما يستقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون ! فلا يزيدنا ذلك علماً بأن الفاعل مرفوع ، ولو جهلنا ذلك لم يضر جهله» ^(٢) .

ابن مضاء «بحقّ كلّ الحق في ثورته على العلل الثواني والثالث ، ودعوته إلى إلغائها جملة من كتب النحو ، لأنها لا تفيد سوى التخيل والفرض العقلي البعيد دون أيّ تصحيح للنطق ، وما يتّصل بالنطق . ومع ذلك تجادل فيها النحاة طويلاً وألفوا فيها كتباً مستقلة ، وليس وراءها أيّ نفع أو طائل نحوي» ^(٣) .

٣- إلغاء القياس :

هاجم ابن مضاء القياس النحوي ، وذلك كقياسهم الفعل المضارع على الاسم في

(١) المصدر نفسه : ١٠٤ .

(٢) الرد على النحاة : ١٥١ .

(٣) تفسير النحو قديماً وحديثاً ، د. شوقي ضيف : ٢٣ .

الإعراب ، لما في ذلك من إغراق في التفسير وتكلف في التقدير ، قال : «العرب أمة
حكيمة فكيف تشبه شيئاً بشيء ، وتحكم عليه بحكمه ، وعلة حكم الأصل غير
موجودة في الفرع ، وإذا فعل واحد من النحويين ذلك جهل ، ولم يقبل قوله ، فلم
ينسبون إلى العرب ما يُجهل به بعضهم بعضاً ؟ وذلك أنهم لا يقيسون الشيء ،
ويحكمون عليه بحكمه ، إلا إذا كانت علة حكم الأصل موجودة في الفرع ، وكذلك
فعلوا في تشبيه الاسم بالفعل في العمل ، وتشبيههم إن وأخواتها بالأفعال المتعدية في
العمل» ^(١) .

دعا إلى إلغاء القياس ، عندما رأى النحاة يقيسون إعراب الفعل المضارع على
إعراب الاسم لشبهه به ، ورأى أن إعراب المضارع أصل فيه مثله في ذلك مثل الاسم ،
وحسبنا حكمه الإعرابي ، ولا داعي لهذا القياس الفاسد . كما دعا إلى رفض فرعية
الفعل للاسم في إعرابه وقياسه عليه ، ويكفي أن نقول : إن الفعل المضارع يُعرَّب إذا
لم تتصل به نون النسوة ، ونون التوكيد ، ولا حاجة لفرض قياس له في الإعراب أو
الاتيان بعلى لا تثبت عند التمهيص» ^(٢) .

وهكذا «مهّد ابن مضاء لتخليص النحو من صعابه وتعقيداته ، غير أن خالفه من
النحاة في زمنه وبعد زمنه صمّوا آذانهم عن دعوته ، وظلّوا يؤلفون مطوّلاتهم النحوية
الضخمة حاملة ما لا يكاد يحصى من مسائل النحو العويصة وعقده العسرة مما كان
ينفق فيه النحاة المتخصصون من الشباب وشيوخهم حياتهم باذلين كلّ ما يستطيعون
من وقت وجهد في فهمها وإساعتها ، لما استقرّ في عقولهم جميعاً من أنهم يعيشون
للنحو ويعيشون به» ^(٣) .

(١) الرد على النحاة : ١٥٦ .

(٢) تيسير النحو قديماً وحديثاً : ٢٤ .

(٣) المرجع نفسه : ٢٥ .

● تأثر الباحثين المحدثين بابن مضاء :

وجّه ابن مضاء دعوته إلى المهجوم على نظرية العامل النحوي ، والعلل الثواني والثالث ، والقياس ، والتمارين غير العملية .

وقد تأثر بعض الباحثين بثورة ابن مضاء على النحو العربي ، وذلك مثل الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» يقول : «تخليص النحو من هذه النظرية — نظرية العامل — وسلطانها عندي خير كثير وغاية تقصد ، ومطلب يسعى إليه ، ورشاد يسير بالنحو في طريقه الصحيحة بعدما انحرف عنها آماداً ، وكاد يصدّ الناس من معرفة العربية»^(١) .

وقد تأثر الدكتور شوقي ضيف بآراء ابن مضاء كثيراً ، فقد ذهب إلى أن إلغاء نظرية العامل النحوي يغنينا عن الكلام في شروط هذه العوامل وموضع ذكرها وحذفها وتقديمها وتأخيرها .

ويقول الدكتور شوقي ضيف أيضاً : «والإنسان لا يلمّ بهذه الآراء لابن مضاء ويطلب النظر في كتب النحو المطولة ، وغير المطولة حتى يحسّ الحاجة إلى تصنيف النحو تصنيفاً جديداً ، ولسنا نفرد بهذا الإحساس فقد أحسّه من قبلنا ابن مضاء حين ذهب إلى إلغاء نظرية العامل ، وما يطوى فيها من علل وأقيسة»^(٢) .

ومن الذين تأثروا بثورة ابن مضاء الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، يقول : «فيجب أن ينقل الإعراب عن هذا الاصطلاح ، وأن يعرف بأنه تصرف أهل اللغة في آخر أسمائها وأفعالها وحروفها بين رفع ونصب وجر وحزم ، فلا يلزم فيه على هذا التعريف أن يكون له عامل يقتضيه»^(٣) .

(١) إحياء النحو : ٥٠ .

(٢) الرد على النحاة : ٤٧ ، وانظر المقدمة : ٧ .

(٣) النحو الجديد : ١٢٢ .

وذهب الدكتور عباس حسن إلى أن العامل النحوي هو السبب في تعدد آراء النحاة ، وكثرة الجدل ، وإفساد الأساليب البنيانية ^(١) ، غير أنه بعد هذا انتهى إلى الأخذ بنظرية العامل النحوي «فوجود هذا العامل يسهل على المتكلم والكاتب الاهتمام إلى الحركة المطلوبة والضبط الصحيح فيما بعدهما ، وكان هذا أمانة قاطعة على المطلوب ... فالأخذ برأي الجمهرة في أمر العامل إنما هو أخذ بالأيسر عملاً وتطبيقاً وإفادة» ^(٢) .

● نقد هذه المحاولة :

تعد محاولة ابن مضاء القرطبي أجراً لمحاولة في تاريخ النحو العربي تدعو إلى تصفية النحو ، مما لحق به من أثر العامل النحوي ، والتقدير والتعليل ، سواء أكان متأثراً بالمذهب الظاهري أم بمنافسة المغرب للمشرق .

وكان ابن مضاء محققاً فيما ذهب إليه لأن النحاة المتأخرين قد بالغوا كثيراً في فلسفة العامل النحوي ، والعلة النحوية وأغرقوا النحو في القياس وأسرفوا في التعليل والافتراض .

ورأى أن النحاة قد مالوا إلى المنطق ميلاً «يخرج بالدراسات النحوية عن طبيعتها» ^(٣) . غير أن ابن مضاء كان يدور في فلك الفلسفة والمنطق ، فوقع فيما حذر منه ، فقد ألغى العامل النحوي وجعل مكانه عاملاً آخر هو المتكلم فزاد الأمر تعقيداً وصعوبة «وقد تورط في كتابه في دعوى لا يمكن السماح بها وهي أن العامل النحوي هو المتكلم . فهو إن كان قد ألغى عاملاً فقد فرض عاملاً آخر لا تميزه الدراسات

(١) انظر : اللغة والنحو بين القديم والحديث : ١٨٦ ، ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق : ١٩٠-١٩١ .

(٣) مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان : ٦٩ ، ٧٠ .

اللغوية الحديثة ، لأن المتكلم لا يرفع ولا ينصب بنفسه وإنما بحسب القواعد»^(١) .

وفي كلامه هذا إلغاء للعرف اللغوي الذي تعارفت عليه الجماعة ، ويتناقض مع الطابع الاجتماعي للغة ، فالعرف اللغوي هو الذي ربط بين الفاعلية والرفع ، وهو الذي ربط أيضاً بين المفعولية والنصب ، فالتكلم لا يرفع أو ينصب كما يشاء بل يخضع لما تعارف عليه المجتمع من أحكام وقواعد ويلتزم بما تعارف عليه المجتمع من أعراف لغوية.. وابن مضاء «لم يأت بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعاني النحوية ، ولم يقيم مقام العامل فهماً آخر لهذه العلاقات غير قوله إن العامل هو المتكلم فجعل اللغة بذلك أمراً فردياً يتوقف على اختيار المتكلم ، ونفى عنها الطابع العرفي الاجتماعي الذي هو أخصر خصائصها»^(٢) .

ومن الخطأ الكبير أن نترك للمتكلم ضبط الكلمات إعرابياً ، لأن هذا يؤدي إلى الفوضى في قواعد اللغة وتشتت الأحكام واختراع القواعد .

ولهذا أقول : إنه لا يمكن الاستغناء عن العامل النحوي ، بل يجب الإفادة منه في تدريس النحو العربي وفهم الأساليب العربية ، فالعامل يعدّ وسيلة مهمة في فهم القواعد النحوية ، ولو لم يكن العامل موجوداً لأوجدناه لما له من أهمية في تعليم النحو وفهمه ودراسة التراكيب اللغوية والنحوية والضبط الإعرابي .

وقد أكثر المحدثون من الهجوم على نظرية العامل النحوي ، ولم يستطيعوا أن يقدموا لنا بديلاً عن العامل ، بل جاؤوا بعامل آخر هو المتكلم ، فحسروا ولم ييسروا ولا نستطيع أن نستغني عن العامل النحوي في دراسة النحو العربي ، لأن إلغاء العامل يعني إلغاء النحو .

وإذا كان باب الاشتغال من الأبواب النحوية التي هاجمها ابن مضاء بسبب نظرية

(١) المرجع نفسه : ٣١ .

(٢) اللغة العربية معانيها ومبانيها : ١٨٥ .

العامل ، فإنه لم يستطع أن يجد حلاً لمشكلة الاشتغال في النحو ، واعتمد على العامل في تفسير هذه الظاهرة ، وكرر ما قاله النحاة القدامى في الاشتغال ، فهذا هو يقول في ترجيح الاسم المشغول عنه «فإن كان أمراً أو هياً فالاختيار معه النصب ويجوز رفعه، كقوله : زيداً ضربته ، وكذلك زيداً ضرب غلامه ، وكذلك زيداً امرر بغلامه» (١) .

غير أنه أفضل ألا نبالغ في فلسفة العامل النحوي ، لأننا لو فهمنا العامل كما فهمه سيبويه والتحليل لما نفر النحاة المحدثون من العامل وهاجموه «وكتاب سيبويه يرينا كيف أن القواعد العربية اعتمدت على الاستعمال اللغوي عند عرب البادية دون استثناء ، فهو يرجع دائماً في شؤون الاستعمال اللغوي إلى العرب» (٢) .

ومما يسترعي انتباهنا أن الدراسات التقليدية والحديثة لا يمكنها الاستغناء عن العامل في بيان الارتباط بين أجزاء الكلام «والحق أن قضية العامل في أساسها صحيحة في التحليل اللغوي . وقد عادت الآن في المنهج التحويلي على صورة لا تبعد كثيراً عن الصورة التي جاءت في النحو العربي» (٣) .

وابن مضاء لم يستطع أن يضع حلاً لباب التنازع الذي يعد من صعوبات النحو، بل انتهى في دراسة باب التنازع إلى ما انتهى إليه النحاة القدماء : يقول : «فإننا — في هذا الباب — لا أنحالف النحويين إلا في أن أقول : «علقت» ، ولا أقول «أعملت» والتعليق يستعمله النحويون في المحرورات ، وأنا أستعمله في المحرورات ، والفاعلين ، والمفعولين» (٤) .

فإننا لا نلمح فرقاً بين ما قاله وما جاء به النحاة القدماء إلا في التسمية ، فهو

(١) الرد على النحاة : ٩٥ ، وانظر الأشموني : ٧٦/٢ .

(٢) العربية ليوهان فلك : ١٠ ، ٥٠ .

(٣) النحو العربي والدرس الحديث ، د. عبده الراجحي : ١٤٧ .

(٤) الرد على النحاة : ٩٤ .

يستعمل «التعليق» إزاء «الإعمال» عند النحاة ، والعلاقة واضحة بين العامل والمعمول، لأن العامل متعلق بمعموله .

وقد اختلفت نظرة الباحثين إلى موقف ابن مضاء من أفكاره هذه ، فمنهم من رأى أنه قد عمل على تطور النحو وتيسيره ^(١) ، ومنهم من رأى أن الدافع إلى دعوته هو الشهرة التي كان يطمح إلى تحقيقها ، وهي أن يكون إماماً مشهوراً في العربية ^(٢) منهم من رأى أنه لم يتصد للنحويين بقصد إحياء النحو وتيسيره ، بل إنه مدفوع إلى أن يرد عليهم لما يحمله من عقيدة ظاهرية ^(٣) .

وذهب بعضهم إلى أن ابن مضاء يحدد من ناحية ، ومن ناحية أخرى متفلسف بصطنع فلسفة القرون الوسطى ^(٤) .

وبعد هذا ، فإن ما نستطيع أن نقرره هو أن ثورة ابن مضاء ذهبت صريحة في واد وأن هبوب رياح التغيير لم تستطع أن تحرك أو تزعزع شيئاً في التراث النحوي ، بل بقي كل شيء على ما هو عليه ، غير أن محاولته الجريئة هذه هي التي دفعت الباحثين في العصر الحديث إلى إعادة النظر في مناهج النحاة ، والدعوة إلى تصفية النحو مما علق به من شوائب التقدير والتعليل والعامل النحوي .



(١) ينظر مقدمة كتاب الرد على النحاة للدكتور شوقي ضيف .

(٢) ينظر الاتجاهات النحوية في الأندلس للدكتور أمين السيد : ٢٨٩ ، ٢٩٣ .

(٣) النحو العربي — نقد وبناء ، د. إبراهيم السامرائي : ٩٨ ، ١٩٥ .

(٤) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة — الجزء السابع : ٧٧ ، مقال للدكتور طه حسين .

٢- محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى

من المحاولات المهمة في إحياء النحو العربي أو تجديده محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» الذي طبعه مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٣٧ ، وقد بين المؤلف قصده من تأليفه بقوله : «هذا بحث من النحو عكفت عليه سبع سنين وأقدمه إليك في صفحات ، أطمح أن أغزر منهج البحث النحوي للغة العربية ، وأن أرفع عن المتعلمين إضر هذا النحو ، وأبالحم منه أصولاً سهلة يسيرة ، تقرهم من العربية ، وتهديهم إلى حفظ من الفقه بأساليبها»^(١).

فكتابته هدفه قواعد اللغة العربية ، ودراسة طريقة وضعها ، وتبديل منهج البحث النحوي للغة العربية .

● حدد النحو :

يرى المؤلف أن النحاة قد عرفوا النحو بأنه علم يعرف به أحوال أو آخر الكلم إعراباً وبناء ، فيقتصرون بحته على الحرف الأخير من الكلمة ، بل على خاصة من خواصه وهي الإعراب والبناء .

وفي هذا التحديد تضيق لدائرة البحث النحوي ، فإنه النحو هو قانون تأليف الكلام ، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة ، والجملة مع الجمل ، حتى تتسق العبارة ، ويمكن أن تؤدي معناها ، فالنحاة حين قصروا النحو على

(١) إحياء النحو ، المقدمة : (١) .

وأخبر الكلمات قد ضيقوا من حدوده الواسعة ، وضيقوا كثيراً من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة ، فطرق الإثبات والنفي والتأكيد والتقسيم والتأخير وغيرها من صور الكلام قد مرّوا بها من غير درس ، إلا ما كان منها ماساً بالإعراب ، وفاتهم لذلك كثير من فقه العربية وتقدير أساليبها .

ويرى المؤلف أيضاً أن النحاة قد أغفلوا صلة العلامات الإعرابية بالمعنى ، «أما علامات الإعراب فقلّ أن ترى لها أثراً في تصوير المعنى ، وقلّ أن يشعرنا النحاة بفرق بين أن تنصب أو ترفع ، ولو أن حركات الإعراب كانت دوال على شيء في الكلام وكان لها أثر في تصوير المعنى لما كان الإعراب موضع هذا الخلاف بين النحاة»^(١) .

● أصل الإعراب :

ذكر المؤلف أن النحاة أكتبوا على درس الإعراب وقواعده أكثر من ألف عام ، فماذا بلغوا من كشف سر الإعراب وبيان حقيقته ؟ أساس كل بحثهم فيه أن الإعراب أثر يجلبه العامل ، إن لم يكن مذكوراً ملفوظاً فهو مقدّر ملحوظ . ولهذا دعا المؤلف إلى إلغاء نظرية العامل من أساسها .

على أن أكبر ما يعنيننا من نقد نظريتهم أنهم جعلوا الإعراب حكماً لفظياً خالصاً يتبع لفظ العامل وأثره ، ولم يروا في علاماته إشارة إلى معنى . ولهذا فإن المؤلف يريد أن يبحث عن معاني العلامات الإعرابية ، وعن أثرها في تصوير المعنى .

● معاني الإعراب :

بين المؤلف معنى الضمة والكسرة ، فهو يرى أن الضمة عَلمُ الإسناد ودليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يُسند إليها ويتحدّث عنها ، والكسرة عَلمُ الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها بأداة أو بغير أداة .

(١) إحياء النحو : هـ .

وللإعراب الضمة والكسرة فقط ، وليستا أثراً لعامل من اللفظ ، بل هما من عمل المتكلم ليدل بها على معنى في تأليف الجملة .

أما الفتحة فليست بعلم إعراب ، بل حركة خفيفة مستحبة عند العرب أحب العرب بها أن يشكّلوا آخر كل كلمة في الوصل ودرج الكلام ، فهي نظير السكون في لغتنا العامية ^(١) .

فالمؤلف يرى أن الرفع علّم على أن الاسم مسند إليه ولهذا ذهب إلى ضرورة التوحيد بين المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل ، وحجته في ذلك أننا إذا تتبعنا أحكام هذه الأبواب وجدنا فيها من الاتفاق والتماثل ما يوجب أن تكون باباً واحداً ، وهذا التوحيد بين أبواب الرفع الثلاثة يغنينا عن تكثير الأقسام ، وعن فلسفة العامل ، ويجعل الحكم النحوي أقرب إلى الفهم ، وأدق إلى روح العربية ، ولا يخرج عنه المرفوعات إلا المنادى المرفوع واسم (إن) وأخواتها .

فأما المنادى فليس بمسند إليه ، وهو يُضمّ إذا كان علماً أو نكرة مقصودة ، وإنما ضُمّ في هذه الحالة ولم ينصب كباقي حالاته ، لأنه إذا قصد به معين حذف منه التنوين ، فلو نصب بعد حذف تنوينه لاشتبه بالمنادى المضاف إلى ياء المتكلم ، لأنها قد تقلب في باب النداء ألفاً ثم تحذف وتبقى الفتحة قبلها مشيرة إليها ، فتقول : يا غلامي ويا غلاماً ويا غلام ، ففروا في ذلك من النصب والجرّ إلى الضم حيث لا شبهة بياء المتكلم ، وهو ضُمّ بناء لا حركة إعراب .

أما اسم إن وأخواتها فإنه مسند إليه وحقه الرفع على الأصل ، ولكنه جاء منصوباً ، وقد أخطأ النحاة فهم هذا الباب وتدوينه ، ثم تحرّروا على تغليب العرب في بعض أحكامه ، فقد ورد اسم (إن) مرفوعاً في القرآن الكريم والحديث والشعر ، وفورد

(١) أنظر إحياء النحو ، ص ٧٨ .

في القرآن ﴿إِنَّ هَٰذَا نَاسٌ كَاذِبُونَ﴾ ، وورد في الحديث «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصّورون» .

ثم أكد أيضاً بالرفع فقليل : إلهم أجمعون ، بدل أجمعين ، قال سيويه : واعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون : إلهم أجمعون ذاهبون ، وإني وزيد ذاهبان» فخطأ صواباً ، ورد بعض ما سمع عن العرب ، ولكن ماذا يصنع في الآية السابقة؟ إلهم يؤولون الرفع فيها على أنه مبتدأ قدر له خبر ، وهذا التأويل يصحح وجه الإعراب ، ولكنه يقطع الجملة تقطيعاً غير مقبول ، على أن ما رفضه سيويه قبله غيره كالكسائي والفسراء ، وهذا يؤيد أن موضع اسم إن الرفع ، ولكن كيف ورد منصوباً وكان النصب هو الغالب عليه ؟ .

والجواب أنا إذا تتبعنا استعمال «إن» وجدنا أن أكثر استعمالها وهي متصلة بالضمير مثل : إنا ، إني ، إلك ، إنه ، والعرب إذا أدخلوا الأداة على الضمير يميلون إلى أن يصلوا بينهما ، فيستبدلون بضمير الرفع ضمير النصب ، لأن ضمير الرفع لا يوصل إلا بالفعل ، ومن ذلك كلمة (لولا) لا يكون الاسم الظاهر بعدها إلا مرفوعاً ، فكان من حق الضمير بعدها الرفع أيضاً ، ولكنهم يقولون : لولاه ، ولولا هو ، ولولاكم ، ولولا أنتم ، فيأتون بضمير النصب استحابة لداعية الحس اللغوي من وصل الأداة بالضمير إذا وليها . فلما أكثروا من إتباع (إن) بالضمير جعلوه ضمير نصب أيضاً ، وهذا ما يسميه النحاة الإعراب على التوهم ، نحو : ما زيد قائماً ولا قاعد ، يقولون : إن (قاعد) معطوف على (قائماً) على توهم أنه جَرَّ بالباء ، لأن الموضع يغلب على أن تجيء فيه الباء .

● الفتحة ليست علامة إعراب :

ذهب المؤلف إلى أن الفتحة لا تدلّ على معنى ، وليست بكلمة إعراب ، وإنما هي

الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، ويدلّ على هذا كثرة دورائها في الكلام .
ويرى أن الفتحة أخفّ من السكون ، وإن كان يوجد في كلامهم ما يشير إلى أن
السكون أخفّ من الحركات جميعاً .

● العلامات الفرعية للإعراب (١) :

يرى المؤلف أن النحاة أطلّوا بذكر علامات أخرى للإعراب سمّوها العلامات
الفرعية ، وجعلوها نائبة عن العلامات الأصلية ، ولا وجه لهذا التفصيل بتقسيم هذه
العلامات هذا التقسيم ، لأنه يمكن إجراء العلامات الأصلية فيما جعلوه معرباً
بالعلامات الفرعية .

فالأسماء الخمسة قد جعلوا الرفع فيها بالواو والنصب بالالف والجر بالياء ، تقول:
جاء أبوك ، ورأيت أباك ومررت بأبيك ، ولا حاجة إلى تكلف هذا فيها ، وإنما هي
كلمات معربة كغيرها من سائر الكلمات : الضمة للإسناد ، والكسرة للإضافة ،
والفتحة غير هذين . وإنما مدّت كل حركة فنشأ عنها لينها ، وهذا مذهب أبي عثمان
المازني المتوفى سنة (٢٤٧هـ) في إعراب هذه الأسماء .

وجمع المذكر السالم قد جعلوا الرفع فيه بالواو والنصب بالياء ، وأمره أهون
من الأسماء الخمسة ، فإن الضمة فيه علم الرفع والواو لإشباع والكسرة علم الجر والياء
إشباع ، وقد أغفل الفتح فيه لأنه ليس بإعراب ، فلم يقصدوا إلى أن يجعل له علامة
خاصة ، واكتفى بصورتين في هذا الجمع ، هذا كما رفضوا جمع المؤنث السالم بالضمة
وجروّه بالكسرة ، فأغفلوا الفتح فيه أيضاً .

● التوابع :

ويتلخص رأيه فيما يأتي :

(١) إحياء النحو : ١٠٩ .

١- أخرج المؤلف عطف النسق من باب التوابع ، لأنه إذا قلنا في عطف النسق : جاء زيد وعمرو ، وجدت أن كلا من الاسمين متحدث عنهما ، فاستحق كل منهما الرفع على ذلك الأصل ، ولم يكن الأول أحق به من الثاني ، ولم يكن الثاني محمولاً عليه فيه . وإذا قلت : هذا أخو زيد وعمرو فالإضافة إلى كل من الاسمين ، وليس أحدهما محمولاً على الآخر . فليس الأمر في العطف إتباعاً ، وإنما هو إشتراك أو تشريك كما قال سيبويه ، وعلى هذا لا يكون لباب العطف إعراب خاص ، وليس جديراً أن يعدّ من التوابع ، ولا أن يفرد بباب لدرسه من ناحية الإعراب ، أما حروفه فهي التي تستحق أن تفرد بالدرس .

٢- أن الذي يستحق أن يطلق عليه اسم التوابع هو النعت الحقيقي والبدل وعطف البيان والتوكيد .

٣- يرى أن النعت السببي لا علاقة له بالتوابع .

٤- جعل الخبر من التوابع ، لأنهم إذا أرادوا أن يدلوا على أن الكلمة هي عين الأولى ، وأنها صفة متحققة لها ، أشاروا إلى هذا بالموافقة في الإعراب والتذكير والتأنيث .

● أبواب أجازوا فيها وجهين من الإعراب^(١):

يرى المؤلف أنه «لا يجوز أن يكون للكلام وجهان من الإعراب بلاس المتكلم أيهما شاء ، فمضى ثبت أن للحركة أثراً في تصوير المعنى تجتلب لتحقيقه لم يكن للمتكلم أن يعدل عن حركة إلى أخرى حتى يختلف المعنى الذي يقصد إلى تصويره ، فيختلف الإعراب تبعاً له ، ثم أخذ يناقش الأبواب التي أجاز بها النحاة وجهين ، وذلك مثل باب (لا) ، ومعمول (ظن) في حالة الإلغاء والتعليق ، والاشتغال ، والمفعول معه .

(١) انظر إحياء النحو : ١٢٩-١٦٣ .

١- وأول هذه الأبواب باب (لا) وقد جعلوا للاسم بعدها أنواعاً مختلفة من الإعراب : يجعلونها عاملة عمل (ليس) ، ويجعلونها عاملة عمل (إن) ، ومهملة .

ويقولون إن (لا) الأولى لنفي الوحدة ، فيقال : لا رجل في الدار بل رجلان ، والثانية تنفي الجنس ، فيقال : لا رجل في الدار . فلا يصحّ بعده بل رجلان . ولكنه إذا نوقش هذا الفرق بين الشاهدين اللذين ذكروهما للأولى لم تجد ثباتاً ، وهذان الشاهدان :

تعزّ فلا شيء على الأرض باقيا .

فأنا ابن قيس لا براح .

نجد أن النفي فيهما للجنس ، وهذا لا نجد في أقوالهم ما يصحّ به التمييز بين مواضع الرفع ومواضع النصب في (لا) ، وقد أنكر بعضهم عملها عمل ليس ، ولم يعنوا ببيان الفرق بين هذه المواضع .

ويسرى المؤلف أن قولنا : لا ضير ، لا فوت ، لا بأس ، يعدّ كلاماً تاماً ، وأن تقدير النحاة أن الخير محذوف تقديره (موجود) يعدّ لغواً . ولا يزيد تقديره في المعنى شيئاً . وأن ما يذكر بعد هذا الاسم من الظرف ليس خبراً له ، لأنه يحذف ويتم الكلام دونّه ، والذي جعلهم يقدرون هذا ما قرروه ، من أن كل جملة يجب أن تشتمل على مبتدأ وخبر ، أو فعل وفاعل ، وأنهم لم يعرفوا الجملة الناقصة ، ويرونها في النداء ، مثل : يا محمد ، فيقدرون أدعو محمداً ، وكذلك : تحية وسلاماً ، وصبراً وشكراً ، فيقدرون الفعل لإعراب الاسم ، ولا وجه له ، وإنما هي جملة ناقصة ، والاسم استعمل بدلاً عن الفعل فصار منصوباً ، ومنه ما نحن فيه مثل : لا بأس ولا ضير .

٢- وثاني تلك الأبواب باب (ظن) فهم يقرّرون أن أفعال القلوب تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر ، وأنهما قد يعتريها الإلغاء والتعليق ، والإلغاء أن يهمل

الفعل فلا ينصبهما نحو : زيد ذاهبٌ ظننت ، ويجوز إعمال الفعل والإلغاء أولى

وفي نحو : زيد — ظننت — ذاهب ، يجوز الإعمال والإلغاء .

والتعليق أن يتقدم الفعل ويتأخر الاسمان ، غير أنه يصحبهما أداة من أدوات
الصدارة التي تحجب من قبلها عن العمل فيما بعدها نحو : ظننتُ لزيدٍ ذاهبٌ .
والتعليق واجب بخلاف الإلغاء ، وهناك فرق آخر يتكلفونه بينهما ، وهو أن الفعل
الملغى لا يعمل في اللفظ ولا في المحل ، والمعلق يعمل في الحمل لا في اللفظ . وتفسير
هذه الأوجه أنك تقول : ظننتُ زيداً ذاهباً ، فتقصد إلى الإخبار بأنك ظانٌ أمراً ،
وتستحدث عن نفسك في هذا ، فيكون ، الاسمان بعد (ظن) تكملة وبياناً لما تعلق به
الظن ، ولا يكون فيهما متحدث عنه فيرفع ، وقد يكون من هم المتكلم أن يقول :
زيدٌ ذاهبٌ ، فيقصد إلى الحديث عن زيد ، ثم يقول : ظننت ، فهنا كلامان ، وحكم
الاسمين على ذلك الأصل الرفع ، ويمكن أن يفهم ذلك في حال التوسط أيضاً ، وقد
يفهم هذا المعنى مع تقدم الفعل ، إذا بدا في الكلام ما يدل على استقلال الثاني
بالحديث والقصد إلى الإخبار ، كما تقول : ظننتُ لزيدٍ ذاهبٌ . ولولا أن استقلال
الثاني من غرض المتكلم لما كان وجيهاً أن يؤكد الكلام بعد فعل يدل على معنى الشك
أو الرجحان ، فقد سيق الكلام مساق التأكيد ، ثم قيل إن هذا مبلغ ظن .

فهذا ما قالوه في الإلغاء والتعليق على وجه يغني عن كثرة الاصطلاح ، ويرسل
حكم الإعراب مستقيماً غير مضطرب ، وليس هناك موضع يجوز فيه الرفع والنصب ،
 وإنما هو المعنى الذي يراد بيانه يوجب سبيلاً واحداً مخصصاً للأداء .

٣- وثالث تلك الأبواب باب الاشتغال في نحو : زيداً لقيته ، فإنه يجوز فيه (زيد)
الرفع والنصب ، وقد اضطربوا بحكم نظرية العامل أن يقدرُوا للنصب عاملاً
واجب الحذف يفسره الفعل المذكور ، وتقديره : لقيتُ زيداً لقيته . ولم ينصبه
الفعل المذكور لأنه اشتغل عنه بضميره عندهم ، والرفع في هذا المثال أرجح ،

لأنه لا يحوج إلى تقدير ، وقد يعرض ما يرجح النصب أو يوجب أحد الوجهين ، والنصب يترجح إذا كان الفعل دالاً على الطلب ، مثل : زيداً اضربه ، وإذا وقع الاسم بعد أداة يغلب أن يليها فعل نحو : هل زيداً لقيته ... أما إذا وقع الاسم بعد عاطف على جملة فعلية سابقة ولم يفصل بين الجملتين نحو : أدنيتُ زيداً وعمراً أقصيته ، فإذا جئت بأمّا كان الحكم الرفع ، نحو : أدنيت زيداً وأمّا عمرو فأقصيته . وتفسير هذه الأحكام أنه إذا أريد بالاسم المتقدم على الفعل أن يكون متحدثاً عنه وجب رفعه ، وإذا أريد سوجه تنمة للحديث لا متحدثاً عنه وجب نصبه ، ولا شيء إلا أنه في الأول يكون الاسم قد أتى في موضعه ، وفي الثاني يكون قد تقدم عن موضعه لغرض من أغراض التقليل ، وذكر الضمير بعده من الزيادة في البيان ، ولا حاجة فيه إلى دعوى الاشتغال ، وقد ترجح النصب في الفعل الدالّ على الطلب لأن الطلب لا يكون خيراً ، ولم ترد الجملة الطلبية إلا قليلاً في الخبر ، فترجح النصب في الاسم لأنه ليس متحدثاً عنه ، وكذلك ترجح بعد الأداة التي يغلب أن يليها فعل ، لأنه يغلب أن يقع معناها على الحدث ، فيتبعها الفعل المتحدث به لا الاسم المتحدث عنه ، وكذلك ترجح بعد العطف على الجملة الفعلية السابقة ... فإذا كان من غرض المتكلم أن يقطع كلامه ويأخذ في حديث جديد فصل بـ (أمّا) ، وكان الحكم بعدها الرفع ، وبهذا يجمع ذلك الأصل تلك الأحكام المتشعبة في هذا الباب ، ويصل بين حكم اللفظ والمعنى .

٤- ورابع تلك الأبواب باب المفعول معه ، فقد رجحوا النصب إذا سبق الاسم فعل أو شبهه وكان في العطف ضعف ، مثل : قمتُ وزيداً فإن ضمير الرفع المتصل لا يعطف عليه حتى يليه فاصل ، مثل : قمت أنا وزيد ، وترجح العطف إذا لم يسبق الاسم فعل ، مثل : كيف أنت وزيد ، وإذا لم يكن في

العطف ضعف ، مثل : قمت أنا وزيد .

وتفسر هذا أنه إذا أريد معنى المصاحبة كانت الواو بمعنى مع ، ووجب النصب ، وإذا لم يرد معنى المصاحبة فهي واو العطف ، وإنما وجب النصب في الحالة الأولى لأن الاسم فيها لا يكون متحدثاً عنه ولا مضافاً إليه .

● نقد هذه المحاولة (إحياء النحو) :

١- ذهب المؤلف إلى أن النحاة القدماء قد جعلوا الإعراب مقصوراً على الحرف الأخير ، وأن بحوث النحو عندهم اقتصر على الإعراب والبناء ^(١) .
والحق أن بحوث القدماء لم تقتصر على الإعراب والبناء «بل تعداها إلى وجوه تأليف الكلام في الإثبات والنفي والتأكيد والاستفهام والتعريف والتكثير والقسم» ^(٢) .
والنحو عند سيبويه لم يقتصر على النظر في أواخر الكلمات وما فيها من حركة أو سكون ، بل كان ينظر إلى تأليف الجملة العربية ونظمها ، وإبراز ما فيها من حسن أو قبح ، يقول : «هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمنه مستقيم حسن ، ومحال ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، وسأتيك غداً ، وأما المحال ^(٣) ، فإن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غداً ، وسأتيك أمس ، وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه . وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيداً رأيت ، وكى زيداً يأتيك ، وأشباه هذا . وأما المحال الكذب فإن تقول : سوف

(١) إحياء النحو : ١ .

(٢) النحو الجديد : ٢٧ .

(٣) المحال : هو ما لا يوضح له معنى ، ولا يجوز أن تقول فيه صدق ولا كذب ، لأنه ليس له معنى .

أشربُ ماءَ البحرِ أمس»^(١) .

٢- ذهب صاحب إحياء النحو إلى أن الفتحة ليست علامة إعراب بل هي حركة خفيفة ومستحبة عند العرب^(٢) .

ورأيه هذا بالغ الغاية في الغرابة ، لأن العرب قد وقفوا بالسكون على الكلمات التي تنتهي بالفتحة ، ولو كانت الفتحة أخفّ من السكون لوقفوا عليها بالفتحة ، لكن الواقع اللغوي خلاف ذلك .

وقد أشار سيبويه إلى أن علامات الإعراب هي الضمة والفتحة والكسرة والسكون . وهذا الكلام يدل على أن للفتحة عملاً كباقي علامات الإعراب، وقد اتفق النحاة على أن الفتحة أخفّ الحركات ، غير أن الخلاف بين صاحب إحياء النحو والنحاة في أن الفتحة أخفّ من السكون ، «والراجح ما ذهب إليه النحاة ، لأننا إذا راعينا السكون والفتحة عند النطق بحرف مثل (الباء) كأبكم نجد السكون لا يقتضي منا إلا التقاء الشفتين ، أما الفتحة فتقتضي إطباق الشفتين وفتحهما ، وما يقتضي عملاً واحداً أخفّ مما يقتضي عمليين ، ولأن الفتحة شروع في ألف ، كما أن الضمة شروع في واو والكسرة شروع في ياء ، أما السكون فليس شروعاً في حرف آخر ، فيكون أخفّ منها كلها ، فلو كان غرض العرب من الفتحة الخفة لآثروا عليها السكون»^(٣) .

فسيبويه لم ينظر إلى شكل الكلمة في التركيب فقط ، بل كان شديد العناية بوضع هذه الكلمة في التركيب اللغوي ، وبوظيفتها في الجملة .

(١) الكتاب : ٢٥/١ .

(٢) إحياء النحو : ٧٨ وما بعدها .

(٣) النحو الجديد : ٦٦-٦٧ .

٣- يرى المؤلف أن النحاة القدماء قد أغفلوا صلة العلامة الإعرابية بالمعنى^(١) .

لكننا نلاحظ أن القدماء قد أدركوا دلالة حركات الإعراب ، وأن أصل الإعراب أن يكون بالحركات المختلفة للدلالة على المعاني المختلفة ، ولهذا عُرف الإعراب بأنه اختلاف أواخر الكلمات لاختلاف المعاني المتعاقبة عليها^(٢) .

وإذا نظرنا في كتاب سيبويه نرى أنه كان يوجه الموقع الإعرابي للكلمة اعتماداً على المعنى ، فالمعنى هو الأصل في بناء القاعدة النحوية ، وبعبارة أخرى إن المعنى هو الذي يسوّغ الضبط الإعرابي من رفع أو نصب أو جر .

فالارتباط بين العلامة الإعرابية والمعنى كان واضحاً من خلال تقدير العلامة الإعرابية ، وقد بين سيبويه أن هناك علاقة بين الرفع والفاعلية ، يقول : «هذا باب الفاعل الذي لم يتعدَّ فعله إلى مفعول ، والمفعول الذي لم يتعدَّ إليه فعل فاعل، ولم يتعدَّ فعله إلى مفعول آخر .. والفاعل والمفعول في هذا سواء ، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل ، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته له ، كما فعلت بالفاعل»^(٣) .

فالفاعلين حصرها سيبويه في الفاعل ونائب الفاعل ، لأن الحدث يسند إليهما ، فهو يربط بين العلامة الإعرابية والمعنى في حال الرفع .

كما أن سيبويه قد علل سيبويه نصب المفعول به ، وبين تلك العلاقة بين العلامة الإعرابية ومعنى المفعولية^(٤) .

٤- أنكر المؤلف نظرية العامل النحوي ، لأن الإعراب عمل لفظي لا يدل

(١) إحياء النحو ، المقدمة : هـ - و .

(٢) شرح المفصل : ٧٢/١ .

(٣) الكتاب : ٣٣/١ .

(٤) الكتاب : ٣٤/١ .

على معنى من المعاني ، ورأى أن المتكلم هو العامل ^(١) ، وهو الذي يرفع وينصب ويجرّ .

إن المؤلف متأثر في هذا الرأي بما قاله ابن مضاء القرطبي ^(٢) .
وقد تورط صاحب إحياء النحو بهذه الدعوة أيضاً ، وتناسى أن المتكلم لا يرفع وينصب ويجر كما يشاء ، بل يفعل ذلك بحسب القواعد ، وبعبارة أخرى لا بدّ من أن يخضع للعرف الاجتماعي للغة .

وليس هدفنا من دراسة كتاب إحياء النحو حصر القضايا أو المشكلات النحوية التي تكلم عليها ، بل توضيح لفكرة صاحب الكتاب الذي أراد عرض قضايا النحو مركزاً على نظرية العامل النحوي وصلة الإعراب بالمعنى . فالمؤلف أثار هذه القضايا ، ولم يستطع أن يصل إلى حلّ علمي يحل إشكالات النحو العربي بل زاد الأمر اضطراباً وتعقيداً ولبلة . ولهذا يرى أحد الباحثين أن إبراهيم مصطفى عندما ذهب إلى أن الضمة علم الإسناد والكسرة علم الإضافة ، والفتحة علم الخفة فإنه اكتفى بهذا الفهم المبهم القاصر لطبيعة هذه الحركات ، لأن العلامة الإعرابية ليست أكثر من واحدة من قرائن كثيرة يتوقف عليها فهم الإعراب الصحيح ^(٣) .

والجديد في المحاولة أنه لا جديد فيها .

(١) إحياء النحو : ٥٠ .

(٢) أنظر الرد على النحاة : ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٨٥-١٨٦ .

**٣- محاولة مؤتمر مجمع اللغة العربية
في دورته الخامسة والأربعين سنة ١٩٧٩م**

نظر المؤتمر في أعمال لجنة الأصول التي وافق عليها مجلس مجمع القاهرة ، وكانت كلها مسائل في النحو بهدف تيسير تعليمه للناشئة . وأكدوا أن الموافقة على المسائل المعروضة لا يقصد بها تعديل القواعد النحوية ، وإنما هي بهدف تيسير النحو على الناشئة من الطلاب .

أما أهم المسائل النحوية التي تمت الموافقة عليها ، فهي :

١- كان وأخواتها .

ترى أغلبية اللجنة الإبقاء على باب كان وأخواتها على وضعه المقرر في كتب النحو ، ورأت الأقلية : أن ضم الباب إلى باب الفعل ، وإعراب المنصوب حالاً تيسير على الناشئة وتقليل للأبواب المقررة عليهم .

٢- كاد وأخواتها .

رأت الأغلبية الإبقاء على باب كاد وأخواتها على وضعه المقرر في كتب النحو ، ورأت الأقلية : أن ضم باب كاد وأخواتها إلى باب الفعل أيسر تناولاً وأقرب إلى أذهان الناشئة من جعلها باباً مستقلاً .

٣- ما ولا ولات العاملات عمل ليس .

رأت أغلبية اللجنة الإبقاء على باب «ما» و«لا» و«لات» العاملات عمل ليس

في وضعه المقرر في كتب النحو للناشئة .

٤- ظن وأخواتها ، وأعلم ورأى وأخواتها .

تقترح اللجنة وضع باب ظن وأعلم ورأى في باب الفعل المتعدي ، على أن يكون ذلك خاصاً بكتب الناشئة .

٥- التنازع .

تيسيراً لاكتساب الأحكام الخاصة بالباب رأيت اللجنة الاكتفاء بالصور التي توارد بها الاستعمال في الفصحى ، وهي :

أ- في مثل : دخل وجلس محمد : «محمد» فاعل «جلس» وفاعل الفعل الأول متروك للعلم به كما يقول سيبويه .

ب- في مثل : محمد يحسن ويتقن عمله : «عمل» مفعول به ليتقن ، واستغنى الفعل الأول «يحسن» عن مفعوله لدلالة مفعول يتقن عليه .

ج- في مثل : ناقشني وناقشت محمداً ، يعرب «محمد» مفعولاً به لناقشت ، واستغنى عن الفاعل في الفعل الأول لدلالة السياق عليه .

٦- الاشتغال .

ترى اللجنة جواز رفع الاسم المشغول عنه ونصبه ، ولا داعي لذكر حالات الوجوب أو الترجيح .

٧- التمييز .

تسرى اللجنة أن الصيغ النحوية التي تعرب تمييزاً وتنفرد في أبواب كثيرة ، يمكن جمعها في باب واحد تيسيراً على الناشئة .

٨- التحذير والإغراء والترخيم والاستغاثة والندبة .

ترى اللجنة أنه لا مانع من إدخال باب التحذير والإغراء في باب المفعول به وباب الاستغاثة والندبة في باب النداء مع تعيين دلالة كل صيغة منها عند عرض أمثلتها .

وترى أيضاً حذف باب الترخيم من كتب النحو المدرسية .

٩- الإعراب التقديري والمحلي .

ترى اللجنة أن ما انتهى إليه اتحاد الجامعات العربية من الإبقاء على الإعراب التقديري والمحلي دون تعليل (أي دون تكليف التلاميذ تعليل خفاء الإعراب) فيه تيسير في تعليم النحو العربي ، ففي نحو : جاء القاضي ، يقال : «القاضي» مرفوع بضمه مقدرة ، وفي نحو : جاء من سافر ، يقال : «من» فاعل محله الرفع . وفي نحو : محمد يحضر ، يقال : «يحضر» جملة فعلية «خبر» .

ولا ضرورة لذكر متعلق عام للظرف أو الجار والمجرور .

١٠- ألقاب الإعراب والبناء .

ترى اللجنة الأخذ بقرار الجمع عام ١٩٤٦ في هذا الموضوع ، وهو أن يكون لكل حركة لقب واحد في الإعراب والبناء ، وأن يكتفى بألقاب الإعراب . وقد جعل النحاة لحركات الإعراب ألقاباً ، ولحركات البناء ألقاباً ، فحركات الإعراب : الرفع والنصب والجر والجزم ، وحركات البناء : الضم والفتح والكسر والسكون ، غير أن اللجنة رأت أن يكون لكل حركة لقب واحد في الإعراب والبناء ، وأن يكتفى بألقاب الإعراب .

لأن هذه التفرقة بين حركات البناء وحركات الإعراب هي التي دعت النحاة إلى الإفراط في الدقة والسخاء في الاصطلاحات .

١١- إعراب أدوات الشرط .

لا ترى اللجنة ضرورة أن يكلف الناشئة إعراب أسماء الشرط ، ويكتفى في هذا الباب بذكر ما يجزم من هذه الأدوات وما لا يجزم ، ويذكر أن هذه الأدوات تقتضي جملتين : جملة الشرط وجملة الجواب ، ويجزم فعل الشرط وفعل الجواب إذا كانا مضارعين .

١٢- كم الاستفهامية والخبرية .

ترى اللجنة الاكتفاء في باب «كم» بأنها إذا كانت استفهامية تُمَيِّز بمفرد منصوب : نحو : كم كتاباً قرأت ؟ .

وإذا سبقت بحرف جر يضاف المميز إليها ، نحو : بكم قرأت الكتب ؟ .
وإذا كانت خبرية للكثرة فتُمَيِّز مفرداً أو جمعاً مجروراً بالإنشاء ، نحو : كم بطل استشهد في المعركة ، أو كم أبطال استشهدوا في المعركة .
وقد يسبق تمييزها بحرف جر نحو قوله تعالى : ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ غُلِبَتِ قَوْمٌ كَثِيرَةٌ﴾ .
بإذن الله .

١٣- لا سيما .

لا سيما أداة للمخالفة في الحكم بترجيح ما بعدها على ما قبلها في المعنى ، وإذا كان ما بعدها اسماً مفرداً جاز رفعه ونصبه وجره ، كقولك : ألحِبُّ الفاكهة لا سيما التفاح .

● تقويم قرارات الجمع :

١- ذهبوا إلى الاكتفاء باللقاب الإعراب ، وهذا يؤدي إلى زيادة مشكلات النحو وتعقيدها ، فلو قلنا : أنت صديقي ، فهل نستطيع أن نقول في إعراب «أنت» مبتدأ مفتوح ؟ .

٢- ذهبوا إلى وجوب الاستغناء عن الإعراب التقديري والإعراب المحلّي ، وهذا الأمر يفيدنا في تعليم اللغة العربية للطلاب الأجانب أو لطلاب المرحلة الابتدائية ، لكننا نضطر في التحليل النحوي إلى معرفة بناء التركيب لنتمكن من معرفة وفهم دلالاته ، فلو قلنا : جاء هذا ، ورأيت هذا ومررت بهذا ، فماذا نقول في إعراب هذا ؟ وذلك إذا استغينا عن الإعراب التقديري والإعراب المحلّي . ففهم المعنى يتوقف على توفيقه حقه من الإعراب .

- ٣- أرادوا تقريب القاعدة إلى أذهان المتعلمين ، فدعوا إلى تدريس بعض الموضوعات في إطار واحد غير مشتمت القاعدة ، وذلك كجعل موضوع الاختصاص يندرج تحت المفعول به ، وإدخال باب التحذير والإغراء والاستغاثة والندبة في باب المفعول به . وهذا شيء حسن .
- ٤- ذهبوا إلى حذف باب الترخيم من كتب النحو المدرسية ، وهذا الحكم فيه تسرع ، لأن تيسير النحو لا يكون بالحذف ، بل يجب أن ننظر إلى الموضوعات النحوية نظرة كلية لا جزئية .

٤- النحو الوظيفي للأستاذ عبد العليم إبراهيم

قسم المؤلف النحو العربي إلى نوعين : نحو وظيفي ، ونحو تخصصي ، ويقصد بالنحو الوظيفي «مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو ، وهي ضبط الكلمات ، ونظام تأليف الجمل ، ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ، ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة ، أما النحو التخصصي فهو ما يتجاوز ذلك من المسائل المتشعبة ، والبحوث الدقيقة التي حفلت بها الكتب الواسعة»^(١) .

والمؤلف لا يحيط من قيمة النحو التخصصي لكنها تحتاج إلى جهد ، يقول : «أما مسائل النحو التخصصي فإني لا أغضّ من قيمتها جملة وتفصيلاً ، ولا أحقر الجهود التي تصدت لها منذ نشأة النحو العربي ، وهي — بدون شك — لا ترتفع في صعوبتها إلى مستوى الصعوبات التي يلاقيها من يعانون المواد العسرة كاللاتينية القديمة ، أو التحارب العملية الدقيقة ، التي تحبس العلماء سنين ، بين أدخنة المعامل وغازاتها ، بغية الوصول إلى كشف عنصر ، أو دراسة خلية»^(٢) ، والمؤلف لا يدعو كل الدارسين إلى إتقان مسائل النحو وظيفية وتخصصية ، بل يدعو النحو التخصصي لمن شأنهم التخصص ، وهم قلة قليلة ولا غنى لنا عنهم^(٣) ولهذا فإنه صنع كتابه إلى مجموعة من الدارسين يعنيهم النحو الوظيفي «أما جمهرة الدارسين للعربية ، فهم يعترضون بها ،

(١) النحو الوظيفي ، عبد العليم إبراهيم ، دار المعارف ١٩٦٩ ، المقدمة (هـ - و) .

(٢) المصدر نفسه : المقدمة (و) .

(٣) المصدر نفسه : المقدمة (ز) .

ويرون فيها أهم المقومات لعروبتهم وشخصيتهم ، وأهم العوامل على نجاحهم ، وأداء واجباتهم ، فأولئك ندعوهم لهذا النحو الوظيفي ، الذي نقدم من أجله هذا الكتاب . وفي هذا القدر من النحو الوظيفي الذي يدرسونه ما يسد حاجتهم من الاستعمال اللغوي الصحيح ، وما يكفي لدفع الحرج عنهم ، وتبرئتهم من العقوق وما هو أقسى من العقوق»^(١) .

● أزمة النحو العربي :

يرى المؤلف أن أهم العوامل التي خلقت أزمة النحو العربي هي «أن حصص النحو قد نقص عددها مع الزمن في المراحل التعليمية المختلفة ، وأن مناهج اللغة العربية وامتحانها قد قبضت يدها عن العناية بالنحو إلى حد ما ، وبسطتها سخية إلى فروع أخرى ، رأت السياسة التعليمية أنها تفوق النحو أهمية ومكانة ، واقترن ذلك — مع الأسف — بصيحات متتالية ، بعثتها — في اطراد وإلحاح — حناجر الذين يضمنون بالولاء للنحو العربي ، إما جهلاً به ، وإما امتهاً له»^(٢)

يضاف إلى هذا تلك الصيحات التي نادى بزحزحة النحو العربي عن مكانته وأصالته «ولا شك أن هذه الصيحات التي كانت تنشط في فترات تغيير المناهج قد انعكست آثارها الهدامة على الدراسات النحوية ، حتى تداعى النحو ، واستسلم للانهيار»^(٣) .

والمؤلف لا يدعو إلى إغفال الدراسات العربية الأخرى على حساب النحو ، بل يرى «أن يأخذ الطلاب على قدر استعدادهم — بما يستطيعونه من هذه الألوان ، ولكن لا ينبغي أن ننسى أن النحو في طليعة هذه الألوان جميعاً ، لأنه متصل ببناء

(١) النحو الوظيفي : المقدمة (ز) .

(٢) المصدر نفسه : المقدمة (ز) .

(٣) المصدر نفسه : المقدمة (ح) .

الجملة السليمة ، ولا مراة في أن سلامة الكلمة والجملة أساس يجب أن يسبق كل ما يتصل بهما من بحوث في الجمال أو الخيال ، أو التاريخ أو التطوير ، شأنهما في ذلك شأن أي بناء ، لا ينظر في تحميله إلا بعد الاطمئنان إلى إقامته مدعوم الأساس ، سليم التركيب» (١) .

● حل أزمة النحو العربي :

بعد أن بين المؤلف أسباب أزمة النحو العربي فإنه يرى أن حل أزمة النحو العربي «إنما يُلْتَمَس في وجوب العناية بالتدريبات النحوية ، يؤخذ بها الطلاب أخذاً جدياً مستمراً ، في جميع المواقف التي تستعمل فيها اللغة ، فالمثال الذي تقرر به قاعدة نحوية يجب أن يكون بجانبه عشرات من الأمثلة للتدريب على هذه القاعدة ، والتلميذ الذي يصوغ قاعدة يجب أن يؤكد كلامه بالتطبيق العملي عشرات من التلاميذ ، وفي مواقف الحديث أو التحرير ، ومعارض النشاط اللغوي في الإذاعة والصحافة والتمثيل ، والجماعات الأدبية والدينية والاجتماعية ، في كل ذلك ونحوه يجب أن تكون الأصول النحوية هي دعامة النطق ، وضابط التعبير ، وأن يكون التزام هذه الأصول هو مقياس المفاضلة والنقد والتشجيع بين الدارسين ، وينبغي — كذلك — أن تتغير النظرة إلى النحو العربي ، وأن يبدو أثر هذا في الامتحانات الشفوية والكتابية ، من حيث تحديد الدرجات المعدة له ، وأسس تقدير الدرجات التي ينالها التلميذ في الإجابة عنه» (٢) .

● قواعد النحو وسيلة إلى غاية :

يرى المؤلف أن قواعد النحو ليست غاية بحد ذاتها بل هي وسيلة إلى غاية «وليست القواعد النحوية مجرد معلومات تفهم وتضاف إلى الذخيرة الذهنية من ألوان

(١) المصدر نفسه : المقدمة (ج) .

(٢) النحو الوظيفي : المقدمة (ي) .

المعرفة ، ولكنها وسيلة إلى غاية ، هي وسيلة إلى استقامة اللسان على أساليب معينة ، وأنماط من النطق خاصة . فإذا لم تؤخذ هذه الوسيلة مأخذ التدريب المتصل ، والممارسة المتكررة فلن يستقيم اللسان ، ولن تجد هذه القوالب التعبيرية سبيلها إلى النطق ، ومن ثم لا يكون للنحو أي مظهر من مظاهر الحياة»^(١) .

والفلسفة التي أقام على أساسها كتابه هذا هي التقاء فكرة النحو الوظيفي وأهدافه بفكرة التبويب الجديد لمعالم النحو الوظيفي .

وقد أجمل أسس فلسفة هذا الكتاب وأهدافه على النحو الآتي^(٢) :

١- أن الكتاب يفترض أن قارئه ليس المبتدئين الشادين في تعلم النحو ، بل ممن اجتازوا المرحلة الأولى في تعلمه ، ومروا بمبادئه الأساسية ، ولكن هذه المبادئ قد اختلطت في أذهانهم ، ولم تجد الفرص الكافية لتحليلها واستعمالها استعمالاً سليماً ، فبدأ هؤلاء المتعلمون كأولئك لم يتعلموا من النحو شيئاً ، وهذا الكتاب يتجه إلى إحياء هذه المبادئ والتذكير بها . والتدريب عليها ، لتؤدي ثمارها المرجوة .

٢- لما كان الخطأ في ضبط الكلمات هو أبرز مظاهر هذه المشكلة ، وأن المرفوع ينصب أو يجزم والمنصوب يرفع أو يجزم ، ونحو ذلك من الأخطاء ، ركز الكتاب عنايته في حصر المواضع الإعرابية للكلمات العربية التي يتغير ضبطها بتغير التراكيب ، وهي ما تسمى في النحو بالمعربات... وهذه المعربات لا تتجاوز ستة أنواع ، هي الاسم رفعاً ونصباً وجرّاً ، والفعل المضارع رفعاً ونصباً وجرماً... ومن اليسير أن تحدد المواقع الإعرابية لكل نوع من هذه الأنواع الستة... أما الكلمات العربية التي لا يتغير ضبطها ، والتي تسمى

(١) المصدر نفسه : المقدمة (ط) .

(٢) المصدر نفسه : المقدمة (ك) .

بالمبنيات فهي بعض الأسماء ، وبقية الأفعال ، وجميع الحروف ، والأمر في هذه المبنيات هين ، وليس في النطق بها أية مشكلة ، لأن لها صورة واحدة .

٣- هذا الكتاب لن يسير في تبويب المسائل على النهج المتبع في كتب النحو قديمها وحديثها ، لأن هذه الكتب قد تتناول شيئاً من المبنيات خلال المعربات ، وقد تعرض باباً في الفعل بين أبواب الأسماء ، وقد تتحدث عن أحد المنصوبات قبل أن تستوفي المرفوعات ، وقد تقحم مسألة من الصرف بين موضوعات النحو ، وزيادة على ذلك نرى أن هذا التبويب المتبع يفرق الموضوع الإعرابي الواحد في عدة أبواب ، قد يدرس الطالب بعضها في المرحلة الابتدائية ، وبعضها في المرحلة الإعدادية ، وبعضها في المرحلة الثانوية ، وبعضها في الجامعة ، وربما كان هذا النظام المتبع في المناهج والكتب قائماً على أسس تربوية ، تتصل بعامل التدرج والنمو ، ولكن هذا النهج من الدراسة يظل ناقصاً قاصراً حتى يعززه نهج من الدراسة ، يتجه إلى تجميع هذه الصور المتفرقة ، وردها إلى نوعها الأصلي ، على أن يكون هذا اللون الدراسي أمراً منهجياً ، يعالج في دروس النحو ، وفي كتب النحو أيضاً .

٤- درس هذا الكتاب الأساليب العربية في صورها المشهورة واليسيرة ، واقتصر على هذا المشهور وهذا اليسير في إطار تطبيقي .

٥- العناية بالتدريبات وقد عرضت هذه التدريبات في ثلاث صور متدرجة : الأولى أمثلة مشروحة للتذكر والدراسة ، والثانية أسئلة شاملة متنوعة مقترنة بإجاباتها ، والثالثة أسئلة على النمط السابق ، وترك للطالب التفكير فيها ، والإجابة عنها ... وهدفنا من هذا المنهج تمكين الطالب من أن يعود إلى هذا الكتاب .

٦- حرص المؤلف على أن تدور هذه التدريبات في أمثلة وشواهد من الأدب الرفيع ، وأن يتجنب الحمل المتكلفة ، والعبارات المصنوعة التي يعوزها جمال

التعبير أو شرف المعنى ، حتى تزيد فائدة القارئ ، وتتاح له فرص الاستمتاع الأدبي ، بجانب ما يجنيه من الفوائد النحوية .

٧- نبه الكتاب على الأخطاء الشائعة في الاستعمالات العامة ، وبين ما فيها من أوجه الخطأ ، وصوب هذا الخطأ ، وهذا مما يدخل في دائرة النحو الوظيفي .

٨- تجاوز الكتاب حدود النحو الوظيفي بما عرض له في أبواب المبنيات ، وفي الأدوات التي لها أكثر من استعمال ، وفي الفصول التي عقدها لتعدد الأوجه الإعرابية ، وللأساليب التي يدق إعرابها .

٩- هذا النهج الذي اتبعه المؤلف في تبويب هذا الكتاب على هذه الصورة الجديدة ، وعلى هذا الاتجاه المميز بكثرة التدريبات جاء بعد تجربة عملية طويلة .

وقد قسم المؤلف كتابه إلى مجموعة من الأبواب ، تحدث في الباب الأول عن الأسماء المعربة ، وفي الباب الثاني تحدث عن الأفعال المعربة ، وفي الباب الثالث تحدث عن الجمل والمعربرات عامة ، وفي الباب الرابع تحدث عن الأسماء المبنية ، وفي الباب الخامس تحدث عن الأفعال المبنية ، وفي الباب السادس تحدث عن الحروف ، وفي الباب السابع تحدث عن الأدوات التي لها أكثر من استعمال . وفي الباب الثامن تحدث عن تعدد الأوجه الإعرابية . وأنهى الكتاب بأسئلة حرة ، وتدرّيات عامة على التحليل النحوي .

واختتم كل باب من هذه الأبواب بقدر كبير من التدريبات على القواعد والتحليل النحوي . فأراد المؤلف أن يجمع المتفرقات في مكان واحد ، إذا تحدثت حالاًها الإعرابية ، كي لا يجد الطالب صعوبة في الإمام بالموضوع ليتخلص من صعوبة الإعراب أو ضبط أواخر الكلمات .

وحاول تقديم الظواهر النحوية باستخدام مجموعة من الجداول ، غير أن استعمال الجداول في شرح القواعد النحوية لا يكفي ولا يمكن الطالب من فهم القاعدة بل يدخله في غموض آخر ، لأن فهم التدريبات وحلها يقوم على فهم تام للقاعدة

بأسلوب فيه يسر وتشويق .

ولعل أقرب تقويم لهذا الكتاب ما قاله المؤلف «فليس في هذا الكتاب مما يضيف إلى المكتبة النحوية مرجعاً فريداً ، أو كشفاً مبتكراً ، وإنما هو مشروع تجربة عملية ، تحاول تطويع النحو العربي للسان المتكلمين بالعربية ، واستقامة هذا اللسان على صحة النطق ، وسلامة الأداء وفق أصول النحو وقوانينه ... وليس هذا الكتاب بديلاً عن كتب النحو ، وإنما هو مكمل لها ، يشغل من فراغها الجانب التطبيقي ، والجانب الوظيفي»^(١) .

(١) النحو الوظيفي (ع) .

٥- النحو المصفى للدكتور محمد عيد^(١)

إن الذي دفع المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب هو «أن مسائل النحو القديمة صعبة الفهم على الشادين في النحو ، بل إن بعضها يتعذر استيعابه على الدارسين المتخصصين أنفسهم ، وذلك لامتلائها بالحشو والفضول ، أو كما يقول ابن مضاء «بالمحاكمات والتخييل» ففيها حشود من المجادلات الذهنية العقيمة وألوان من العلل والعوامل التي يسوغها منطق العقل لا منطق اللغة ، يضاف لذلك كله تخريجات مجعدة واستطرادات شتى وفروع من المسائل متفرقة وغير ذلك ، مما ينطمس معه وجه النحو الأصيل تحت ركाम المزيف الدخيل»^(٢) .

ويرى أيضاً أن صعوبة النحو العربي «تتمثل في تشتت أفكاره وكرازة عرضه ، وتحميد أمثله ، وغرابة شواهده ، وهافت الكثير منها ، مما يترتب عليه تلقائياً التمزق والتلملل والكراهية والشكوى المستمرة»^(٣) .

والمؤلف غير راض عمّا في مطولات النحو من صنعة وتعقيد ، ويرى «أن هذا الجهد المشكور للنحاة — رحمهم الله — بعضه مفيد للغة ، وبعضه طفيلي معوق عن الوصول لما هو مفيد . بل إن هذا الأخير هو الغالب على مطولات النحو من مؤلفات

(١) النحو المصفى ، د. محمد عيد ، مكتبة الشباب بالقاهرة عام ١٩٧١ .

(٢) النحو المصفى ، د. محمد عيد ، مكتبة الشباب بالقاهرة عام ١٩٧١ ص/١ .

(٣) النحو المصفى ، د. محمد عيد ، مكتبة الشباب بالقاهرة عام ١٩٧١ : المقدمة (ب) .

المستأخرين ، ورأيت أن الواجب بذل جهد مخلص لتخليص المفيد من الطفيلي المعوق والإبقاء على «نحو اللغة» لا «نحو الصنعة»^(١) ، وهذه الدراسة تتم في إطار منهج مدرّوس يستند إلى الدراسات اللغوية الحديثة^(٢) ، فهدفه إذاً هو تصفية النحو العربي ممّا علق به من صعوبات ، ثم الكشف عن الوجه المشرق للنحو العربي . ولهذا سمي كتابه (النحو المصفى) .

● منهجه في الكتاب :

لخص المؤلف المنهج الذي اتبعه في تأليف هذا الكتاب على النحو الآتي^(٣) :

- ١- يقول : «قبل كتابة أي موضوع (كالحال مثلاً) أراجع كثيراً من كتب مسائل النحو القديمة كشروح الألفية ومؤلفات ابن هشام وغيرهما للإحاطة التامة بكل أفكار الباب ، ثم أقوم بتصفية ما لا فائدة فيه ، وما لا ضرر في تركه كالجمادات الذهنية والاستطرادات الجانبية والتمارين غير العملية ، والمسائل المقحمة في غير موضعها ، وفلسفات العوامل والخلاف حولها ، والعلل والتعليلات والتخريجات الظنية وغير ذلك مما لا يفيد نطقاً وأساء إلى كتاب النحو العربي ، وعوق فهمه ، وأطال نصه ، ليبقى بعد ذلك جوهر الموضوع ونخطه الواضح الأصيل .
- ٢- سيجد القارئ في بعض الأحيان هراً لبعض المسائل التقليدية ونقضاً لها مع ذكر الرأي فيها بعد عرضها في إيجاز شديد كما قررها النحاة — رحمهم الله — وهذا عمل متعمد ورائه منهج علمي مدرّوس ، وهو في الوقت نفسه جانب من جوانب التصفية التي استهدفها هذا الكتاب ومؤلفه .

(١) النحو المصفى ، د. محمد عيد ، مكتبة الشباب بالقاهرة عام ١٩٧١ : المقدمة (أ) .

(٢) النحو المصفى ، د. محمد عيد ، مكتبة الشباب بالقاهرة عام ١٩٧١ : المقدمة (ب) .

(٣) النحو المصفى : المقدمة (ج) .

٣- نظمت الأفكار المصفاة للموضوع بطريقة تصل إلى الذهن متكاملة ومن أقرب طريق ، وقدمت هذه الأفكار المنظمة ملخصة في سطور قليلة عند بدايته لتقدم للقارئ بنظرة واحدة سريعة ما هو قادم عليه من دراسة الباب كله .

٤- عرضت الأفكار بترتيبها في مقدمة الباب بأسلوب سهل لا كرازة فيه ولا غموض ولا تزيد....

٥- استخدمت أمثلة حديثة بدل (زيد وعمرو) تنمي عقل الدارس ، وتقربه من لغة الحياة المعاصرة... وكثيراً ما بدأت بتلك الأمثلة بين يدي الأفكار ، لتكون وسيلة الاستقراء والاستنتاج للتخفيف من منهج عرض النحو المعيارى الجاف .

٦- وضعت بعد كل قسم مجموعة من النصوص للتدريب ، اخترتها من الأدب العربي القديم نثراً وشعراً... ووضعت بعد كل منها أسئلة لم أقدم حلها .

● محتوى الكتاب :

قسم المؤلف محتوى الكتاب إلى خمسة أقسام :

- ١- القسم الأول : تمهيد لدراسة الجملتين الاسمية والفعلية .
 - ٢- القسم الثاني : الجملة الاسمية .
 - ٣- القسم الثالث : الجملة الفعلية .
 - ٤- القسم الرابع : ما يتعلق بالجملتين الاسمية والفعلية .
 - ٥- القسم الخامس : دراسة لأبواب خاصة في النحو (العدد وكنيات العدد).
- ولهذا الكتاب جانبان : جانب نظري يظهر فيما ذكره من ملاحظات ومآخذ على كتب النحو القديمة . وجانب تطبيقي حاول فيه وضع آرائه موضع التطبيق من خلو المنهج الذي اتبعه في تأليف الكتاب . ويظهر ذلك في الأمور الآتية :
- ١- مراجعة كتب النحو :

يبدو لي أن الكتب التي راجعها المؤلف كانت لابن هشام وابن عقيل والأشموني .

أ — عند كلامه على ورود المبتدأ معرفة أو نكرة قال : «جاء في قطر الندى : الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة لا نكرة ، لأن النكرة مجهولة غالباً ، والحكم على المجهول لا يفيد .

وجاء في الأشموني : لم يشترط سبويه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة إلا حصول الفائدة ، ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدي إلى مواضع الفائدة فتتبعوها ، فمن مُقلّ مُنحلّ ، ومن مُكثِر مُورِد ما لا يصح أو مُعَدِّد لأمور متداخلة»^(١) .
وبعد ذلك يشرح هذه الأقوال ، يقول : «ويؤخذ من هذين النصين ما يلي :

أولاً : أن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة ، تقول الصداقة الوفاء والإخلاص فأنت وفي وأنا مخلص فنحن أصدقاء .

ثانياً : أن الأصل في المبتدأ ألا يكون نكرة ، فإن الاستعمال لا يقبله والنطق بذلك لا يفيد ، فلا تقول مثلاً (صديق وفي — أو الوفي) على أن كلمة صديق مبتدأ وما بعدها خبر ، لأن ذلك لا يفيد شيئاً مقنعاً .

ثالثاً : خرج عن هذا الأصل السابق ما إذا أفادت النكرة ، فإنه يصح الابتداء بها ، ومعنى الفائدة : أن تكون الجملة التي استخدمت فيها النكرة مؤدية معنى مفيداً يقبله الاستعمال ، ويقنع به السامع ، كما تقول : «في الصديق نحة وفي الكذب هلاك»^(٢)

وفي دراسة الحال يقول : «أما الحال لدى النحاة فيقصد به — كما جاء في ابن عقيل — الاسم الوصف الفضلة المبينة لهيئة صاحبه ، تقول : يعيش الذليل حقيراً ويعيش الحر كريماً» .

(١) النحو المصطفى : ص ٢٠٧ ، وأنظر : ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ .

(٢) النحو المصطفى : ص ٢٠٨ ، وأنظر : ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ .

ومن ذلك قول عدي بن الرعلاء :

ليس من مات فاستراح يميت إنما الميت يميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كثيراً كاسفاً بأله قليل الرجاء

ومن هذا التعريف السابق يتضح أنه يجب أن تتوفر في الحال الصفات الآتية :

- ١- أن يكون الحال وصفاً ، والمقصود به — كما سبق — ما قيل على معنى وصاحبه ، وهو من المشتقات (اسم الفاعل — اسم المفعول — الصفة المشبهة — اسم التفضيل — أمثلة المبالغة) .
 - ٢- أن يكون الحال فضلة ، والمقصود بها ما تبقى بعد استيفاء الجملة ركنيها الأساسيين من فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر ، وليس معنى الفضلة أنه من فضول الكلام ويصح الاستغناء عنه من حيث المعنى .
 - ٣- أن يكون مبنياً لهيئة صاحبه ، أو بعبارة أخرى «للكيفية التي هو عليها»، أو بعبارة ابن هشام في قطر الندى (أن يكون صالحاً للوقوع في جواب السؤال بكلمة (كيف) ، وتلك علامة الحال التي نلجأ إليها لمعرفة في الجملة^(١) .
- وفي تعريف المفعول معه يقول : «جاء في ابن عقيل : هو كل اسم فضلة وقع بعد واو بمعنى (مع) وتقدمه فعل أو شبهه ، ولم يصح عطفه على ما قبله» وبعد ذلك يشرع في شرح قول ابن عقيل . فيقول : ويفهم من هذا التعريف المركز أن المفعول معه ينبغي أن تتوفر له الصفات التالية :
- ١- أن يكون اسماً لا فعلاً ولا حرفاً .
 - ٢- أن يكون فضلة .
 - ٣- أن يكون هذا الاسم واقعاً بعد (واو) بمعنى (مع) .

(١) النحو المصطفى : ص ٤٥٤-٤٥٥ .

- ٤- أن يتقدم على هذه الواو والاسم معها فعل أو شبه فعل .
 ٥- ألا يصح عطف هذا الاسم على ما قبله لاختلال المعنى — إذ لا تتحقق المشاركة أو لمانع نحوي ، لتختلف صفة من الصفات التي تشترط لصحة العطف

ومن ذلك ما يمثل به في كتب النحو (سرت والنيل) و (استوى الماء والخشبة) و (ذاكرت والمصباح) ، قال القرآن ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ .
 وعلى ذلك ، فليس من المفعول معه الشواهد التالية :
 قول أبي الأسود الدؤلي :

لا تسنة عن خلقي وتأتي مثله عار عليك — إذا فعلت — عظيم

إذ إن الواقع بعد الواو (تأتي) وهو فعل لا اسم ، وهو منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الواو^(١) وهكذا نرى أن المؤلف يشرح عبارة الكلام الذي جاء في كتب ابن هشام أو ابن عقيل ويكرر الشواهد التي جاءت في كتبهما ، ويخرجها كما نخرجوها .
 والمؤلف يأخذ بما أخذ به القدماء في الاحتجاج بالشعر ، ويقف كما وقفوا في عصور الاحتجاج بالشعر ، فعند كلامه على (أن) المصدرية الناصبة للفعل المضارع ، يقول : قال أحد الشعراء المعاصرين :

١- أريد أن أعشق أن المس الأعماق أن المس أعماق
 ٢- أن أعبد الله كما لم أكن أعبد في عمري الباقي
 في ظمائي ظمائي ظمائي فأي يئسوك يا ساقبي

وبعد ذلك علق على هذه الأبيات بأنها من قصيدة (النهر الظامي) للشاعر محمد الفيتوري ، وقد سقت الأبيات للتمثيل لا الاستشهاد^(٢) .

(١) النحو المصنف ، ص ٤٥٠ .

(٢) النحو المصنف : ص ٢٥٥ .

● التصفية والاختيار :

يظهر منهجه في التصفية والاختيار عند حديثه عن تعليق شبه الجملة ، يقول :
« وإنما سميت هذه شبه جملة لأن النحاة تخيلوا متعلقاً لكل من الجار والمجرور والظرف ،
وهذا المتعلق المحذوف يقدر فعلاً أو شبه فعل بطريقة مناسبة لسياق الكلام ، فمثلاً
جملة (الحياة للحياة) تعرب هكذا :

الحياة : مبتدأ مرفوع بالضممة .

للحياة : اللام حرف جر ، الحياة مجرور باللام... والجار والمجرور متعلق بمحذوف
تقديره (الحياة تعاش للحياة أو معاشة للحياة) وهذا المحذوف هو خبر المبتدأ
، ومثله الظرف . ومن البين أن هذا التخييل هو سرّ هذه التسمية .

ثم يعلق على هذا التقدير بقوله : «والحق أن هذا عناء مجهد ، والأحسن
— فيما أعتقد — أن يكون كل من الجار والمجرور والظرف «شبه جملة خبر» دون
بحث عن محذوف مقدر .

جاء في ابن عقيل : وذهب أبو بكر بن السراج إلى أن كلاً من الظرف والمجرور
قسم برأسه ، وليس من قبيل المفرد ولا من قبيل الجملة ، نقل عنه هذا المذهب تلميذه
أبو علي الفارسي في الشيرازيات اهـ ، وهذا كلام في غاية الأهمية ، وفيه غنى عن
التقدير والمشاكلة^(١) . وفي حديثه عن حذف «كان» يقول : «قال ابن هشام
بالنص : وكثر ذلك بعد (أن) المصدرية في مثل أمّا أنت منطلقاً انطلقت أصله :
(انطلقت لأن كنت منطلقاً) ثم قدمت اللام وما بعدها على (انطلقت) للاختصاص ،
ثم حذفت اللام للاختصار ، ثم حذفت (كان) لذلك ، فأنفصل الضمير ، ثم زيدت
(ما) للتعويض ، ثم أدغمت النون في الميم للتفريب ، ثم يعلق المؤلف على هذا التخريج

(١) النحو المصفى : ص ٢١٢ ، وأنظر ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .

التأويل ، فيقول: «والحق أن هذا الكلام السابق — بما فيه من تقديم وتأخير وحذف زيادة وإدغام — صناعة ذهنية مجهدة ، هدفها تسويق حذف (كان) في مثل هذا أسلوب ، وإن كانت اللغة — وهو أسلوب التعبير السلس — تيراً تماماً من تلك صناعة النحوية . والذي أراه — إن لم يجانبني الصواب — أنه لا حذف في هذا أسلوب وإعرابه كالاتي :

سا : حرف شرط وتفصيل .

نت : مبتدأ .

نطلقاً : حال .

نطلقت : جملة فعلية في محل رفع خبر ، والعائد محذوف تقديره (أما أنت منطلقاً انطلقت مثلك) .

وهذا الإعراب السابق يتوافق مع إعراب جملة (أما) في كل صورها اللغوية ، فهو بر لا جديد فيه ، ولكنه مريح من عناء التصور الذهني المجهد للأسلوب الذي معنا»^(١)

❖ الإفادة من الدراسات اللغوية الحديثة :

تأثر المؤلف بالمنهج الوصفي الذي يسجل الحقيقة بلا تأويل أو افتراض أو تحكم ل الذوق أو الرأي الفردي ، فهو يرفض أن يأتي المبتدأ اسم ذات ، والخبر اسم زمان ، نول : «وهذه صورة يرفضها الاستعمال اللغوي ، لأنها لا تفيد شيئاً ، أن ما معنى أن نول : (الشجرة الساعة ، الورقة الآن — الصحيفة الحين) ، هذا كلام لا معنى له لا فائدة فيه ، ومن أجل ذلك لم تستعملها اللغة ، ونص النحاة على رفضها»^(٢) ثم يقول «لكن أوردت كتب النحو بعض عبارات قديمة فيها الإخبار باسم الزمان

(١) النحو المصطفى : ص ٢٥٨-٢٥٩ .

(٢) النحو المصطفى : ص ٢١٧ .

عن اسم الذات مثل (اليوم حمر وغداً أمر)... وقد خضعت هذه العبارات لتأويلات لا طائل تحتها ، والحق أن المتأمل لهذه الاستعمالات يحسّ نبوغاً عن الذوق اللغوي السليم، وينبغي الاقتصار على ما سمع منها»^(١)

وتأثر المؤلف أيضاً بالدراسات اللغوية الحديثة التي ترى أن اللغة مسلك اجتماعي، ففي كلامه على روابط جملة الخبر بالمتبداً يقول : «لعل من المفيد أن يذكر هنا الفكرة اللغوية التالية : اللغة مسلك اجتماعي يصدق عليه ما يصدق على أنواع السلوك الاجتماعية الأخرى ، وفي علاقتنا الاجتماعية إذا قامت صلة بين شخص ومن هو قريب له ، لم تكن في حاجة إلى دلائل تثبتها ، أما إذا قامت العلاقة بين شخص وأجنبي عنه احتاجت إلى ما يسوغها من نسب أو منفعة أو صداقة . هذه الفكرة الاجتماعية السابقة تصدق على المتبداً في علاقته بجملة الخبر ، فإذا كان الخبر هو نفس المتبداً في المعنى — كلاهما من واد واحد — لم يحتج الخبر إلى رابط يربطه بالمتبداً ، كقولك (اعتقادنا : الله واحد ومحمد رسول) .. أما إذا كانت جملة الخبر أجنبية عن المتبداً — كلاهما من واد مختلف عن الآخر — ففي هذه الحالة لا بد من رابط يربطها بالمتبداً»^(٢) .

● الاستعمال اللغوي :

ركز المؤلف كثيراً على فكرة الاستعمال اللغوي ، وسيظهرت على ما أطلقه من أحكام ، ففي حديثه عن وجوب تقديم المتبداً أو تأخير الخبر ، يقول : «الاستعمال العربي هو الذي حدد الترتيب هنا بأنه يجب أن يأتي على الأصل — المتبداً أولاً والخبر ثانياً — ذلك أنه باستقراء هذا الاستعمال وجد أن أسماء الاستفهام — ومثلها الشرط — تأتي في بداية الكلام ، فإذا كان المتبداً واحداً منها وجب تقدمه ، وكذلك إذا اتصل

(١) النحو المصفى : ص ٢١٨ .

(٢) النحو المصفى : ص ٢١٣-٢١٤ ، وأنظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، د. نايف

خرما : ص ١٠٧-١١٠ .

بالمبتدأ (لام الابتداء) فإنه يأتي أولاً ، وهي متقدمة عليه — وهكذا ارتضى الأسلوب العربي — ويترتب على ذلك بدهاء أن يتأخر الخبر»^(١) . وعندما يتحدث ابن هشام عن تصرف الخبر مع (أن) فإن المؤلف يقول : «جاء في قطر الندى : والفرق بينها أن الأفعال أمكن في العمل من الحروف فكانت أحمل لأن يُتصرف في معموها . وهذا تعليل لا قيمة له في دراسة اللغة ، وأن كان يفيد في تثبيت الفكرة في الذهن ، لأن الأساس في كل ذلك هو استعمال اللغة نفسها»^(٢) .

وهكذا نرى أن المؤلف في هذا الكتاب قد قدم وجهة نظره في تيسير النحو العربي وتصنيفته أو تخليصه من التعليل والتأويل ، وما لا يفيد نطقاً مستضيئاً بالمنهج الوصفي . والكتاب يدور في فلك النحو القديم ، فلم يمس مصطلحات النحو القديم ، ولم يحاول أن يهدم قواعد النحو الأصلية ، وكان يميل إلى إغفال الحديث عن العلة في رفع المبتدأ والخبر ، والعامل اللفظي والمعنوي في رفع المبتدأ والخبر . ولم يتوقف المؤلف عند حدود التصنيفية والاختيار بل أوما إلى بعض المسائل النحوية التقليدية وهزها ونقضها^(٣)

وقد نظم الأفكار الخاصة بموضوعات الكتاب ، وتبدو دقة التنظيم في حديثه عن الجملة الاسمية والمبتدأ والخبر ، ونواسخ المبتدأ والخبر ، والجملة الفعلية وتوابعها . ويسبق هذا الكتاب من الكتب النحوية المفيدة في تقديم المادة النحوية وأحكام النحو العربي بطريقة سهلة وبعيدة عن التعقيد النحوي وبأسلوب قريب الفهم . كما أن هذا الكتاب يمثل مرحلة من مراحل التفكير النحوي لدى المعاصرين في إصلاح الكتاب النحوي وتيسيره للدارسين .

(١) النحو المصفى : ص ٢٢٧ .

(٢) النحو المصفى ، أنظر باب النداء والعدد : ص ٤٩٥ ، ٧١٣ .

(٣) النحو المصفى : ص ٢٨٧ .

٦- تجديد النحو العربي

للدكتور عفيف دمشقية ط عام ١٩٧٦

في هذا الكتاب يبين المؤلف نشأة الدرس النحوي ، والجهود التي بذلها النحاة القدماء لخدمة اللغة العربية ، وكان هدفه من صنع هذا الكتاب هو تخليص النحو العربي في نشأته الأولى من شوائب التعقيد ، فدرس نشأة الدرس النحوي محاولاً العودة إلى منابعه الأولى لتيسير النحو لطالب العربية والناطقين بها ^(١) .

ويقع الكتاب في ثمانية فصول تحدث الأول فيها عن أصل النحو العربي ، وعن أسباب وضع النحو ، وعن تلاميذ أبي الأسود الدؤلي ، وعن عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وعمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر الثقفي ، والأخفش الأكبر ، ثم انتقل إلى الكلام على أساتذة سيبويه (يونس بن حبيب ، والخليل بن أحمد) وانتهى إلى الحديث عن نظرية العامل النحوي .

فالكتاب يدور حول البحث عن نشأة النحو العربي وما يلفها من غموض ^(٢) .

وعنوان الكتاب (تجديد النحو العربي) يوهم أنه يدخل في الجهود التي بذلت لإصلاح النحو العربي وتجديده ، غير أن مضمون البحوث التي درسها المؤلف تختلف

(١) تجديد النحو العربي ص ٦.

(٢) تجديد النحو العربي ص ٦.

استلزاماً كبيراً عما نقصده من محاولات تيسير النحو .

خطي متعشرة على طريق تجديد النحو العربي :

هدف المؤلف من كتابه هذا أن يظهر «أهم الآراء التي شاءها الأخفش والكوفيون معالم جديدة على طريق النحو ، وبيان مدى جدتها ، ومبلغ فعاليتها — إيجاباً أو سلباً — في تطور الدرس النحوي ، مذكرين بأن هدفنا الأخير كان ، وسيبقى ، تسهيل النحو على طالبه ، انطلاقاً من مبدأ نخل التراث والإبقاء على ما فيه من زبدة تكون نواة طيبة لنحو عربي جديد»^(١) .

فالمؤلف يريد أن يبحث عن أفضل السبل لتيسير النحو على الطالب ، ورأى أن الأخفش الأوسط والكوفيين آراء جديدة نستطيع أن نستهدي بها عند إعادة النظر في النحو العربي لتيسيره على الطلاب .

١- الأخفش الأوسط :

يرى المؤلف أن الجديد الذي جاء به الأخفش الأوسط في النحو هو أنه لم يأخذ نفسه بالصرامة التي أخذ بها البصريون ، فجاز لديه الشاهد الواحد أو النادر ، وقبل ما كان شاذاً أو لغة رديئة^(٢) ، غير أنه كان يذهب إلى التأويل والتعليل ، وتقدير العامل . ويرى أن الأخفش «كان في إطار منهجه العام (نحوياً تقليدياً) لكن هذا لا يمنع أنه خرج على بعض قواعد مدرسته البصرية»^(٣) .

ولتوضيح منهج الأخفش ضرب المؤلف مجموعة من الأمثلة رأى فيها إفادة في تجديد النحو العربي وتيسيره .

(١) تجديد النحو العربي ص ٦ .

(٢) تجديد النحو العربي ص ٩ .

(٣) تجديد النحو العربي ص ١٦ .

لأن ما جاء به الأحفش «أقرب إلى طبيعة اللغة ومنطق الأشياء»^(١) . ومن الأمثلة التي ذكرها .

أ - أجاز الأحفش دخول (الواو) على خبر (ليس) و (كان المنفية) إذا كان جملة بعد (إلا) تشبيهاً لها بالجملة الحالية مستنداً إلى قول الشاعر :

ليس شيء إلا وفيه إذا ما قابلته عين البصير اعتبار
وقد أنكر الجمهور مذهب الأحفش وقالوا إن الخبر محذوف ضرورة ، أو أن (الواو) زائدة .

وكذلك أنكروا مذهبه في جواز دخول (الواو) على أخبار «كان وأخواتها» غير منفيات كما في قول الشاعر :

وكانوا أناساً ينفقون فأصبحوا وأكثر ما يعطونه النظر الشزر
وقول الآخر :

فظلوا ومنهم سابق دمع له وآخر يثني دمع القين بالمهل
وقالوا إن (أصبح) و (ظل) فعلان تامان ، والجملتان المصدرتان بـ (الواو) بعدهما جملتان حاليتان . ثم يقول المؤلف «وإذا كنا قد أثبتنا للأحفش هذه المسألة ضمن آرائه التجديدية ، فلايماننا بأن رأيه فيها أقرب متناًولاً للمعرب من رأي غيره»^(٢) .

٢-١ الكوفيون :

هدف المؤلف من دراسة النحو الكوفي هو بيان ما جاء به الكوفيون من آراء تفيدنا في تيسير النحو العربي على طالبه من أبناء العروبة وغيرهم^(٣) .
والمؤلف «لا يلمس عند الكوفيين ثورة حقيقية أو محاولة ثورة ، على كثير من

(١) تجديد النحو العربي ص ٧٠ .

(٢) تجديد النحو العربي ص ٦٧-٦٨ .

(٣) تجديد النحو العربي ص ١١١ .

الأمر الأساسى الذى قام عليها علم النحو»^(١) ، كما أنهم لم يفلتوا «من ربة المنطق
الفلسفى وسلطان القياس النحوى ، على الرغم من خضوعهم لهما فى أكثر آرائهم
استطاعوا أن يخرجوا أحياناً بالتماعاات جديرة أن يستهدى بها عند التصدي لإعادة
النظر فى النحو العربى لتيسره على طالبه»^(٢)

وقد عرض المؤلف مجموعة من آراء الكوفيين المفيدة فى تيسير النحو العربى :
أ — ذهب الكوفيون إلى أن الفعل المضارع منصوب بلام التعليل ولام الجحود بغير
تقدير (أن) الناصبة ، وقال المؤلف : «لا يسعنا إلا أن نسجل للكوفيين موقفهم
من نواصب المضارع عامة واستغناءهم عن تقدير (أن) فيها بعيداً عن كل
جدل منطقى مرافق لذلك الموقف»^(٣) .

ب — أجاز الكوفيون تقديم معمول الفعل المضارع المنصوب بلام الجحود عليها نحو :
«ما كان زيداً دارك ليدخل» قياساً على قول الشاعر :

لقد عدلني أم عمرو ولم أكن مقالتها — ما كنت حياً — لأسمها

ويرى المؤلف أن هذا التقسيم «موافق لروح اللغة وللقصد الإلغى الذى يقصده
المتكلم من ورائه ، ثم لأنه يسبعد عن طالب النحو شبح التقدير
والتأويل اللذين أرادهما البصريون حينما راحوا يصرون على أن «مقالتها» فى بيت
الشاعر مفعول به لفعل مضارع محذوف يدل عليه الفعل المذكور ، وأصل الكلام (ولم
أكن أسمع مقالتها) ثم بين الشاعر هذا الفعل المحذوف الذى أضمره بقوله (لأسمها)^(٤)

ج — ذهب الكوفيون إلى أن الاسم المفرد النكرة المنفى ب (لا) النافية للجنس معرب

(١) تجديد النحو العربى ص ١١٣ .

(٢) تجديد النحو العربى ص ١٧٧ .

(٣) تجديد النحو العربى ص ١٧٩ .

(٤) تجديد النحو العربى ص ١٨٠ .

منصوب بما نحو (لا رجل في الدار) . على حين ذهب البصريون إلى أن اسم
(لا) مبني على الفتح في محل نصب ، بحجة أن أصل (لا رجل في الدار) هو :
لا من رجل في الدار . فلما حذفت (من) من اللفظ وركبت اللفظة مع (لا)
تضمنت معنى الحرف فوجب أن تبني .

وقال المؤلف : «إنه من الأفضل والأيسر على العرب — إن لم يكن من الإعراب
التقليدي بدّ — أن يجاهر بنصب اسم (لا) النافية للجنس كيفما وقع ، بدلاً من أن
يلجأ إلى التقرّر والتعقيد ، فيقول بينائه على الفتح ، أو على الياء في حال التثنية أو جمع
المذكر السالم . أو على الألف في حال كونه من الأسماء الخمسة ، أو على الكسر بدلاً
من الفتح في حال كونه جمعاً مؤنثاً سالماً ، وينصبه محلاً لأن (لا) تعمل النصب كما
تعمله (إن) ...

وبعد أليس من التعسف الذي لا مسوغ له الإصرار على بناء اسم (لا) النافية
للجنس وإكراه العرب على القول بأنه (مبني) في محل (نصب) ؟^(١) .



(١) تجديد النحو العربي ص ١٨٥-١٨٦ وأنظر ص ١٨٨ .

٧- النحو المعقول للدكتور محمد كامل حسين

قدم الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بحثاً إلى مجمع اللغة في القاهرة ، وفي عام ١٩٧٢ نشر هذا البحث بكتاب عنوانه (النحو المعقول) ، تناول فيه صعوبات النحو العربي ، ودعا فيه إلى تيسير قواعد النحو العربي بحيث يصبح إتقان النحو أمراً مستطاعاً دون عناء كبير .

وقد وضع الأسس الآتية لتحقيق هدفه هذا ^(١) :

- ١- ليس من المستحيل أن نضع للفصحى قواعد جديدة تكفل لنا صحة الكلام من غير طريق النحو القديم .
- ٢- القواعد الجديدة ليست تيسيراً للنحو القديم ولا إيضاحاً له ، وليست شرحاً لغوامضه ، وإنما هي بديل منه ، إذ هي تقوم على أسس تختلف اختلافاً جوهرياً عن الأسس التي أقام عليها النحاة علمهم منذ اثني عشر قرناً .
- ٣- السليقة اللغوية كما فهمها الأقدمون خرافة ، وأن اللغة احتذاء وقياس وذوق ، وكل كلام له سند من أحد هذه الأمور الثلاثة يجب أن يعد صحيحاً وإن تخالف القواعد الوضعية .
- ٤- اللغة ظاهرة طبيعية ، ونظامها على ذلك يجب أن يكون بسيطاً غير معقد ،

(١) النحو المعقول د. محمد كامل حسين ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٢٧ لعام

١٩٧١ ، ص ٢٥-٢٦ .

وكثرة القواعد التفصيلية تدل على أن واضع النظام لم يتبين الأصول الكبرى لصحة الكلام . والقواعد المعقدة تدل بتعقيدها على أنها غير طبيعية ، وعلى أنها لم تكن في يوم من الأيام رائدة المتحدثين باللغة .

٥- الأصل في القواعد الطبيعية الخسبة أن تكون شاملة مرنة ، ويجب فوق كل شيء أن تكون ذات مغزى ، وأن تدل على فروق في المعاني يريدها المتكلم . وكل قاعدة لا تحمل دليلاً على فروق في المعاني لا تكون إلا عبئاً ثقيلاً ينوء به الدارسون ، ولذلك نراهم يستجاولونها بعد قليل لضمورها في أذهانهم . والتعقيد يفقد القواعد فائدتها الأولى وهي هداية المتكلم إلى الصواب فتصبح قيوداً وأغلالاً وعقبات يتعثر فيها المتكلمون ، فتعوقهم عن الانطلاق في التفكير ، وتفقدتهم ثقتهم بأنفسهم لكثرة ما يقال لهم هذا خطأ وهذا يحتاج إلى تأويل .

٦- كثرة القواعد تجعل المتكلم يفكر فيها ويتذكرها عند كل خطوة بخطوها أكثر من تفكيره في موضوع الحديث .

٧- ليست اللغة العربية بدعاً بين اللغات ومن المستحيل عقلاً أن يكون فصحاء العرب ألبوا تلقائياً بهذه القواعد مهما تكن سليقتهم مرأة من كل عيب . والواقع أن قواعد اللغة العربية بسيطة جداً يمكن الإمام بها بعد درس غير مرهق، ولا يحتاج المتعلم بعد ذلك إلا إلى المراتة على تطبيق هذه القواعد الشاملة فيستقيم بذلك لسانه دون عناء كبير .

وبعد ذلك قرر الباحث أن أزمة اللغة العربية الفصحى تقع مسؤوليتها على أسلوب التعليم ، وترجع إلى طبيعة القواعد التي لم يستسغها المحدثون والمتعلمون . «وجهـور المتعلمين لا يرون أن يقضي الإنسان حياته عاكفاً على شيء لا يرى فيه فائدة له في ميادين الفكر والتعبير» (١) .

(١) النحو المعقول ص ٢٧ .

وبعد توجيه هذا النقد إلى النحو يقول : «وأعود فأقول إنني لا أدعو إلى تغيير مقاييس
الفصحى في العربية الفصحى ، وإنما أقول إننا نستطيع وضع قواعد بسيطة جداً يمكن أن
يلم بها المتعلمون في وقت قصير فيتجنبوا اللحن في أكثر كلامهم»^(١) .
وقد قسم الباحث بحثه إلى قسمين : القسم الأول تحدث فيه عن القواعد العامة
للنحو والصرف (الإعراب والصرف والمشتقات) .
والقسم الثاني : ضم عدداً من التعليقات على الإعراب والصرف والمشتقات ،
بالإضافة إلى كلامه على قراءة العدد ورسم الهمزة .
وستناول بالدراسة :

● أهم الموضوعات النحوية التي عرض لها في بحثه :

١- الإعراب : ذهب الباحث إلى أن «الأصل في الإعراب — وهو تغيير حركة
أواخر الكلمات — أن يعين على وضوح المعنى ، وعلى ذلك يجب أن يكون المعنى هو
الذي يحدد الإعراب»^(٢) .
ورأى أن «الكلمات التي لا يتغير مدلولها مهما يكن وضعها في العبارات المختلفة
لا يلحقها الإعراب كالفعل الماضي وحروف الجر . وبعض كلمات أخرى مثل : قط ،
وعوض ، وقبل ، وبعد»^(٣) .
وبعد ذلك وضع قواعد أساسية لإعراب الاسم على النحو الآتي :

- الاسم :

يرفع الاسم المتحدث عنه والخبر المتعلق به .

(١) النحو المعقول ص ٢٧ .

(٢) النحو المعقول ص ٢٧ .

(٣) النحو المعقول ص ٢٧ .

ويجر الاسم المضاف إليه والمسبوق بحرف جر .
وينصب الاسم في ما عدا ذلك حيث يكون مكملًا للخبير .

- الفاعل :

يرفع إذا أريد تقرير حدث بعينه .

وينصب على الغائية كأن يكون غرضاً أو نتيجة لحدث سابق ، أو أن يكون نفيًا لحدث في المستقبل . وبعد حرف (أن) . ويجزم إذا أصاب الحدث نقص ، كأن يكون نفيًا في الماضي ، أو فعل أمر حيث لا يقع الحدث إلا إذا أطيع الأمر . أو أن يكون الحدث معلقاً وقوعه على حدث آخر ، وهذا هو الشرط .

- رفع الاسم :

القاعدة : يُرفع الاسم المتحدث عنه والخبير المتعلق به وما يتبع ذلك من أوصاف أو معطوفات كما في الأمثلة الآتية :

الجملة	المتحدث عنه	الخبير	ملاحظات
قام محمد	محمد	قام	لا يؤثر التقسيم أو التأخير في إعراب المتحدث عنه .
محمد قام	محمد	قام	الفرق بين هذه الجمل بلاغي وليس إعرابياً .
محمد قائم	محمد	قائم	{
ما محمد قائم	محمد	قائم	
هل قائم محمد	محمد	قائم	
كان محمد قائماً	محمد	كان قائماً	الواقع أن كان هي الخبر وقائماً تكملته منصوبة . ولا داعي لـ"أنه" -راد «كان وأنحواتها» بأحكام خاصة .

– الشذوذ :

إن محمداً قائم محمداً قائم
يُنصب المتحدث عنه لأن
الضمائر التي تلي هذه
الكلمات منصوبة فحرت
العادة أن ينصب ما بعدها
وأن كان متحدثاً عنه .

وله رأى غريب في منع كلمة (أشياء) من الصرف يقول : «حار النحويون في
تعليل جر أشياء بالفتحة في قوله تعالى : «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَلَتْ كُفُّوا عَنْهَا» . وعندني
أن السبب هو أن بعدها (إن) وليس من جملة القول أن نقول (عن أشياء أن) ، وفيه
دليل على أن الذوق أدق وأرقى من القواعد» ^(١) .

● نصب الاسم :

ذهب الباحث إلى أن الاسم ينصب ويسمى (تكملة) إذا لم يكن الاسم متحدثاً عنه
ولا خبراً له ، ولا مجروراً ولا وصفاً ولا معطوفاً على مرفوع أو مجرور ، وذلك إذا
وقع الاسم بياناً لما وقع عليه الحدث أو توكيداً أو بياناً لزمانه أو مكانه أو هيئته أو سببه،
ولا يشذ عن هذه الأحكام سوى جمع المؤنث السالم فإنه ينصب بالكسرة» ^(٢) .

وسأذكر بعض الأمثلة التي ذكرها لإيضاح نصب الاسم .

الجملة	المنصوب	ملاحظات
كتب محمد كتاباً	كتاباً	وقع عليه الحدث وهو الكتابة.
كان محمد قائماً	قائماً	كان وأخواتها لا تنصب خبرها لخاصية فيها بل ينصب لأنه تكملة .

(١) النحو المعقول ص ٣١ .

(٢) النحو المعقول ص ٣٣ .

● إعراب الفعل :

يرى أن «الفعل الماضي لا تتغير حركة آخره لأن معناه ليس قابلاً للتغيير باختلاف التراكيب»^(١) ، ومن الآراء الغريبة جداً ما قاله في نصب الفعل المضارع «علامات النصب في الأفعال السليمة الفتحة ، والألف في المثني لن يكتباء ، والواو في الجمع لن يكتبوا»^(٢) .

وكذلك قوله في جزم الفعل المضارع «علامات الجزم في الأفعال السليمة : السكون لم أكتب ، والألف في المثني لم يكتباء ، والواو في الجمع لم يكتبوا»^(٣) .
لست أدري كيف تمكن الباحث من قول هذا ؟ لأن هذا النحو نحو غير معقول ، ولا نستطيع أن نجد له وصفاً أصدق من هذا الوصف .

● العدد :

لفتت مشكلة العدد انتباه الباحث لأنها من أكبر مشكلات اللغة العربية ، واقتراح حلاً لهذه المشكلة على النحو الآتي :

إذا كان العدد بالحروف فيقرأ معرباً مكسوراً الآخر مسبوقاً بكلمة (عدد) ، وإذا كان العدد أرقاماً قرئ بالتسكين في كل الحالات «وليس لهذه المشكلة حل إلا أن نضع قاعدة عامة للعدد تجعله دائماً على هيئة واحدة فتذكر المعدود مسبوقاً بكلمة (من) ونقدر كلمة عدد بعد ذلك فنقول تدخل المدارس من الطلاب (عدد) مليونين وثلاثمائة وخمسة عشر ألفاً وأربعمائة وخمسة . على الجذر دائماً بإضافة كلمة عدد المقدرة إليه فلا يكون هناك اختلاف في الإعراب أو الجنس . هذا إذا كان العدد مكتوباً .

(١) النحو المعقول ص ٣٣ .

(٢) النحو المعقول ص ٣٤ .

(٣) النحو المعقول ص ٣٥ .

أما إذا أردنا قراءة الأرقام فلا مفر من جعل العدد مبنياً على السكون في كلمات مئة وألف ومليون ، فنقول دخل المدارس من الطلبة ٢,٣١٥,٤٠٥ تقرأ هكذا : اثنين مليون وثلاثمائة وخمسة عشر ألف وأربعمئة وخمسة على ما يشبه الحكاية وكان الرقم مستقل لا علاقة له بالمعدود»^(١) .

وهكذا يرى أنه بهذه الاقتراحات قد وضع حلاً لمشكلة العدد .
وبعد أن بين الباحث بعض الصعاب التي خلقها النحويون فقد رأى أنه يسهل تخنّب هذه الصعاب بوضع قواعد جديدة شاملة نصل بها إلى صحة الكلام من طريق غير الطريق المألوفة .

ولبيان وجهة نظره ذهب إلى شرح طريقته في حل صعوبات النحو العربي . لأنه يرى أن الأخذ بها أصبح واجباً إذا أريد للغة العربية الفصحى أن تتفق والتفكير الحديث .
١ - المتحدث عنه :

يرى الباحث أن المتحدث عنه لا يحتاج دائماً إلى خبر متعلق وفي رأيه أنه ليس من الضروري أن نحدد أي الاسمين متحدث عنهما وأيها خبر ، فهذا بحث بلاغي لا يتعلق به إعراب أي منهما ، غير أنه يقرر أن بعض الناس يجدون صعوبة في معرفة المتحدث عنه ، وهذا يرجع إلى ما تعودناه من القواعد القديمة حيث يجب البحث عن اسم وخبر لمثل (كأن) و (أن) ، ويرى أنه لا داعي لشيء من ذلك في صحة الإعراب ، وأنه لا فائدة من الإعراب كما تعودناه^(٢) .

ثم يضرب مثلاً يوضح فيه وجهة نظره ، فيقول : «ولنبحث عن عبارة (ظن) محمد أن الأمير كان عارفاً قدره» في الإعراب القديم نبحث عن خبر «ظن» ونقدر أنه الجملة التالية ، ثم نبحث عن خبر (أن) ونقدر أنه الجملة التالية ، ثم نبحث عن اسم

(١) النحو المعقول ص ٥٨ .

(٢) النحو المعقول ص ٤٢ .

كان ونقدر أنه ضمير مستتر ، ثم نذكر أن (قدره) منصوبة باسم الفاعل . كل هذا عناء لا داعي له . والإعراب الطبيعي يقول المتحدث عنه في الظن محمد ، وهو مرفوع ، والمتحدث عنه بعد ذلك الأمير ، وحق هذه الكلمة الرفع لولا وقوعها بعد (أن) ، وعارفاً تكملة للكينونة فهي منصوبة و (قدره) تكملة للعرفان فهي منصوبة ^(١) .

٢- التقديم والتأخير والنفي والاستفهام :

يرى الباحث أنه «ليس لهذه الأمور أثر في الإعراب فالتحدث عنه مرفوع دائماً سواء تقدم أو تأخر . والتكملة حقها النصب دائماً مهما يكن موضعها من الجملة» ^(٢) .

٣- الاستثناء:

ذهب الباحث إلى أن (إلا) أداة وصل أو فصل ترتبط بها أجزاء العبارة الواحدة . وليس من الضروري أن يكون معناها استثناء ما بعدها مما قبلها ^(٣) . ويضيف قائلاً : «الاستثناء لا يؤثر في الإعراب شيئاً فإذا كان المستثنى متحدثاً عنه أو خبراً معلقاً به كان حقه الرفع . وإلا فهو منصوب على أنه تكملة ، وفي عبارة (ما قام إلا محمد) يرفع (محمد) لأنه متحدث عنه ، وفي عبارة (ما محمد إلا رسول) ترفع رسول لأنها خبر متعلق بالتحدث عنه ، وفي ما عدا ذلك يكون المستثنى تكملة منصوبة كما في الآية «فسجدن إلا إبليس» وعلى ذلك يكون المعنى هو الذي يحدد إعراب المستثنى وليس لكلمة (إلا) أثر في إعراب ما بعدها ^(٤) .

وفي إعراب «غير» يقول : «أما إعراب (غير) فقد وضع النحاة له قواعد من أعجب العجائب فيقولون إنه يقع عليها إعراب المستثنى بإلا ، ولا أعرف قاعدة أقل

(١) النحو المعقول ص ٤٢ .

(٢) النحو المعقول ص ٤٣ .

(٣) النحو المعقول ص ٤٣ .

(٤) النحو المعقول : ص ٤٣ .

فائدة للمتكلمين والقراء من هذه القاعدة . كان على المتكلم أن يقف ويغير عبارته إلى الاستثناء بالإلا ثم يقدر حركة ما بعدها ثم يعود إلى عبارته الأولى فيعرب غير إعراب ذلك المستثنى . وهذا بالطبع من أشد القواعد صعوبة وعقماً . والواقع أن (غير) كلمة ككسل كلمات اللغة ترفع إذا كان متحدثاً عنها مثل «لا يقع في الشر غير فاعله» وفي الآية الكريمة «بالكر من البر» المتحدث عنه (غيره) فهي واجبة الرفع ، فإذا قلت «مالكم إله غيره» فالتحدث عنه إله وغيره متعلقة بكلمة إله أو هي كما يقولون بدل منها . ومثل هذه عبارة «لكل داء دواء غير الكي» فغير الكي متعلقة بالدواء ويجب رفعها ، وليس كذلك عبارة (لكل داء دواء غير الموت) لأن غير الموت استثناء من العبارة السابقة ولا علاقة لها بكلمة دواء . فهي تكملة واجبة النصب . من ذلك يتبين أن إعراب (غير) لا يختلف في شيء عن إعراب غيرها من الكلمات ، ولا داعي لوضع قاعدة خاصة بها» (١) .

٤٤٠ كان وأخواتها :

الراجح : «جعل النحاة لهذه الأفعال صفات خاصة كأنها تختلف عن الأفعال الأخرى ، وهي في الواقع لا تختلف عنها في شيء . جعلوا لها اسماً فإن لم يكن مذكوراً قدروه وجعلوا لها خبراً إذا لم يكن كلمة جعلوه جملة . ولا أدري لذلك سبباً إلا أنهم وجدوا أن هذه الأفعال تنصب اسماً يأتي بعده سموه خبرها ، لما كانوا قد حددوا مواضع النصب مفعولاً ومفعولاً به ، ومفعولاً مطلقاً إلى آخر ما نصوا عليه وجدوا أن خبر كان لا يدخل تحت باب من هذه الأبواب فجعلوا نصبه خاصاً بكان وأخواتها . ولما كنا في القواعد الجديدة نقول أن هذه المنصوبات كلها نصبت لأنها تكملة للخبر أو الحدث فلا معنى بعد ذلك لتخصيص باب خبر كان . فهو منصوب لأنه تكملة للكينونة أو الإصباح أو الإمساء وغير ذلك . وعلى ذلك لا يكون هناك ما يدعو إلى

(١) النحو المعقول ص ٤٤ .

البحث في اسم كان وخبرها . اسمها مرفوع بالطبع لأنه متحدث عنه وخبرها منصوب بالطبع لأنه تكملة . فإذا لم يوجد أحدهما فلا داعي لتقديره»^(١) .

٥- إن وأخواتها :

يرى الباحث أن «المتحدث عنه مرفوع دائماً و شد عن ذلك أن تسبقه (إن أو إحدى أخواتها)» . والشذوذ أمر مألوف في اللغات ، ولا داعي لالتماس علل الشذوذ»^(٢) .

٦- المنادى :

يرى الباحث أن «المبحث الهام في المنادى هو في أدواته ودلالاتها . والقدمات ذكروا بعض هذه الأدوات وقالوا إنها للقريب أو البعيد ومنها ما هو للقريب والبعيد . وعندي أن هذا التعبير (القريب والبعيد) لا يتعلق بالمكان ، ولا يعقل أن تستعمل أداة للمنادى إذا كان على بعد متر وأخرى إذا كان على بعد عشرين متراً . وهم أرادوا بالقريب أن يكون المنادى موجوداً فعلاً ومخاطباً ، والبعيد هو ما كان المنادى غير حاضر فتكون المناداة أشبه بالمناجاة ، فإذا قال الشاعر :

أفأطم مهلاً بعض هذا التدلل .

فليس معنى ذلك أنه يخاطبها فعلاً فقد تكون بعيدة عنه . والنداء هنا مناجاة وأداة هذا النوع من النداء القريب الممزة أو أي أو أيا . أما الأدوات الأخرى وخاصة (يا) فتصلح لكلا هذين النوعين من النداء على أن التفريق بين الأدوات ليس حاسماً وليس حتمياً»^(٣) .

(١) النحو المعقول ص ٤٤-٤٥ .

(٢) النحو المعقول ص ٤٥ .

(٣) النحو المعقول ص ٤٥-٤٦ .

٧- التكملة :

ذهب الباحث إلى أن الاسم ينصب إذا كان تكملة للحدث ، وأن الأغراض التي تحققها عبارات التكملة متعددة مختلفة ، ولا يرى ما يدعو إلى تفصيلها كأن يقال منصوبة على الحال أو التمييز . وبعد ذلك يقول «وليس صحيحاً ما قال النحاة في إعراب عبارة «نحن المصريين نفعل كذا» فهم يقولون أن التقدير ونخص المصريين . وهذا بالطبع غير المعنى المقصود . والواقع أن المصريين هنا نصبت حتى لا يتبادر إلى ذهن السامع أنها خبر للمتحدث عنه وهو نحن»^(١) .

٨- نصب الفعل :

ذهب الباحث إلى أن الفعل ينصب على الغاية كأن يكون نتيجة أو غرضاً أو غاية لما سبقها ، لكنه يرى «أن النحاة جعلوا لبعضها شروطاً خاصة حين تنصب الفعل، فمن ذلك الفاء ، قالوا : أنها لا بد أن يسبقها النفي أو الاستفهام أو التمني فزادوا بذلك الأمر تعقيداً. ولا أرى ما يدعو إلى ذلك ويكفي أن يكون المتكلم أراد حقاً أن يدل على أن الفعل غاية لما سبقه .

والحكم في ذلك للمعنى ولما يريد المتكلم . مثال ذلك «ولبس عباءة وتقر عيني» . فإذا أردت أن تكون قرّة العين نتيجة لللبس العباءة كان النصب . وإذا أردت مجرد العطف فيجب الرفع . بهذا نتخلص من كثير من التعقيد الذي يحيط بهذا الباب»^(٢) .

« أن وإن :

ذهب الباحث إلى وضع قاعدة جديدة وذلك بكسر همزة (أن) عندما تقع في أول جملة قائمة بذاتها سواء أكانت الجملة في أول الكلام أم في غضونه ، وتفتح همزة (إن)

(١) النحو المعقول ص ٤٥-٤٦ .

(٢) النحو المعقول ص ٤٨ .

في كل ما عدا ذلك . وقال : «ويظن بعض الناس أن كلمة (قال) تحتّم كسر همزة (إن) بعدها ، ولعل السبب في ذلك . أن العرب كانوا إذا ذكروا (قال) ذكروا بعدها نصّ القول . فإذا بدأ بكلمة (إن) وجب كسر همزها فتقول «قال محمد . إنني قادم» . وكانوا إذا أرادوا غير النص استعملوا كلمة أخرى غير قال نحو : ذكر محمد أنه قادم . أما نحن فقد تعودنا أن يكون ما بعد قال نصّاً وغير نصّ ، فوجب التفريق بينهما . فيكون النص قولاً مباشراً وغير النص قولاً غير مباشر فنقول : قال محمد إنني قادم . قول مباشر ويجب كسر همزة (إن) ، أما قال محمد أنه قادم ، فقول غير مباشر ، والهمزة واجبة الفتح والمعنى لا يستقيم بغير ذلك» ^(١) .

« أي :

يقول الباحث «الواقع أن العيب ليس فيها ، وإنما في القواعد التي وضعت لها ، فهي ترفع حين تكون متحدثاً عنها . مثل : أَيْكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا . وتنصب حين يقع عليها الحدث سواء تقدمت أو تأخرت . مثل «أَيُّهَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ» فليس في إعرابها شيء غريب ، ولا داعي لتقدير فعل ينصبها حين تنصب» ^(٢) .

« حتى :

يقول الباحث «لم يكن الكسائي ليموت وفي نفسه شيء من (حتى) لو أنه اتبع المعنى ولم يتبع اللفظ . فقولك : أَكَلْتُ السَّمَكَةَ حَتَّى رَأْسَهَا يتعين النصب إذا أردت أن رأسها وقع عليه الحدث وهو الأكل . وتقول : أَكَلْتُ السَّمَكَةَ حَتَّى رَأْسَهَا إذا أردت أن تقول أَكَلْتُهَا إِلَى رَأْسِهَا . ولا معنى لقولهم حَتَّى رَأْسَهَا ، على تأويل حتى رأسها مأكول ولا مسوغ لهذا الوجه إلا إظهار البراعة في التأويل والتخريج . ولا

(١) النحو المعقول ص ٥١ .

(٢) النحو المعقول ص ٥١ .

أحسب أن له أصلاً في اللغة»^(١) .

◀ لا :

يقول الباحث «لا النافية للجنس قامت حولها مناقشات كثيرة ووضعت لها قواعد خاصة ولا داعي لشيء من هذا كله . وليس من المعقول أن يقال لا رجل في الدار بل رجلان . والواقع أن (لا) تدل على أحد معنيين ، إما النفي البسيط وإما النفي البات القاطع السدي يراد تأكيده . فالنفي البسيط كما في عبارة «لا تخوف عليهم» والنفي البات كما في عبارة «لا ريب فيه» حيث يكون المراد النفي القاطع . وإذا جاء رجل متلفه يستغيث بك فتقول له «لا تخوف عليك» يجب الفتح . أما إذا تحدث رجلان عن مكان ما فقالا عنه أنه آمن (لا تخوف فيه) فذلك نفي بسيط ويكون الضم أولى»^(٢) .

◀ كم :

يرى الباحث «أن (كم) إذا كانت للتكثير فخير عبارة تدل على ذلك أن تتبعها (من) مثل «كم من فئة قليلة» وحذف من لا يكون إلا للضرورة . أما إذا أريد بها الاستفهام عن العدد فتقول : «كم ثوباً اشتريت» ثوباً منصوبة لوقوع حدث الشراء عليها . وقولك : «بكم درهم اشتريت» تكون درهم محرورة بالباء لأن كم الاستفهامية لا عمل لها مطلقاً . ولا أرى مانعاً من أن تسأل فتقول : كم رجل قام ، ولم يرد هذا التعبير في مأثور القول»^(٣) .

◀ الأضداد :

يقول الباحث «هذا باب يجب أن لا يكون له وجود في العربية الحديثة ،

(١) النحو المعقول ص ٥١-٥٢ .

(٢) النحو المعقول ص ٥٢ .

(٣) النحو المعقول ص ٥٢ .

ويكفيها منه ما جاء في المعاجم القديمة . على أن لا يذكر منه شيء في المعاجم التي
تؤلف في عصرنا»^(١) .

● تقويم الكتاب :

أرجع الباحث صعوبة النحو العربي إلى أسلوب التعليم وإلى طبيعة القواعد التي لم
يعد يستضيفها المحدثون ، وأخطر ما في هذا الكتاب أن صاحبه أراد أن يضع للفصحى
قواعد جديدة بدلاً من النحو القديم . والقواعد التي دعا إليها تقوم على أسس تختلف
اختلافاً جوهرياً عن الأسس التي أقام عليها النحاة علمهم منذ اثني عشر قرناً .

لأنه يرى «أن اللغة احتذاء وقياس وذوق ، وكل كلام له سند من أحد هذه
الأمر الثلاثة يجب أن يعد صحيحاً وإن خالف القواعد الوضعية»^(٢)

لكنني أرى أن الإنسان يتعلم النحو وأحكامه من ممارسته للغة وفهم نظام اللغة
وأحكامها ولا نصل إلى هذا الهدف إلا إذا عدنا إلى تحليل ودراسة النصوص الأصلية ،
وإذا كان المؤلف يدعو إلى الاحتذاء ألا تعد دراسة النصوص الأصلية احتذاء .

فإصلاح النحو يجب أن يبدأ أو يتم من قواعده بعيداً عن الابتداع الذي يخالف
فهم نظام اللغة وتركيبها . ولهذا نرى أن كل محاولات التيسير التي ابتعدت عن
الأصول التي استخرج منها النحاة القواعد والأحكام لم يحالفها النجاح أو البقاء .

وقول المؤلف أن اللغة احتذاء وقياس وذوق... يتناقض مع قوله «إني لا أدعو إلى تغيير في
مقاييس الصحة في العربية الفصحى ، وإنما أقول أننا نستطيع وضع قواعد بسيطة جداً يمكن أن
يلم بها المتعلمون في وقت قصير فيتجنبوا اللحن في أكثر كلامهم»^(٣) .

والباحث يعترف بأن «قواعد اللغة العربية بسيطة جداً يمكن الإمام بها بعد درس

(١) النحو المعقول ص ٥٤ .

(٢) النحو المعقول ص ٢٦ .

(٣) النحو المعقول ص ٢٧ .

غسير مرهق ولا يحتاج المتعلم بعد ذلك إلا إلى المراجعة على تطبيق هذه القواعد فيستقيم بذلك لسانه دون عناء كبير»^(١).

وقد أقام الباحث نحوه المعقول على قواعد النحاة فهو يرى أن الاسم يرفع الاسم المتحدث عنه والخبر المتعلق به ، ويجر الاسم المضاف إليه والمسبوق بحرف جر .

ويسرى أنه إذا لم يكن «الاسم متحدثاً عنه ولا خبراً له ولا مجروراً ولا وصفاً ولا معطوفاً على مرفوع أو مجرور»^(٢) فإنه ينصب إذا كان تكملة للخبر كان يكون بياناً لما وقع عليه الحدث أو تأكيداً له أو تحديداً لزمانه أو مكانه أو هيئته أو حاله أو سببه إلى غير ذلك من الأغراض التي لا داعي لتحديدتها»^(٣).

ويسرى أن (كان وأخواتها) لا تنصب خبرها لخاصية فيها بل ينصب لأنه تكملة للخبر أو الحدث ... فهو منصوب لأنه تكملة للكينونة أو الإصباح أو الإمساء وغير ذلك»^(٤) ففي نحو (كان محمد قائماً) يرى أن (كان) هي الخبر و(قائماً) تكملة منصوبة»^(٥).

وكيف نسلم بما قاله المؤلف إذا كانت (كان وأخواتها) ليست أفعالاً حقيقية إلا لفظاً وتصرفاً ، ولا دلالة لها على حدث ، والفعل الحقيقي يدل على حدث ، وزمن ، وهذه إنما تدل على زمان وحسب في الخبر ، وقد صار الخبر كالعوض عن الحدث ، فلذا لا تتم الفائدة إلا به»^(٦).

وكيف نظمنا إلى ما ذهب إليه الباحث في أن خبر كان هو تكملة وأن خبر كان هو

(١) النحو المعقول ص ٢٦ .

(٢) النحو المعقول ص ٣٢ .

(٣) النحو المعقول ص ٣٢ .

(٤) النحو المعقول ص ٤٤ .

(٥) النحو المعقول ص ٢٩ .

(٦) المقتضب ١٠٤/٤ .

الفعل (كان) لأن وجود الفعل في الجملة — حسب رأيه — يكون هو الخبر المتعلق بالمتحدث عنه ، كيف نطمئن إلى هذا إزاء رأي الكوفيين الذين أخذ برأيهم الدكتور شوقي ضيف وذهب إلى أن الاسم المرفوع بعد كان هو فاعل ، والمنصوب حال ^(١) .

وقد قرر الباحث أن المتحدث عنه مرفوع دائماً غير أن هذا الأمر لم يستقم لأن الاسم المتحدث عنه قد جاء منصوباً في نحو (إنّ محمداً قائم) فاعتبر ما هو مألوف لدينا من الشذوذ ، يقول : «تبين لنا أن المتحدث عنه مرفوع دائماً وشذ عن ذلك أن تسبقه (أن) أو إحدى أحوالها ، والشذوذ أمر مألوف في اللغات» ^(٢) لأن «العادة جرت أن ينصب ما بعدها وإن كان متحدثاً عنه» ^(٣) وهذا يؤدي إلى اضطراب في ما بنى عليه نحوه المعقول .

ومن الآراء الغريبة التي ذكرها في المنصوب على الاختصاص قوله «وليس صحيحاً ما قال النحاة في إعراب عبارة (نحن المصريين نفعل كذا) فهم يقولون إن التقدير نخص المصريين . وهذا بالطبع غير المعنى المقصود . والواقع أن المصريين هنا نصبت حتى لا يتبادر إلى ذهن السامع أنها خبر للمتحدث عنه» ^(٤) هذه قاعدة مبهمة عسيرة الفهم .

وكيف نطمئن إلى ما قاله في تخريج أسلوب الاختصاص الذي يرى فيه الدكتور شوقي ضيف أن كلمة (المصريين) مثلاً هي تمييز ^(٥) .
ومن الآراء الغريبة التي ذكرها في منع كلمة (أشياء) من الصرف قوله : «حار

(١) تجديد النحو ص ١٢ .

(٢) النحو المعقول ص ٤٥ .

(٣) النحو المعقول ص ٢٩ .

(٤) النحو المعقول ص ٤٧ .

(٥) تجديد النحو ص ١٩٣ .

النحويون في تعليل جر أشياء بالفتحة في قوله تعالى «لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم
 تسؤلكم». وعندي أن السبب هو أن بعدها (إن) وليس من جميل القول أن نقول
 «عن أشياء إن». وفيه دليل على أن الذوق أدق وأرقى من القواعد»^(١). لو أخذنا
 بتعليله هذا لأصبح لكل إنسان نحو خاص به ، وفي هذه الحالة لسنا بحاجة إلى وضع
 قواعد اللغة ، وحينئذ نصل إلى لغة لا قواعد لها . ولو أنه أخذ بأصول المنهج الوصفي
 فيما وقع فيه «النحو الوصفي لا يشغل نفسه بأمور التربية، ولا بأن يسن القواعد لمعلم
 اللغة ، لأنه حيث توجد السليقة لا توجد الأخطاء ، ولا ما يوصف من الاستعمال
 بالجوودة أو الرداءة ، وإنما توجد فقط نواح مختلفة من اللغة تتطلب الوصف»^(٢).

◀ إعراب الفعل :

ذهب الباحث إلى أن الفعل المضارع يرفع إذا أريد به تقرير حدث بعينه : الأرض
 تسدور^(٣) ، أما «علامات الرفع : في الأفعال السليمة فهي الضمة والألف والنون في
 المثني ، والواو والنون في المذكر السالم يكتب ويكتبان ويكتبون»^(٤).

علامات الرفع التي تحدث عنها علامات غريبة خلط فيها بين علامات رفع الفعل
 المضارع وعلامات رفع الاسم في حالة التثنية والجمع .

ويرى أيضاً أن علامات النصب في الفعل المضارع : الفتحة ، والألف في المثني لن
 يكتب ، والواو في الجمع لن يكتبوا^(٥).

وعلامات الجزم السكون لم أكتب ، والألف في المثني لم يكتب والواو في

(١) النحو المعقول ص ٣١ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٢٦ .

(٣) النحو المعقول ص ٣٤ .

(٤) النحو المعقول ص ٣٤ .

(٥) النحو المعقول ص ٣٤ .

الجمع لم يكتبوا^(١) .

هذه المحاولة قد انحرفت عن الإصلاح أو التيسير ، لأننا لا نخرج منها إلا بنحو غير معقول يزيد النحو صعوبة وتعقيداً ، فهذه الأحكام والقواعد التي جاء بها الباحث معقولة على رأي صاحبها الذي رأى أن «أكثر العقبات نشأت من طريقه النحويين قبي وضع النحو» ، على حين نرى أن العقبات التي أقامها الباحث أمام المعلمين والمتعلمين أكثر من عقبات النحاة ولو اختار طريقاً غير التي اتبعها في تيسير النحو لاستطاع أن يصنع نحواً معقولاً ، غير أن النحو الذي جاء به يختلف عما ألفه المعلمون والمتعلمون ويقوم على هدم أكثر ما جاء به النحاة فأخل بأصول النحو ، ولجأ إلى ابتداع نحو جديد يخالف تركيب اللغة وأسلوبها .

ولهذا لم تستطع هذه المحاولة أن تصل إلى حل لصعوبات النحو العربي بل بقيت هذه الصعوبات التي تحدث عنها كما هي .

وهذه المحاولة بالغة الغاية في الغرابة ليس فيها تحديد سائق للنحو العربي ، ولا حظ لها من قريب أو بعيد في تيسير قواعد الإعراب ، لأنها هدمت القدم ولم تستطع أن تبني أحسن منه .

(١) النحو المعقول ص ٣٥ .

٨- تجديد النحو العربي (د. شوقي ضيف)

من الجهود التي بذلت في سبيل إصلاح النحو العربي تلك المحاولة التي بدأها الدكتور شوقي ضيف عندما حقق كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبي المستوفى (٥٩٢هـ) ، وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٤٧ . حيث قدم للكتاب مقدمة مهمة حاول من خلالها أن يذكر مشكلات النحو العربي محاولاً أن يجد سبيلاً إلى حلها، وقال «كان نشري لكتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي سنة ١٩٤٧ باعثاً لي - منذ تحقيقه - على التفكير في تجديد النحو لعرضه عرضاً حديثاً على أسس قومية تصفيه وتروقه وتجعله داني القطوف للناشئة» . إن محاولة الدكتور شوقي ضيف تقوم على الإفادة من آراء ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة ، حيث دعا إلى إلغاء نظرية العامل النحوي ، وإلى إعادة تنظيم أبواب النحو تنظيمًا جديدًا ، وإلى التخلص من التعليل والفروض التي لا تعتمد على دليل... ويظهر تأثير الدكتور شوقي ضيف بآبن مضاء في الكتب التي ألفها حول تحديث النحو العربي وذلك مثل :

- ١- تجديد النحو ، ط دار المعارف ١٩٩٥ .
- ٢- تيسيرات لغوية ، ط دار المعارف ١٩٩٥ .
- ٣- تيسيرات النحو التعليمي قديماً وحديثاً ، مع لهج تجديده . ط دار المعارف ١٩٩٣

● تجديد النحو :

وضع المؤلف مجموعة من الأسس أقام عليها تجديد النحو العربي وهي ^(١) :

١- إعادة تنسيق أبواب النحو بحيث يستغنى عن طائفة منها برّد أمثلتها إلى الأبواب الباقية ، حتى لا يتشتت فكر دارس النحو في كثرة الأبواب التي توهن من قواه العقلية .

٢- استتضأت فيه بجوانب من آراء ابن مضاء في كتابه ومقترحات لجنة وزارة المعارف وقرارات مؤتمر الجمع اللغوي ، وهو إلغاء الإعراب التقديري في المفردات مقصورة ومنقوصة ، ومضافة إلى ياء المتكلم ومبنية . ورأيت في هذا الكتاب أن يقال فيها جميعاً محل الكلمة الرفع أو النصب أو الجر . كما رأيت إلغاء الإعراب المحلي في الجمل بحيث لا يقال مثلاً : الجملة خبر محلها الرفع بل يُكتفى بالقول : إن الجملة خبر ، ومثلها جملة النعت ، وجملة الحال وجملة الصلة وجملة جواب الشرط .

٣- أن لا تعرب كلمة لا يفيد إعراباً أيّ فائدة في صحة نطقها ، ويتضح ذلك في إعراب النحاة كلمة (أن) المخففة — في رأيهم — من (أن) الثقيلة ، كأن المخففة ، وإعراب لا سيما ، وبعض أدوات الاستثناء ، وكم الاستفهامية والخبرية ، وأدوات الشرط الاسمية .

٤- وضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب المفعول المطلق والمفعول معه والحال تجمع صور التعبير في كل منها جمعاً وافياً .

٥- حذف زوائد كثيرة في أبواب النحو تعرض فيه دون حاجة .

٦- زيادة إضافات لأبواب ضرورية — بجانب إضافات فرعية تتخلل الكتاب — لتمثل الصياغة العربية وأوضاعها مثلاً دقيقاً .

(١) تجديد النحو ص ٤-٥ .

ثم يقول «ولعلني هذا الكتاب أكون قد حققت أملاً طال انتظاره بتجديد النحو على منهاج وطيد يذلل وييسره ، ويعين على تمثل قواعده و استكمال نواقصه» (١) .

● أسس تجديد النحو :

— إعادة تنسيق أبواب النحو :

أدخل المؤلف في كتابه تجديد النحو مبحثاً في نطق الكلمة ودقة التلفظ بحروفها اقتبسها من علم التجويد ، وأعقبه بمباحث صرفية ، ولم تكن بفكرة الموازين الصرفية لأنها تدخل على المباحث الصرفية تعقيداً هي في غنى عنه ، وحذف باب الإعلال لأنه يفرض للحروف المعتلة في الكلمات صوراً لا تجري في النطق» (٢) .

— التواسخ وما يتعلق بها :

حذف المؤلف من كتابه باب كان وأخواتها ، وباب ما ، و لا و لات العلامات عمل ليس ، وباب كاد وأخواتها ، وباب ظن وأخواتها ، وباب أعلم وأخواتها ، ثم ردها إلى أبواب أخرى .

يقول : «وأول هذه الأبواب الخمسة المحذوفة باب (كان وأخواتها) ومعروف أن مدرسة النحو البصرية تعرب (كان وأخواتها) أفعالاً ناقصة لا يليها فاعل : إذ تعرب المرفوع بعدها في مثل (كان زيد مسافراً) اسماً لا فاعلاً» (٣) . وذهب المؤلف إلى أن المرفوع بعد كان يعرب فاعلاً و (الخبر) يعرب حالاً .

يقول : «والخروج من هذا الخلل الكبير سهل غاية السهولة بفضل مدرسة النحو الكوفية ، فإن الفعل — عندها — في باب (كان وأخواتها) فعل لازم... والاسم المرفوع

(١) تجديد النحو ص ٨ .

(٢) تجديد النحو ص ١١ .

(٣) تجديد النحو ص ١٢ .

في مثل (كان محمد مسافراً) فاعل مرفوع ، والاسم المنصوب وأمثاله حال»^(١).

ومن الأبواب التي حذفها باب (ما ولا ولات) العاملات عمل ليس ، يقول «وطبيعي أن يحذف ، لأن (ليس) المقيس عليها هذه الحروف من أنحوات كان ، وقد أصبحت تعرب في مثل (ليس زيد حاضراً) فعلاً ماضياً لازماً ، ويعرب (زيد) فاعلاً وحاضراً حال»^(٢).

وفي (ما) العاملة عمل ليس يقول : «وإذا رجعنا إلى (ما) وجدناها وردت بالذكر الحكيم في ثلاثة أمثلة هي : (ما هذا بشراً) و(ما هن أمهاتهم) و(ما محمد إلا رسول) وواضح أن الآية الأخيرة مكونة من مبتدأ وخبر مرفوعين ، أما الآيتان الأولى والثانية فأعرب البصريون (بشراً — أمهاتهم) خبرين منصوبين ، والمرفوع بعد (ما) اسماً لها ، في حين أعربهما الكوفيون منصوبين بنزع الخافض خبرين للمبتدأ شبهتهما للملاحظة أن خبر المبتدأ يأتي كثيراً مجروراً بحرف الباء الجارة الزائدة في مثل : ما محمد بقائم ، والأخذ برأي الكوفيين أولى حتى لا ندخل خللاً على قاعدة الخبر يكون دائماً مرفوعاً»^(٣) ، وفي (لا) يقول : «لم يأت الخبر بعدها منصوباً إلا في بيت واحد قلسم ، ولذلك أنكر كثير من أئمة النحاة أن يأتي الخبر بعدها منصوباً ، وإذن ينبغي حذف صيغتها»^(٤).

ثم يقول : «وتبقى لات ، ولا يليها إلا ظرف منصوب ، وكأنها لنفي الظرف فحسب مثل (ولات الحين حين مناص) فحين ظرف منصوب مضاف ، ولا داعي لأن نقدر في عبارتها أن الأصل فيها (ولات الحين حين مناص) ونحدث لها إعراباً متكلفاً غاية التكلف ، بل يقال (لات) حرف لنفي الظرف وحين ظرف مضاف منصوب»^(٥).

(١) تجديد النحو ص ١٢ .

(٢) تجديد النحو ص ١٤ .

(٣) تجديد النحو ص ١٤ .

(٤) تجديد النحو ص ١٤ .

(٥) تجديد النحو ص ١٥ .

و مما حذفه أيضاً (باب كاد و أخواتها) يقول : «ونحاة مدرسة البصرة يعربون المرفوع بعد هذه الأفعال اسماً لها في مثل (كاد زيد يقوم — كاد زيد أن يقوم) وجملة المضارع خبر . وهو إعراب لا يستقيم بتاتاً حين يقترب المضارع بأن المصدرية كما في المثال الثاني .

ومثل (عسى زيد أن يقوم) لأننا لو حذفنا كاد وعسى في الجملتين أصبحتا (زيد أن يقوم) وهو تعبير نحاطي ، لأنه إنحيار عن اسم الذات باسم المعنى»^(١) .
وذهب إلى أن سيبويه قد قال : «أن كاد وعسى فعلاّن متعديان والمرفوع بعدهما فاعل ، وجملة المضارع التالي لهما مفعول به ، فإذا قلت : كاد زيد يقوم — عسى زيد يقوم) كان معنى الجملة : قارب زيد القيام ... وقال إنك إذا قلت : (كاد محمد أن يقوم) فإمّا أن تجعل كاد — ومثلها أخواتها : كرب ، أوشك ، عسى ، حرى ، الخلق — فعلاً متعدياً وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به .

وإمّا أن تجعلها فعلاً لازماً بمعنى قرب وجملة المضارع مؤولة بمصدر مجرور ، كأنك قلت قرب زيد من القيام . وبالمثل جملة المضارع بعد أفعال الشروع مفعول به قياساً على رأي سيبويه في صيغة كاد وعسى... وقد أخذت برأيه في الكتاب وضمنت أمثلة الباب إلى باب المفعول به»^(٢) . كما ضم باب أعلم وأرى وأخوتهما أنبا ونبا وأخبر ، ونجبر إلى باب المفعول به . وأبقى في المرفوعات بعد باب المبتدأ والخبر على أبواب : أن وأخواتها ولا النافية للجنس ، والفاعل ونائب الفاعل»^(٣) .

وحذف المؤلف باب التنازع و باب الاشتغال لأن «النحو غني عن هذين البابين :

(١) تجديد النحو ص ١٥ .

(٢) تجديد النحو ص ١٦ .

(٣) تجديد النحو ص ١٨ .

لأن أكثر صيغة من صنع النحاة»^(١) . غير أن المؤلف قد ذكر أمثلة هذين البابين في باب الذكر والحذف .

وضمَّ باب التمييز إلى باب العدد ، و اسم التفضيل ، وباب فعل التعجب ، وباب نعم وبئس ، وباب الاختصاص ، وقال : «وواضح أن هذا التنسيق الجديد باب التمييز ألغى من الكتاب فتح أبواب مستقلة لأعراب صيغ الصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، وفعل التعجب ، وأفعال المدح والذم ، وكنائيات العدد ، وما يسمى باسم الاختصاص»^(٢) ، وضم صيغ التحذير والإغراء إلى باب التحذير والإغراء إلى باب الذكر والحذف^(٣) . وفي باب النداء حذف أبواب الترخيم والاستغاثة والندبة .

وهذا التنسيق في كتاب تحديد النحو حذف ثمانية عشر باباً هي : باب كان وأخواتها ، باب ما ولا و لات العاملات عمل ليس ، باب كاد وأخواتها ، باب ظن وأخواتها ، باب أعلم وأخواتها ، باب التنازع ، باب الاشتغال ، باب الصفة المشبهة ، باب اسم التفضيل ، باب التعجب ، باب أفعال المدح والذم ، كنائيات العدد ، الاختصاص ، التحذير ، الإغراء ، الترخيم ، الاستغاثة ، الندبة .

والمؤلف : «نقل إلى تقسيمات الاسم باب التوابع : النعت والعطف والتوكيد والبدل ، ليستقر في ذهن دارس النحو أن المضاف والمضاف إليه هما في واقع الأمر مفرد أو كالمفرد ، وليستقر في ذهنه أن التوابع مع متبوعاتها تدخل في باب الأسماء المفردة ولا ريب في أن هذا كله مما يبسط النحو على دارسيه»^(٤)

(١) تجديد النحو ص ١٩ .

(٢) تجديد النحو ص ٢١-٢٢ .

(٣) تجديد النحو ص ٢٢ .

(٤) تجديد النحو ص ٢٣ .

● إلغاء الإعرابين التقديرين والمحلي :

ذهب المؤلف إلى إلغاء الإعراب التقديرين في المفردات مقصورة ومنقوصة ، يقول: «وقد رأيت في الكتاب أن أعمم بين الإعرابين التقديرين والمحلي مكتفياً في المفردات ببيان أن الكلمة محلها الرفع سواء كانت معربة أو مبنية ، ففي مثل «جاء الفتي» يقال : الفتي فاعل محله الرفع ، وفي مثل «هذا زيد» يقال : هذا مبتدأ محله الرفع. وبذلك يعمم في المفردات اصطلاح واحد . وعممت في الجمل أن تعين وظيفتها وأنها خبر أو نعت مثلاً دون ذكر محله الإعراب»^(١)

- إلغاء تقدير الظرف والجار والمجرور -

يرى النحاة أن الظرف والجار والمجرور ليسا هما الخبر وإنما هما متعلقان بمحذوف تقديره مستقر أو استقر ، وكذلك الشأن حين يقعان نعتاً أو حالاً . ويعلق المؤلف على هذا بقوله : «وهو تكلف بل بعد في التكلف ، وحق لابن مضاء أن يهاجم النحاة فيه وأن يقول إن الظرف والجار والمجرور هما أنفسهما اللذان يقعان خبراً أو نعتاً أو حالاً»^(٢) .

- إلغاء عمل «أن» المصدرية في المضارع مقدرة :

ذهب ابن مضاء إلى إلغاء عمل «أن» المصدرية في الفعل المضارع مقدرة أو مستترة بعد فاء السببية وواو المعية ، ولام التعليل وحق وأو . والمؤلف يوافق ابن مضاء في أن «المضارع منصوب بعد كل هذه الحروف مباشرة ، وليست هناك «أن» محذوفة أو مستترة أو مضمرة جوازاً أو وجوباً»^(٣)

(١) تجديد النحو ص ٢٤ .

(٢) تجديد النحو ص ٢٥ .

(٣) تجديد النحو ص ٢٥ .

- إلغاء العلامات الفرعية في الإعراب :

أخذ الباحث بقرار مجمع اللغة العربية الذي «قرر في مؤتمره سنة ١٩٤٥ إلغاء العلامات الفرعية في الإعراب ، فلا الفتحة نائبة عن الكسرة في الممنوع من الصرف ولا الكسرة نائبة عن الفتحة في جمع المذكر السالم ، ولا الواو في الأسماء الخمسة وجمع المذكر السالم ، ولا الألف في المثنى نائبتان عن الضمة ، وبالمثل ليست الألف نائبة عن الفتحة ولا الياء عن الكسرة في الأسماء الخمسة ، وأيضاً ليست الياء نائبة عن الفتحة أو الكسرة في المثنى وجمع المذكر السالم ، وأخذ المجمع في مؤتمره سنة ١٩٧٩ بذلك القرار»^(١)

● الإعراب لصحة النطق :

يقول المؤلف: «هذا هو الأساس الثالث من الأسس التي أخذت بها في تأليف الكتاب حتى يمكن تصنيف النحو تصنيفاً مبسطاً حديثاً ، فالإعراب ليس غاية في ذاته ، بل هو وسيلة لصحة النطق ، فإن لم يصبح نطقاً لم تكن إليه حاجة ، وقد اعتمدت لجنة الأصول في المجمع ومؤتمره سنة ١٩٧٩ هذا الأساس مع بعض التعديل ، وكنت ربت عليه إلغاء إعراب لا سيما ، وبعض أدوات الاستثناء وكم الاستفهامية والخبرية ، وأدوات الشرط الاسمية وأضفت في الكتاب إلغاء إعراب (أن) المخففة من (أن) الثقيلة ، وكان المخففة ، و أدوات الاستثناء : خلا و عدا وحاشا ، وهو ما أخذ به الكتاب»^(٢)

● وضع ضوابط وتعريفات دقيقة :

ذهب المؤلف إلى وضع ضوابط وتعريفات دقيقة لبعض أبواب النحو مثل : المفعول المطلق والمفعول معه والحال ، يقول : «ونقف أولاً عند المفعول المطلق فقد عرفه ابن

(١) تجديد النحو ص ٢٥-٢٦ .

(٢) تجديد النحو ص ٢٦ و ٣٠ .

هشام في كتابه «أوضح المسالك» بقوله : «اسم يؤكد عامله ويبين نوعه أو عدده ، وليس خبراً ولا حالاً . وجمع الخبر والحال معه في هذا التعريف يؤكد أن دلالاته كانت مضطربة على الأقل في ذهن بعض النحاة ، لأن لكل من الخبر والحال دلالة تخالفها دلالة المفعول المطلق بخالفة جوهرية... وهذه الصيغ التي يقول النحاة أنها تنوب عن المفعول المطلق لا يتضمنها التعريف الذي وضعه ابن هشام .

و أدق وأوضح من تعريفه أن يقال «المفعول المطلق اسم منصوب يؤكد عامله أو يصفه أو يبينه ضرباً من التبيين ، وتدخل في كلمة (يبينه ضرباً من التبيين) جميع الصيغ التي تنوب عن المفعول المطلق ، إذ بينه مرادفه ، وما يشير إليه وعدده وآلته، وأيضاً كل وبعض المعبرتان عن جميعه أو شطر منه»^(١) .

وابن هشام يعرف الحال بقوله : «الحال : وصف فضلة مذكور لبيان الهيئة» ويرى المؤلف أن هذا التعريف غامض وغير دقيق ، ووضع له تعريفاً آخر يقول: «الحال : صفة لصاحبها نكرة مؤقتة منصوبة»^(٢) .

● حذف زوائد كثيرة :

هذا الأساس الخامس يقوم على حذف زوائد كثيرة تعقد أبواب النحو ، يقول : «وكان من أول ما حذفته من مباحث تقسيمات الاسم وأبنيته حذف شروط اشتقاق اسم التفضيل ، وفعل التعجب ، لأن أمثلة البابين تكفي في تمثل صيغتهما دون حاجة إلى ذكر الشروط التي يذكرها النحاة»^(٣) . وكذلك حذف ما ذكره النحاة من قواعد اسم الآلة ، وحذف شروط التصغير وأمثله التي لا نستعملها اليوم ، وحذف قواعد

(١) تجديد النحو ص ٣١ .

(٢) تجديد النحو ص ٣٣ .

(٣) تجديد النحو ص ٣٤ .

النسب المعقدة... واكتفى بطائفة من الأمثلة المستعملة التي توضح النسب»^(١) .
 وفي قسم المرفوعات حذف من باب المبتدأ والخبر أكثر الأحوال التي يتحتم فيها
 تقديم المبتدأ على الخبر ، لأنه تكلم عليها في باب التقديم والتأخير»^(٢) .
 وفي باب (إنّ) حذف (أنّ) المخففة من (أنّ) الثقيلة ، لأنها أداة ربط لا
 غير^(٣) . كما حذف إعمال (ليت) ، دون وأحوالها ، مع (ما) الكافة ، ويرى «أنه لا
 حاجة لدارس النحو تدعوه إلى معرفة لفز تابع المنادى المعقد القائم على أمثلة مفترضة
 للنحاة»^(٤) .

وحذف من الكتاب الصيغة التي افترضها النحاة لاسم الفاعل بعد النفي
 والاستفهام في مثل «أمسافر إبحوتك»^(٥)

● إضافات متنوعة :

يقول المؤلف «رأيت أنه ينبغي الأخذ بأساس سادس يقوم على زيادة إضافات
 كثيرة لتوضيح الصياغة العربية في نفس دارس النحو ، من ذلك ما وصفته في فاتحة
 القسم الأول من الكتاب من بعض قواعد ضرورية لخدمة النطق السليم بكلام العربية
 وحروفها ، وطبي قواعد استعرها للكتاب من علم التجويد ، وكان أسلافنا لا يضعونها
 في كتبهم النحوية»^(٦) .

وأضاف في هذا القسم الأول من الكتاب جداول لتصريف الفعل مع ضمائر

(١) تجديد النحو ص ٣٥ .

(٢) تجديد النحو ص ٣٥ .

(٣) نفسه ص ٣٥ .

(٤) نفسه ص ٣٨ .

(٥) نفسه ص ٤٠ .

(٦) نفسه ص ٤١ .

الرفع المتصلة ، وجداول لتصريف الفعل المضارع والأمر مع نون التوكيد ^(١)
وفي القسم الخامس من الكتاب أصناف إلى الممنوع من الصرف صيغتي «أحد —
مؤجسد» ^(٢) وفي القسم السادس أضاف أيضاً باب الذكر والحذف لعناصر الجملة ،
وباب التقديم والتأخير فيها ، وأضاف باباً لبيان الجملة الاسمية ، وباباً لأنواع الجمل
وأما تنقسم إلى مستقلة وخاضعة غير مستقلة ^(٣)

● تقويم محاولة الدكتور شوقي ضيف :

تعد هذه المحاولة من أشهر حركات تجديد النحو وتيسيره في حياتنا المعاصرة، فقد
أراد من كتابه تجديد النحو أن يصبح لهج هذا الكتاب ، وتبويه ومادته عتاداً يرجع
إليه مؤلفو النحو التعليمي ليضعوا على أسسه كتباً لهم متدرجة مع سنوات الناشئة في
التعليم حتى يستقيم في وضوح تمثل مقومات العربية وأوضاع صيغتها مثلاً قوياً ^(٤) .
وتحقيق هذا الهدف ذهب إلى إعادة تنظيم أبواب النحو العربي تنظيمًا يقوم على
الجانسة بين الأبواب النحوية ، والتخلص من التأويل والتقدير .

وأرى أن إعادة تنسيق أو تنظيم أبواب النحو في الكتاب تحتاج إلى إعادة نظر
وتنظيم للأسباب الآتية :

- ١- في التمييز ضمٌ إليه المنصوب على الاختصاص ، والعدد وأفعال المدح والذم ،
وكنيات العدد ، والتعجب . وذهب إلى أن المنصوب على الاختصاص
يعرب تمييزاً وذلك في مثل «نحن — معاشر الأنبياء — لا نورث» و«نحن
— العرب — كرام» ... معتمداً في ذلك على رأي الكوفيين الذين أجازوا أن

(١) نفسه ص ٤٢ .

(٢) نفسه ص ٤٣ .

(٣) نفسه ص ٤٣ .

(٤) نفسه ص ٨ .

يكون التمييز معرفة»^(١) .

أقول : إن الأصل في التمييز أن يكون نكرة ، لكن المؤلف كثيراً ما يميل إلى هدم الأصول «طرداً للقواعد»^(٢) ، وبجنيء التمييز نكرة هو الشيء المطرد ، وهناك فرق كسبر بين أحكام الاختصاص ووظيفته وأحكام التمييز ووظيفته . فالتمييز يأتي لرفع الإهمام عن ذات أو نسبة ، فعندما أقول «نحن — العرب — كرام» أو «أنت الكاتب محبب إلى القراء» (نحن) و(أنا) ليسا مبهمين ، بل إن الاسم الذي جاء بعدهما معرفاً بأل منصوب على الاختصاص وقد نصب على الاختصاص بعد هذا الضمير الذي يدل على الحضور لإفادة التوكيد و الفخر^(٣) لا لإزالة الإهمام في الضمير ، لأن الضمير يعد من أعرف المعارف .

ولعلنا نعلم أن الاسم المنصوب على الاختصاص جاء لتفسير أو توضيح ما سبقه من مضمير ، وقد بين سيبويه أن الاسم المنصوب على الاختصاص له علاقة بالفعل المضمير مع فاعله ، يقول «وذلك قولك : إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا ، كأنه قال ، أعني ، ولكنه فعل لا يظهر ولا يستعمل كما لم يكن ذلك في النداء ، لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب»^(٤) .

ففي كلام سيبويه إشارة واضحة إلى أن نصب الاسم المختص يرجع إلى تلك العلاقة المعنوية بين الاسم المختص وما أضمير من فعل وفاعل .
وقد استشهد سيبويه على نصب الاسم المختص بقول عمرو بن الأهتم :

(١) تجديد النحو : ١٩٣ .

(٢) تجديد النحو : ١٩٠ .

(٣) الكتاب : ٢٣٢/٢ .

(٤) الكتاب : ٢٣٣/٢ .

إِذَا بَنِي مَنَقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ لَمَّا سَرَاةً بَنَى سَفَدٍ وَنَادِيهَا ^(١)

فقد نصب (بني منقر) على الاختصاص والفخر .

كما استشهد أيضاً بقول الفرزدق :

أَلَسَمَ تَرَاكُمَا بَنِي دَارِمٍ زُرَّارَةٌ مِمَّنَّا أَسْوُ مَقْبَدٍ ^(٢)

فقد نصب (بني دارم) على الاختصاص والفخر .

ولهذا لا يجوز الإهام في استعمال الاسم المختص ، لأن هذا الاسم يوتى به لتفسير وتوضيح ما سبقه من مضمير ، ولا يجوز أن نقول : «إني هذا أفعلُ كذا وكذا ، ولكن تقول : إني زيدا أفعلُ ، ولا يجوز أن تذكر إلا اسماً معروفاً ، إنما تذكرها تأكيداً وتوضيحاً هنا للمضمير وتذكيراً وإذا أنهمت فقد حقت بما هو أشكل من المضمير» ^(٣) .

أمّا قول لبيد :

لَحْنٌ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ وَلَحْنٌ خَيْرٌ عَامِرٍ بَنِ صَفْصَفَةٍ

فلا ينشدونه إلا رفعاً (بنو) ، لأنه لم يرد الشاعر أن يجعلهم إذا افتخروا أن يُعرفوا بأن عدتهم أربعة ، والشاعر يخبر بنسبهم وعددهم ولا يفتخر أو يخصص .

٢- إن كلام النحاة على التمييز في العدد شديد الارتباط ، فتمييز العدد شديد الارتباط بالعدد لا بباب التمييز الذي تحدث عنه المؤلف كما أن الكلام على تمييز العدد في باب التمييز يؤدي إلى تفتيت أحكام باب العدد التي ينبغي دراستها في باب العدد ، مما يؤكد هذا أن المؤلف قال عند كلامه على العدد «وسنفرد للعدد مبحثاً مستقلاً» ^(٤) .

(١) نفسه : ٢٣٣/٢ .

(٢) نفسه : ٢٣٤/٢ .

(٣) نفسه : ٢٣٦/٢ .

(٤) تجديد النحو ص ١٩٤ .

٣- ذهب المؤلف إلى أن الاسم المرفوع بعد (كان) فاعل ، والمنصوب (حال) وليس خبراً لها ، وبناء على دعوته إلى إعادة تنسيق أبواب النحو العربي رأى أن تـضم (كان وأخواتها) إلى باب الحال ^(١) .

ويرى أيضاً أن الحال قد تأتي بعد هذه الأفعال معرفة مثل «كان المسافر محمداً» ^(٢) ولست أدري كيف يصح أن نعرب (محمداً) حالاً ؟ علماً بأن المؤلف قد عرّف الحال بأنها «صفة لصاحبها نكرة مؤقتة» ^(٣) ، فهل نستطيع أن نقول إن (محمداً) صفة مؤقتة . لو قلنا هذا لكان في قولنا هذا تكلف وتعسف ، والمؤلف يدعو إلى عدم التكلف والتعسف . يضاف إلى ذلك أن القدماء قد لاحظوا أن (كان وأخواتها) ليست أفعالاً حقيقية إلا لفظاً وتصرفاً ، ولا دلالة لها على الحدث والفعل الحقيقي يدل على حدث وزمن ، وهذه إنما تدل على زمان وحسب في الخبر ، وقد صار الخبر كالعوض عن الحدث فلذا لا تتم الفائدة إلا به» ^(٤) . كما أن «نسبة الإسناد التي كانت بين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية تبقى على ما هي عليه بعد النسخ ، ولا تتغير الحالة الإعرابية ، وكأن النسخ هنا ذو أثر شكلي ، فالعلاقة بين طرفي الإسناد باقية كما كانت ، وإن كانت قد اعترأها شيء من التلونات الدلالية .. أما الجملة الفعلية ، فتعقد نسبة جديدة إسنادية الطابع بين الحال وصاحبها» ^(٥)

٤- وفي قوله تعالى «فجربنا الأرض عيوناً» و«غرسنا الأرض شجراً» ذهب المؤلف إلى أن «عيوناً» و«شجراً» بدل بعض من كل ^(٦) لكننا نلاحظ أن البديل بعيد كل

(١) تجديد النحو ص ١٨٤ .

(٢) تجديد النحو ص ١٨٥ .

(٣) تجديد النحو ص ١٨٢ .

(٤) ابن يعيش ٨٩/٧ .

(٥) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة ، د. محمود شرف الدين ص ٦٢ .

(٦) تجديد النحو ص ١٣٠ .

السبعد عن التمييز ، وذلك من حيث وظيفته أو أحكامه ، لأن كلمة «عيوناً»
تعرب تمييزاً ، وقد جاء التمييز هنا للمبالغة ، والبدل لا يؤدي هذا المعنى ، ولهذا
قال الزنجشري «جعلت الأرض كلها كأنها عيون تتفجر ، وهو أبلغ من قولك :
وفجرنا عيون الأرض» (١) .

خلاصة الأمر أن الدكتور شوقي ضيف قد تعامل مع النحو تعامل الأديب أو
الناقد الذي لا يريد أن يخضع لأصول النحو وقواعده ، فهو يميل إلى هدم أصول اللغة
كسي يسّر النحو العربي وفق الطريقة التي يراها بالحذف أو الإلغاء لبعض الأبواب
النحوية غير مكترث بما يصيب البناء النحوي مخالفاً بذلك ما قاله : «إن واجب
اللغوي أن يسجل ما وجد في اللغة فعلاً من صيغ وعبارات لا أن يفترض هو صيغاً
وأحوالاً لعبارات لم ترد في اللغة» ، فهو لم يعبأ بتلك الفروق بين التمييز والبدل أو بين
نحير كان والحال أو بين التمييز وأسلوب الاختصاص ولم يراع المؤلف التكامل في
المباحث النحوية فقد تحدث عن المبتدأ وإن وأخواتها ولا النافية للجنس ، والفاعل
ونائب الفاعل والمفعول به والمفعول المطلق ثم تكلم في القسم السادس (إضافات) على
مواضع الذكر والحذف المتعلقة بكل موضوع من الموضوعات السابقة موضوع الذكر
والحذف شديد الارتباط بهذه الموضوعات ، وبهذا التنسيق يكون قد فتّت الأحكام
المتعلقة بهذه الموضوعات التي ينبغي أن تعرف في صورة متكاملة وستبقى هذه المحاولة
صورة من صور التفكير النحوي عند المحدثين في العصر الحديث .

وهكذا نرى أن محاولة د. شوقي ضيف ليست هي التحديد المطلوب في النحو
العربي .

(١) الكشف ٣٧/٤ .

٩- تيسيرات لغوية (د. شوقي ضيف)

حمل المؤلف في هذا الكتاب دعوة إلى تصحيح بعض قواعد اللغة العربية ، وجاءت آراؤه في هذا الكتاب مشاهة لما ذكره في كتابه تحديد النحو ، وتيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً .

وقد حدد هدفه من تأليف هذا الكتاب ، يقول : «هذه تيسيرات في جوانب من استعمالات اللغة وقواعد العربية رأيت أن أعرضها على الكتاب والقراء ، حتى أنهي عن طريقهم ما قد يظنونهم إزاء بعض الصيغ من انحراف عن جادة العربية وقواعدها السديدة»^(١)

وقد عرض مجموعة من القضايا همّ المعلمين والمتعلمين فدرسها وتوصل إلى تقرير مما توصل إليه من نتائج : فدرس تبادل اللزوم والتعدي في الفعل الثلاثي وانتهى إلى النتائج الآتية :

- ١- يجوز أن يتعدى الفعل الثلاثي اللازم بنفس صيغته إلى مفعول به منصوب إذا استلزمت ذلك حاجة علمية أو بلاغية .
- ٢- يجوز أن يتحول الفعل الثلاثي المتعدي بحرف من حروف الجر إلى متعدّ مباشرة بنفسه إذا دعت إلى ذلك حاجة علمية أو بلاغية .
- ٣- يجوز أن يتحول الفعل الثلاثي المتعدي بحرف من حروف الجر إلى متعدّ مباشرة

(١) تيسيرات لغوية د. شوقي ضيف دار المعارف ط. عام ١٩٩٠ .

بنفسه إلى مفعول به إذا دعت إلى ذلك حاجة علمية أو بلاغية ^(١) .
ولا جديد في هذه النتائج التي ذكرها لأن القدماء قد درسوا هذه الأمور ، وجاء
كلام المؤلف إعادة وتكراراً لما قاله القدماء .

— استثناء الفعل الثلاثي المبني للمعلوم بمادته عن الفاعل في صيغ مطردة :

كرر المؤلف ما قاله ابن مضاء القرطبي الذي ذهب إلى أن الفعلين الماضي
والمضارع يدلان بمادتهما على الفاعل المضمر الذي يقدره النحاة مستتراً جوازاً مع
الفعل الماضي للغائب المفرد ، وكذلك للغائبة المفردة في مثل «زيد قام ، هند قامت»
لأن الفعلين يدلان على الفاعل تماماً ، وكذلك يدل الفعل المضارع على الفاعل بمادته
نحو «أكتب ، نكتب ، تكتب» . وقد أخذ المؤلف بقول ابن مضاء ، يقول : «نقول :
— مع ابن مضاء — أن الفعل دل بمادته عليه ، كما دل على فاعله بمادته في مثل
«أقوم ، قم» ولا ريب في أن ابن مضاء كان دقيقاً منتهى الدقة حين قرر هذه القواعد
مع الفعل الماضي للغائب والغائبة ، ومع المضارع للمتكلم والمتكلمين والمخاطب
والغائبة مثل : تقوم ، ومثل ذلك الأمر للمخاطب وهي قاعدة تحل مشاكل غياب
الفاعل في صيغ يطرد فيها هذا الغياب» ^(٢) .

— صيغ يطرد فيها غياب الفاعل :

ذهب النحاة إلى أن الفاعل في نحو «قام القوم خلا زيدا ، قام القوم ما خلا زيدا»
بضمير مستتر وجوباً تقديره هو يعود على البعض المفهوم من الكلام ، والتقدير في مثل :
قام القوم خلا زيدا . هو (قام القوم عدا هو ، أي بعضهم زيدا) وهذا رأي البصريين أمّا
الكوفيون فيقدرون الفاعل ضميراً عائداً على المصدر المفهوم من الفعل السابق ، والتقدير
«قام القوم خلا هو أي قيامهم زيدا» .

(١) تفسيرات لغوية ص ٢٦ .

(٢) تفسيرات لغوية ص ٢٩ .

هذه التقديرات دفعت المؤلف إلى القول : «وأولى من هذه الآراء جميعاً ما ذهب إليه الفراء في مثل (قام القوم حاشاً زيداً) من أن (حاشاً) فعل لا فاعل له، قال أبو حيان : ويمكن القول بذلك في (خلأ وعدا) وبذلك تصبح الأفعال الثلاثة (حاشاً، خلأ، وعدا) لا فواعل لها ، وهو رأي شديد ، إذ من الصعب إيجاد فواعل لها . وهي تبدل بوضوح على صحة رأي ابن مضاء في أن الفعل أن لم يكن معه فاعل — ضمير أو اسم ظاهر — كان دالاً على فاعله بمادته ، ولا حاجة له إليه ، إذ هو مستغن عنه بصيغته» (١) .

— فعلا التعجب «ما أفعله ، وأفعل به» :

ذهب البصريون في نحو «ما أحسن الرياض» إلى أن (ما) نكرة تامة مبتدأ ، وأحسن فعل ماضٍ به ضمير فاعل يعود على (ما) . وذهب الكسائي إلى أن (ما) تعجبية ، ولا موضع لها من الإعراب كدلالتها في مثل «ما جاء أحد» على النفي . ويقول المؤلف : «وإذا أخذنا برأي الكسائي في (ما) التعجبية كان الفعل الماضي بعدها لا يحمل ضميراً مستتراً وجوباً فاعلاً لها . بل كان فارغاً تماماً من الضمير» (٢) . ثم يسأل المؤلف عن حل مشكلة هذا الفعل الذي ليس له فاعل — حسب رأي الكسائي — فيقول : «الحل مفتاحه بسيط ، هو رأي ابن مضاء في أن الفعل قد يستغني عن الفاعل لدلالته عليه بمادته ، ففعل «أحسن» .. لا فاعل له ، و«الرياض» مفعول به» (٣) .

وأما نحو «أجمل بالروض» فأجمل : فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر . ويقول المؤلف : «وإذا افترضنا من أن ابن مضاء رأيه في أن الفعل قد يستغني بمادته عن

(١) تفسيرات لغوية ص ٣٠ .

(٢) تفسيرات لغوية ص ٣١ .

(٣) تفسيرات لغوية ص ٣١ .

الفاعل .. وقلنا أن «أجمل» .. فعل تعجب لا فاعل له ، أرحنا النحاة جميعاً من اللف المتكلف حول إيجاد فاعل للفعل أجمل دون حاجة إلى البحث عنه ، إذ هو محاولة لإيجاد ما ليس بموجود فعلاً . وبذلك نعرب (أجمل) فعل تعجب لا فاعل له ، ولا يعني إن كان أمراً على حقيقته أو جاء ماضياً بصيغة الأمر ، فحسبنا أنه فعل تعجب ، والباء بعده زائدة — ويمكن أن لا تكون زائدة — وما بعدها إما منصوب محلاً على أنه مفعول به لفعل التعجب ، وإما مجرور ، وهو مع الجار متعلق بالفعل ، وسواء أكانت الباء زائدة أو غير زائدة فما بعدها هو المتعجب منه» ^(١) .

— الفعل الأول في صيغة التنازع حين لا يذكر معه فاعل :

ذهب المؤلف إلى أنه يستغني الفعل الأول عن الفاعل في باب التنازع .
ففي قول الشاعر :

ما جاد رأياً ولا أجدى محاولة
إلا امرؤ لم يَضِغْ دلياً ولا ديناً
يقول «فالفاعل غاب مع الفعل الأول (جاد) ، وإما أن نقول مع الكسائي أنه محذوف لدلالة القرينة اللفظية عليه ، وإما أن نقول مع ابن مضاء إن الفعل استغنى عنه بمادته ، ورأيه أوسع تطبيقاً» ^(٢)

— استثناء الفعل المبين للمجهول بمادته عن نائب الفاعل :

يرى المؤلف أنه «يستغني الفعل المبني للمجهول عن نائب الفاعل إذا لم يذكر معه مفعول به وتلاه ظرف غير متصرف أو جار ومجرور» ^(٣) .

— إخراج «غير» و«سوى» من باب الاستثناء :

ذهب المؤلف إلى إخراج «غير» و«سوى» من باب الاستثناء وإعرابهما حالاً ،

(١) تفسيرات لغوية ص ٣٢ .

(٢) تفسيرات لغوية ص ٣٤ .

(٣) تفسيرات لغوية ص ٤٨ .

وذلك في كل المواضع التي يدلان فيها على مغايرة ما بعدها لما قبلهما في الحكم .
ففي مثل : «قام القوم غير زيد» ذكرنا أن أبا علي الفارسي قد أعرب «غير»
حالاً ، وقد أخذ المؤلف برأي أبي علي الفارسي «وبذلك يتضح أن القول بأن «غير»
مستثنى فيه مخالفة واضحة للواقع والمنطق معاً ، مما يرجح الأخذ برأي الفارسي : أن
«غير» حين تنصب ويكون فيها شيء من معنى الاستثناء تعرب حالاً لا مستثنى ، أخذاً
بمعناها الأساسي الذي وضعت له وهو الوصف»^(١) ، يقول في «سوى» : «أنا
ينبغي إخراجها مثل أختها «غير» من باب الاستثناء ، وإعرابها في المواطن التي يمكن
توجيهها فيها على أنها مستثنى حالاً منصوبة»^(٢)

● تقويم الكتاب :

- ١- إن المباحث النحوية في هذا الكتاب جاءت صورة مكررة تقريباً لما جاء في كتابه (تجديد النحو) .
- ٢- ذهب المؤلف إلى إخراج «غير» و«سوى» من باب الاستثناء معتمداً على رأي
انفرد به أبو علي الفارسي ، وهذا لم يأخذ المؤلف بما هو واقع فعلاً من
استعمال غير وسوي أداة استثناء في الأساليب العربية ، وقد أخرج «سوى»
من باب الاستثناء حملاً على «غير» . و«منهج البحث في اللغة ينبغي أن يقوم
على الاستقراء والوصف لا القياس والمعياري»^(٣) .
- وإذا كانت أدوات الاستثناء تستعمل في الجملة لتفيد إخراج ما بعدها من حكم
ما قبلها ، فإن استعمال «غير» و«سوى» تفيد مغايرة ما بعدها لما قبلهما في الحكم ،

(١) تفسيرات لغوية ص ١٢٤ .

(٢) تفسيرات لغوية ص ١٢٤ .

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٢ .

وقد اعترف المؤلف بأن «غير» حين تنصب يكون فيها شيء من معنى الاستثناء ،
 فالأولى أن تحمل «غير» و«سوى» على «إلا» في الاستثناء . وهذا سيؤيد القول في
 «آتاني القوم غير زيد» : «إن معنى العبارة أن غير زيد جاؤوا فصارت فيها معنى
 «إلا» ، فجرت مجرى الاسم الذي بعد «إلا» وصرح بأن «كل موضع جاز الاستثناء
 بإلا جاز بغير ، وجرى مجرى الاسم الذي بعد إلا لأنه اسم بمنزلة وفيه معنى إلا»^(١) .
 ولست أدري كيف يساعدنا المعنى في جعل «غير وسوى» حالاً في نحو : آتاني
 القوم سوى زيد ، وغير زيد .

وما جاء به المؤلف ليس له قيمة علمية أو عملية ، لأنه ألغى الوظيفة النحوية
 لـ «غير» و«سوى» من أجل التيسير .

٣- هناك قلق واضطراب يدخل البلبلة على قواعد النحو ، وذلك في كلام المؤلف
 على فعلي التعجب حيث ذهب في «ما أحسن الروض أزهاراً» إلى إعراب (ما)
 تعجبية مبتدأ و«أحسن» فعل ماض ، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود
 على (ما)^(٢) . على حين ذهب في كتابه هذا إلى إعراب «ما» تعجبية ولا
 موضع لها من الإعراب ، و«أحسن» فعل ماض لا يحمل ضميراً مستتراً وجوباً
 فاعلاً لها ، بل يكون فارغاً من الضمير^(٣) .

وفي إعراب «أكرم بالمتنبي شاعراً» ذهب المؤلف إلى أن «أكرم» فعل أمر
 للتعجب ، والفاعل ضمير مستتر تقديره «أنت» و«المتنبي» جار ومجرور متعلق

(١) الكتاب : ٢/ ٣٤٣ .

(٢) تجديد النحو ص ١٩١ .

(٣) تيسيرات لغوية ص ٣١ .

بأكرم^(١). على حين ذهب في إعراب «أجمل بالروض»: أجمل: فعل تعجب لا فاعل له ، وقال «ولا يعيننا إن كان أمراً على حقيقته أو جاء ماضياً بصيغة الأمر ، فحسبنا أنه فعل تعجب ، والباء بعده زائدة — ويمكن أن لا تكون زائدة — وما بعدها إما منصوب محلاً على أنه مفعول به لفعل التعجب ، وإما مجرور ، وهو مع الجار متعلق بالفعل»^(٢).



(١) تجديد النحو ص ١٩١ .

(٢) تفسيرات لغوية ص ٣٢ .

١٠- اللغة العربية - معناها ومبناها للدكتور تمام حسان

أشار المؤلف في مقدمة الكتاب إلى الغرض من تأليفه بقوله : «والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقى ضوءاً جديداً كاشفاً على التراث اللغوي العربي كله منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللغة وهذا التطبيق الجديد للنظرة الوصفية في هذا الكتاب يعتبر أجراً محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سبويه وعبد القاهر»^(١) .

وفي هذه الدراسة يوجه عناية خاصة إلى المعنى «وإذا كان مجال هذا الكتاب هو اللغة المختلفة لدراسة اللغة العربية الفصحى فلا بد أن يكون المعنى هو الموضوع الأساسي ... لأن كل دراسة لغوية — لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم — لا بد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى»^(٢) ، ويرى المؤلف أن فضل ومزية هذا البحث تظهر في «أن هذا الكتاب كشف عن أنظمة اللغة العربية ، ووضعها لأول مرة في مقابل مشاكل التطبيق ، ففسر بهذه الطريقة بعض ما كان يعتبر من ظواهر الشذوذ في التركيب اللغوي وربط هذه الظواهر بالواقع ، وأضاف إليها غيرها مما لم يدرس من قبل ، وبين ارتباط هذه

(١) اللغة العربية ، معناها ومبناها ص ١٠ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٩ .

الظواهر بالمعنى على مستوياته المختلفة»^(١).

ويرى أن اللغة «منظمة من مجموعة من الأنظمة منها النظام الصوتي ، والنظام الصرفي ، والنظام النحوي»^(٢) ، ولتقريب مفهوم النظام وأهميته يقول : «المعروف أن الجسم الإنساني جهاز حيوي واحد ذو وظيفة معينة.. ولكن هذا الجهاز الحيوي مركب من أجهزة فرعية كالجهاز الهضمي والعصبي والتنفسي... وهذه الأجهزة جميعاً تقوم بوظائف يمكن فهم كل منها على حده إذا نظرنا إلى الجهاز الذي يؤديها مستقلاً عن بقية الأجهزة . ولكن هذه الأجهزة لا يستقل أحدها عن بقيتها من الناحية العملية. إذ يجري بينها نوع من تنسيق الوظائف... وكما أن جسم الإنسان جهاز أكبر مكون من أجهزة فرعية بُعد اللغة جهازاً أكبر مكوناً من أجهزة فرعية . والخلاف الوحيد بين هذا الجهاز الأكبر وذاك أن الجسم جهاز حيوي وأن اللغة جهاز رمزي عرقي»^(٣).

ولكن ما مفهوم اللغة ؟ يقول المؤلف : «فاللغة إذن منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة يتألف كل واحد منها من مجموعة من «المعاني» تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو «المباني» المعبرة عن هذه المعاني»^(٤).

فالأنظمة التي تتكون منها اللغة ثلاثة : النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، وهذه الأنظمة «لا يمكن الفصل بينها إلا صناعة ولأغراض التحليل فقط»^(٥).

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٩ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٣ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٣ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٤ .

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٧-٣٨ .

● النظام النحوي :

يتكون النظام النحوي للغة العربية مما يأتي ^(١) :

- ١- طائفة من المعاني النحوية العامة كالخبر والإنشاء والإثبات والنفي والتأكيد والطلب والشرط والقسم والتعجب والمدح والذم .
- ٢- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والحالية .
- ٣- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة وتكون قرائن معنوية عليها حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها ، وذلك كعلاقة الإسناد والتخصص والنسبة والتشبيه .
- ٤- ما يقدمه علما الصرف والصوتيات لعلم النحو من المباني الصالحة للتعبير عن معاني الأبواب.. فليس للنحو من المباني إلا ما يقدمه له الصرف ، ومن هنا ندرك مدى الترابط بين العلمين حتى ليصبح التفريق بينهما صناعياً لا يبرره إلا الرغبة في التحليل .
- ٥- القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق ، وبين بقية أفرادها كأن نرى الخبر في مقابل الإنشاء ، أو الشرط الإمكان في مقابل الشرط الامتناعي ، أو المدح في مقابل الذم ، أو الاسم المرفوع في مقابل الاسم المنصوب... وهكذا يمكننا التفريق بين المفعول لأجله وبين المضاف إليه بما يعبران عنه من علاقة فأولهما للسببية وثانيهما للنسبة (الإضافة) . ثم نفرق بينهما من حيثما الصيغة الصرفية ، إذ يلزم في أولهما أن يكون مصدرأ ولا يلزم ذلك في الثاني ، وهذه المقابلات «القيم الخلافية» ضرورية لفهم المعنى و«أمن اللبس» ولا

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٦-٣٧.

يمكن أن نتصور أداء اللغة لوظيفتها بدورها ، وهي أهم بكثير من العلاقات
الرابطة ، لأن هذه العلاقات تعبر عن تشابه و«خوف اللبس» يأتي عند التشابه .

● التعليق :

يرى المؤلف أن «التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي ، وأن فهم التعليق
على وجهه كافٍ وحده للقضاء على خرافة العمل والعوامل النحوية ، لأن التعليق يحدد
بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق ، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى
وأفضل و أكثر نفعاً في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية . فالتعليق إذاً هو
الإطار الضروري للتحليل النحوي أو كما يسميه النحاة «الإعراب»^(١) .
وقد تناول المؤلف فكرة التعليق تحت عنوانين : أحدهما العلاقات السياقية أو ما
يسميه الغربيون «Syntagmatic Relations» والثاني : «القرائن اللفظية» .

● قرائن التعليق :

تنقسم قرائن التعليق إلى قرائن معنوية وقرائن لفظية .

٩- القرائن المعنوية : من خلال القرينة المعنوية تظهر العلاقات السياقية بين عناصر
التركيب النحوي ويشمل هذا قرينة الإسناد ، و التخصص ، والنسبة ، والتبعية
والمخالفة .

فعلاقة الإسناد مثلاً هي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر أو بين الفاعل والفعل أو
نائب الفاعل ، وعلاقة الإسناد «تصبح عند فهمها وتصورها قرينة معنوية على أن
الأول مبتدأ والثاني خبر ، أو على أن الأول فعل والثاني فاعل .. ويصل المعرب إلى
قراره أن ذلك كذلك عندما يفهم العلاقة الرابطة بين الجزأين»^(٢) علاقة الإسناد لا

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨٩ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٢ .

تكفي ولهذا «تحتاج إلى قرائن أخرى لفظية تعينها على تحديد نوعها... فنلجأ إلى مباني التقسيم لنرى إن كان طرفا الإسناد اسمين) أو اسماً وصفة أو اسماً وفعلًا.. وإلى مباني التصريف لنلمح الشخص والنوع والعدد والتعيين وإلى العلامة الإعرابية... وإلى الرتبة... وإلى المطابقة.. مما يعتبر قرائن لفظية وذلك إيضاح لظاهرة هامة جداً في التعليق هي ظاهرة تضافر القرائن لإيضاح المعنى الواحد»^(١). وقد انتقل المؤلف من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي لإيضاح فكرة تضافر القرائن، وضرب المثال الآتي: «إذا طلب إلينا أن نعرب جملة مثل «ضرب زيد عمراً» نظرنا في الكلمة الأولى (ضرب) فوجدناها قد جاءت على صيغة (فعل) وهذه الصيغة تدل على الماضي... ومن هنا نبادر إلى القول بأن «ضرب فعل ماضٍ» ثم ننظر بعد ذلك في (زيد) فنلاحظ ما يأتي:

- ١- أنه ينتمي إلى مبنى الاسم (قرينة الصيغة)
 - ٢- أنه مرفوع (قرينة العلامة الإعرابية)
 - ٣- أن العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الإسناد (قرينة التعليق)
 - ٤- أنه ينتمي إلى رتبة التأخر (قرينة الرتبة)
 - ٥- أن تأخره عن الفعل رتبة محفوظة (قرينة الرتبة)
 - ٦- أن الفعل معه مبني للمعلوم (قرينة الصيغة)
 - ٧- أن الفعل معه مستند إلى المفرد الغائب (قرينة المطابقة)
- (وهذا إسناده مع الاسم الظاهر دائماً)
- وبسبب كل هذه القرائن نصل إلى أن (زيد) هو الفاعل.
- ثم ننظر بعد ذلك في (عمراً) ونلاحظ:

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٢.

- ١- أنه ينتمي إلى مبني الاسم (قرينة الصيغة)
 - ٢- أنه منصوب (قرينة العلامة الإعرابية)
 - ٣- أن العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة التعدية (قرينة التعليق)
 - ٤- أن رتبته من كل من الفعل والفاعل هي رتبة التأخر (قرينة الرتبة)
 - ٥- أن هذه الرتبة غير محفوظة (قرينة الرتبة)
- وبسبب هذه القرائن نسارع إلى القول بأن (عمرأ) مفعول به^(١).
- وهذا علمنا أن (زيد) قد أتى فاعلاً بسبع قرائن واحدة منها معنوية ، وهي الإسناد . أما البقية فلفظية ، وعلمنا أن (عمرأ) قد أتى مفعولاً به بخمس قرائن واحدة منها معنوية وهي (التعدية) .
- ٢- التخصيص : قرينة معنوية غير أنه تتفرع عنها قرائن معنوية أخص منها على النحو الآتي :

- ١- التعدية المفعول به
- ٢- الغائية (وهي تشمل المفعول لأجله والمضارع بعد اللام ، غائية العلة ، وغائية المدى) وكفي والفاء وإذن..
- ٣- المعية المفعول معه والمضارع بعد الواو
- ٤- الظرفية المفعول فيه
- ٥- التحديد والتوكيد المفعول المطلق
- ٦- الملابسة الحال
- ٧- التفسير التمييز
- ٨- الإخراج الاستثناء

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨١-١٨٢.

فالمؤلف يرى أن هذه القرائن الخاصة تجتمع في قرينة معنوية تشملها جميعاً وتسمى قرينة التخصيص ، وهذه القرائن المعنوية التي تفرغت عن التخصيص تعبر عن جهة خاصة في فهم الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة وقد ضرب مثلاً على ذلك (ضرب زيد عمراً ، أو يضرب زيد عمراً ، أو زيد ضرب عمراً ، أو زيد يضرب عمراً ، و زيد ضارب عمراً ، أو أضارب زيد عمراً ، أو فليضرب زيد عمراً ، أو اضرب عمراً أو ضروباً عمراً) فإن إسناد الضرب إلى المسند إليه كان في كل مثال مخصصاً بوقوعه على عمرو أي أن الوقوع على عمرو كان قيداً في إسناد الضرب إلى من أسند إليه ، وكان أيضاً جهة في الضرب حالت بينه وبين أن يفهم على إطلاقه فطوعته لأن يفهم من جهة وقوعه على عمرو ، وهذا هو المعنى الذي قصدت إليه بقولي إن المفعول به هنا يعتبر تعبيراً عن الجهة وأن التعدية تخصيص لعلاقة الإسناد التي بين الضرب وبين من أسند إليه... وأود أيضاً أن أضيف أن الجهة هنا قيد في الحدث لا في الزمن» (٢)

- الغائية : يقول المؤلف «إذا قلت : أتيت رغبة في لقاءك أو لألقاك فإنك قد أسندت الإتيان إلى نفسك مقيداً بسبب خاص ، وهذا القيد وهو الغائية يعتبر جهة في فهم الإتيان ، فالإتيان هنا مفهوم من جهة كونه مسبباً عن الرغبة في اللقاء ، وتكون (الغائية) وهي قرينة معنوية دالة على المفعول لأجله أو على معنى المضارع بعد الأدوات المذكورة ، ومقيدة للإسناد الذي لولاها لكان أعم وتكون أيضاً بسبب تقييدها هذا للإسناد دالة على جهة فهم الحدث الذي يشير إليه الفعل» (٣) .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٤ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٥ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٦ .

- المصية : قرينة معنوية تفيد معنى المصاحبة «واصطلاح المعية مقصور على قرينة المفعول معه والمضارع بعد الواو ، ومن أمثلة المضارع (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) ، ومع أن معنى الواو هنا هو نفسه معنى الواو التي في المفعول معه كما يتشابه المعنى هنا والمعنى هناك أحب النحاة أن يفرقوا بين معنيين متشابهين بسبب الاختلاف في التضام بين الواو وما يتبعها ، فالذي يضام الواو في المعية اسم منصوب و الذي يضام الواو في المصاحبة مضارع منصوب . ومن هذا يتضح أن نصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع نصب المفعول معه بعد الواو ذاتها» (١) .

- الظرفية : قرينة معنوية على إرادة المفعول فيه «والظرفية هنا غير الظرفية التي يفيدها حصر الجر (في) لأن الظرفية هنا قرينة معنوية على باب نحوي ، ولكنها في حروف الجر علاقة احتواء بين معنى الحدث المستفاد من الفعل وبين الاسم التالي لحرف الجر ، أو بعبارة أخرى يكمن الفرق في أن الظرفية هنا للتخصيص أي لتقييد زمن الإسناد أو مكانه ، والظرفية هناك لنسبة الحدث إلى ظرف يحتويه ، فالعنيان من القرائن المعنوية وهما على ما بينهما من تشابه شديد جداً لا ينبغي اعتبارهما معنى واحداً لما بينهما من اختلاف المبني كما يتضح في المقابلات الآتية :

١- صحوت إذ تطلع الشمس	ظرف	تخصيص
٢- صحوت في طلوع الشمس	حرف	نسبة

فظرفية الظرف وما نقل إليه أشبه شيء بمعنى الاقتران الزماني أو المكاني ، أما ظرفية الحرف فهي على معنى الاحتواء الزماني والمكاني» (٢) .

- الاستعديد والتوكيد : قرينة معنوية على المفعول المطلق «والمقصود بالتحديد والتركيز تعزيز المعنى الذي يفيد الحدث في الفعل... والذي يهمنا من كل ذلك هو

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٦ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٧ .

أن التقوية بالتأكيد أو التحديد قرينة معنوية على المفعول المطلق»^(١) .

- الملايسة للهيئات : المنصوب أو الجملة مع الواو وبدونها «فإذا قلت : جاء زيد راكباً» فالمعنى جاء زيد ملبساً لحال الركوب ، وكذلك واو الحال وواو الابتداء ، وقدرها سيويوه والأقدمون بـ (إذ) ولا يريدون أنها بمعناها إذ لا يرادف الحرف الاسم بل إنها وما بعدها قيد للعامل السابق»^(٢) .

- التفسير للدوات : قرينة معنوية على باب التمييز ، والتفسير «يكون عند الحاجة إلى الإيضاح ولا تكون هذه الحاجة إلا عند المبهم والمبهم الذي يفسره التمييز إما أن يكون :

١- معنى الإسناد : نحو طاب محمد نفساً .

٢- معنى التعدية : زرعت الأرض شجراً .

٣- اسم مفرد دال على مقدار مبهم : اشتريت مترين حريراً (فهذا مبهم من حيث المقياس والعدد)^(٣) .

- علاقة الإخراج : قرينة معنوية على إرادة «باب المستثنى» فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد حين نفهم هذه القرينة المعنوية من السياق ، فإذا قلنا : جاء القوم إلا زيداً ، فإننا قد أسندنا الحمي إلى القوم وأخرجنا زيداً من الإسناد . وفي الإخراج تقييد للإسناد وتخصيص له»^(٤) .

- المخالفة : قرينة معنوية على الإعرابات المختلفة ، وعلى هذا رفض المؤلف إعراب أسلوب الاختصاص على تقدير أنه مفعول به لفعل محذوف لقدره «أخص» ، يقول :

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٨ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٨ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٩ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٩٩-٢٠٠ .

«إلا أنني أحسنّ عزوفاً تاماً عن هذا التقدير الذي ينقل مبدأ وجوب الاستتار من الضمائر إلى الأفعال . والذي يبدو لي هنا أن القيمة الخلافية المراعاة في نصب هذا الاسم هي المقابلة بينه وبين الخبر الواقع بعد مبتدأ مشابه قبل هذا الاسم هنا . وانظر إلى الجمل الآتية :

نحن العربُ نكرم الضيف ونغيث الملهوف .

نحن العربُ نكرم الضيف ونغيث الملهوف .

فـ (العرب) في الجملة الأولى خبر وما بعده مستأنف ، و (العرب) في الجملة الثانية مختص وما بعده (خبر) . ولو اتحد المعنى لاتحد المبنى فأصبحت الحركة واحدة فيهما ، ولكن إرادة «المخالفة» بينهما كانت قرينة معنوية تتضافر مع اختلاف الحركة لبيان أن هذا خبر وهذا مختص»^(١) .

- النسبة : قرينة معنوية كبرى يدخل تحتها قرائن معنوية فرعية ، والنسبة قيد عام على علاقة الإسناد ، والنسبة تختلف عن التخصيص في أن معنى التخصيص تضييف ومعنى النسبة إلحاق «والمعاني التي تدخل تحت عنوان النسبة وتتخذ قرائن في التحليل والإعراب وفي فهم النص هي ما نسميه معاني حروف الجر ومعها معنى الإضافة»^(٢) .

٢- القرائن اللفظية :

القرائن اللفظية في السياق هي :

١- العلامة الإعرابية .

٢- الرتبة .

٣- الصيغة .

٤- المطابقة .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠٠ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠١ .

٥- الربط .

٦- التضام .

٧- الأداة .

٨- النغمة .

١- العلامة الإعرابية : يرى المؤلف أن «العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم «تضافر القرائن». وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية.. وهذا يتضح أن العامل النحوي وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدى إليها النظر السطحي والخضوع لتقاليد السلف والأخذ بأقوالهم على علاقتها»^(١) .

٢- الرتبة : قرينة لفظية وهناك رتب محفوظة كتقديم الموصول على الصلة.. ومن الرتب غير المحفوظة رتبة المبتدأ والخبر ، ويرى المؤلف «أن الرتبة غير المحفوظة قد تدعو الحال إلى حفظها إذا كان أمن اللبس يتوقف عليها ، وذلك نحو : ضرب موسى عيسى، ونحو : «أخي صديقي» إذ يتعين في موسى أن يكون فاعلاً وفي أخي أن يكون مبتدأً محافظة على الرتبة لأنها تزيل اللبس وهي هنا تعتبر القرينة الرئيسية الدالة على الباب النحوي... وعدم وجود قرينة العلامة الإعرابية في المبنيات قد جنح بها إلى قرينة الرتبة وجعل الرتبة عوضاً لها من العلامة الإعرابية»^(٢) .

٣- مبنى الصيغة : قرينة لفظية على الباب ، فنحن لا نتوقع للفاعل ولا للمبتدأ ولا لنائب الفاعل أن يكون غسور اسم... ومعاني الصيغ الصرفية تكون وثيقة الصلة بالعلاقات السياقية^(٣) .

(١) اللغة العربية مبناها ومطامها ص ٢٠٧ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومطامها ص ٢٠٨ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومطامها ص ٢١٠ .

٤- المطابقة : تكون المطابقة في العلامة الإعرابية والتكلم والخطاب والغيبة ، والإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير ، ويرى المؤلف «أن المطابقة في أية واحدة من هذه المجالات تقوي الصلة بين المتطابقين فتكون هي نفسها قرينة على ما بينهما من ارتباط في المعنى ، وتكون قرينة لفظية على الباب الذي يقع فيه ويعبر عنه كل منهما . فبالمطابقة تتوثق الصلة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها وبدونها تتفكك العرى وتصبح الكلمات المتراصة منعزلاً بعضها عن بعض ، ويصبح المعنى عسير المنال»^(١) .

٥- الربط : «قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر ، ويتم الربط بين الموصول وصلته ، وبين المبتدأ والخبر وبين الحال وصاحبه ، وبين النعت ونعته ، وبين القسم وجوابه ، وبين الشرط وجوابه . ويكون هذا الربط بالضمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة أو بالحرف أو بإعادة اللفظ أو إعادة المعنى أو باسم الإشارة أو «أل» أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر»^(٢) .

٦- التضام : هو أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر فيسمى التضام هنا «التلازم» أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا «التنافي»^(٣) .

٧- الأداة : قرينة لفظية مهمة في التعليق النحوي «لاحظ الفرق بين الجملتين الآتيتين:

فهمتُ الشرحَ في مقابل فهمتُ والشرحَ

غنيتُ زيدا أغنية في مقابل غنيتُ وزيدا أغنية

فلا الفتحة بمفردها أغنت فتياً في تمييز المعنيين ، ولا هي والرتبة معاً لاتحادهما في

البابين وإنما يكون التفريق بينهما بأمرين :

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢١٢-٢١٣ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢١٣ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٢٥ .

١- القيمة الخلافية الناتجة من مقابل التعدية بالمعية .

٢- القيمة الخلافية الناتجة من مقابل وجود الواو وعدمه .

«ولما كانت الواو في مطية المعية هنا فلا يفهم معنى الواو بغير الواو ، اجتمع في الواو أمر التفريق بين المعنيين فصارت هي القرينة الوحيدة الدالة على المفعول معه وأصبح عدمها قرينة المفعول به»^(١)

٨- النغمة : قرينة من قرائن التعليق اللفظية في السياق ، وهو الإطار الصوتي الذي يقال به الجملة في السياق . ويقوم التنغيم في الكلام بوظيفة الترقيم في الكتابة لكن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة .

ويرى المؤلف أن النحاة قد وقعوا في خطأ في فهمهم لقول جميل بن معمر :

لا - لا أبوح بحب بثنة لها أخذت علي موثقاً وعهوداً

يقول: «لو اصطنع النحاة لأنفسهم علامات للترقيم لوجد القارئ نقطة للوقف بعد «لا» الأ، ولأدركوا أن «لا» هذه هي بنفسها تكون جملة مفيدة يستحسن في تنغيمها أن نقف عليها لتمام الفائدة ولما تورطوا في اعتبارها حرف نفي مؤكداً توكيداً لفظياً بحرف على مثل صورته قال ، ومن الواضح أن هناك فرقاً بين أن تكون «لا» الأولى حرف نفي مؤكداً أو جملة كاملة الإفادة يستحسن السكوت عليها ، ويتطلب التنغيم في حالة التوكيد وصل الكلام وفي حالة الجملة المفيدة وقفة واستئنافاً»^(٢)

● القرائن تغني عن العوامل :

يرى المؤلف أن القرائن اللفظية والمعنوية تغني عن فكرة العامل النحوي «لقد اتجه النحاة بقولهم بالعامل النحوي إلى إيضاح قرينة لفظية واحدة فقط هي التي تميز الإعراب

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٢٥ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٨ .

أو العلامة الإعرابية ، فجاء قولهم بالعامل لتفسير اختلاف هذه العلامات بحسب المواقع في الجملة فكانت الحركات بمفردها قاصرة عن تفسير المعاني النحوية»^(١) ، ففكرة تضافر القرائن هي الطريقة الصحيحة للرد على مبالغة النحاة في العامل النحوي، و هو لا يعطي العلامة الإعرابية أكثر مما يعطيه لأية قرينة أخرى من الاهتمام .
وفائدة الاعتماد على القرائن في فهم التعليق النحوي هو «أنه ينفي عن النحو العربي :

- أ — كل تفسير ظني أو منطقي لظواهر السياق .
ب — كل جدل من نوع ما لجَّ فيه النحاة حول منطقية هذا «العمل» أو ذاك وحول أصالة بعض الكلمات في العمل وفرعية التامات الأخرى وحول قوة العامل وضعفه أو تعليله أو تأويله»^(٢) .

وقد حظيت فكرة «التعليق» باهتمام كبير فهو يرى أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية . ويقصد بالتعليق إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية ، وهذه القرائن المختلفة تساعدنا على فهم وإدراك التعليق وهو «الإطار الضروري للتحليل النحوي أو كما يسميه النحاة الإعراب»^(٣) . ولهذا نرى أنه قد تصدى للتعليق النحوي بالتفصيل تحت عناوين أحدهما «العلاقات السياقية» والثاني : القرائن اللفظية . ومن الآراء المهمة في هذا الكتاب أن المؤلف توسع في فكرة التعليق «الإعراب» فقال : «أن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٣١ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٣٣ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ١٨٩ .

«تضافر القرائن» وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية ، وهذا يتضح أن «العامل النحوي» وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدى إليها النظر السطحي والخضوع لتقليد السلف والأخذ بأقوالهم على علائها»^(١) .

فالعلامة الإعرابية لا تكفي لبيان المعنى الوظيفي للتركيب ، بل إن مجموع هذه القرائن تتضافر لبيان المعنى الوظيفي للتركيب ، ومن هنا «كان الاتكال على العلامة الإعرابية باعتبارها كبرى الدوال على المعنى ثم إعطاؤها من الاهتمام ما دعا النحاة إلى أن يبنوا نحوهم كله عليها عملاً يتسم بالكثير من المبالغة وعدم التمهيد»^(٢) .

ومن الأفكار الجديدة في فكرة تضافر القرائن هو أن بعض القرائن قد يغني عن بعض عند أمن اللبس ، لهذا يرى المؤلف أن النحاة قد وقعوا ضحايا اهتمامهم الشديد بالعلامة الإعرابية حين رأوا النصوص العربية تحمل الاعتماد على قرينة الحركة أحياناً فتضحى بها لأن المعنى واضح بدونها اعتماداً على غيرها من القرائن المعنوية واللفظية»^(٣) .

وعلى ذلك خرج المؤلف الأمثلة الآتية :

١- **ثوب المسمار** ، يرى أن النحاة قد اعتمدوا على القرينة المعنوية ، وهي «الأسناد» وأهملوا الحركة إذ لا يصح أن يسند الحرق إلى الثوب وإنما يسند إلى المسمار فعلم أيهما فاعل وأيهما مفعول .

٢- **جحر ضب خرب** ، فقد أغنت — عند النحاة — قرينة التبعية وهي معنوية عن قرينة المطابقة في العلامة الإعرابية وهي لفظية . ويرى المؤلف أن الداعي إلى ذلك كان داعياً موسيقياً جمالياً وهي المناسبة بين المتجاورين في الحركة الإعرابية

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٠٧ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٣٢ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٣٣-٢٣٤ .

وقد سماه النحاة المجاورة»^(١)

٣- قال تعالى : «إنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ» يرى المؤلف أن المناسبة الموسيقية الصوتية دعت إلى إعمال العلامة الإعرابية لأن الرتبة واقتران الخبر باللام أوضحها أن لفظ «هذان» لا يمكن فيه إلا أن يكون اسم «إن» ولم يعد للعلامة الإعرابية بعد ذلك من الأهمية ما يحتم الاحتفاظ بها ولا سيما أمام إرادة المناسبة الموسيقية بين أصوات المتلازمين»^(٢).

● النظام الصرفي والزمن النحوي إلى مطالب السياق^(٣) :

وربط المؤلف فكرة الزمن بفكرة جديدة هي الجهة ، aspect وهي «تخصيص لدلالة الفعل ونحوه إما من حيث الزمن وإما من حيث الحدث»^(٤) وعلى هذا فالفعل الماضي يكون بحسب ما يعرض للزمن من معاني الجهة يأتي على الصور الآتية :

(البعيد المنقطع) (كان فعل) ، (القريب المنقطع) (كان قد فعل) (المتحدد) (كان يفعل) (المنتهى بالحاضر) (قد فعل) (المتصل بالحاضر) (ما زال يفعل) (المستمر) (ظل يفعل) (البسيط) (فعل) (المقارب) (كاد يفعل) (الشروع) (طفق يفعل) .

و الحال يأتي على الصور الآتية (العادي) (يفعل) ، (التحددي) ، (الاستمراري)

و الاستقبال يأتي على الصور الآتية (البسيط) ، (القريب) ، (البعيد) ، (الاستمراري)^(٥) .

ويرى المؤلف أن الاختلاف بين زمن وزمن يرجع إلى اختلاف الجهة لا في الماضي والحال والاستقبال «وبذلك يكون زمن الجملة الخبرية المثبتة في اللغة العربية يقع في

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٣٤ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٠ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٣ .

(٤) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٥٧ .

(٥) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٥ .

ست عشرة صورة يظل (فعل) فيها على مضيقه دائماً ، ويدل (بفعل) فيها على الحال أو الاستقبال دائماً وبحسب القرينة أو الضميمة»^(١) .

وتأتي تعبيرات الجهة التي تتفرع الأزمنة على أساسها ستة عشر فرعاً بواسطة إضافة الأدوات الحرفية والنواسخ إلى الأفعال وذلك مثل قد و السين وسوف واللام ونون التوكيد وما ولا ولم ولما ولن وإن وأخواتها وكان وأخواتها وكاد وأخواتها ، كلها عناصر لإفادة الجهة المحددة لمعنى الزمن^(٢) .

وهذه المحاولة أجراً محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية ، وتعد من أنصج لمحاولات التي درست تنظيم اللغة وإصلاحها لسري ، ركز المؤلف في هذه المحاولة جهده على المعنى وارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ، فربط ربطاً دقيقاً بين الشكل والوظيفة ، أو بين المبني والمعنى . وكان المؤلف موفقاً في الكشف عن أنظمة اللغة العربية فتناول بالدراسة النظام اللغوي (النظام الصوتي والصرفي والنحوي) ورأى أن هذه الأنظمة لا يمكن الفصل بينها إلا صناعة ولأغراض التحليل فقط . ومن خلال الكشف عن أنظمة اللغة فسّر ظواهر الشذوذ في التركيب اللغوي مستضيئاً بالمنهج الوصفي .

بناء على فكرة «تضافر القرائن» نستطيع أن نفسر كثيراً مما عدّه النحاة مسموعاً يحفظ ولا يقاس عليه أو عده شاذاً أو قليلاً أو نادراً أو خطأ^(٣) .

ولا ريب أن فكرة تضافر القرائن تفسر لنا كثيراً من مظاهر الشذوذ في قواعد النحو العربي بطريقة نستطيع أن نعتقدها أساساً نفسر به ما جاء شاذاً في قواعد العربية.

ومن الآراء المهمة التي ذكرها هو عدم الفصل بين الإعراب والمعنى ، لأن هذا الفصل

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٦ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٦-٢٥٦ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٠ .

«هو الذي جار على جدوى التعليم في كسب ذوق العربية ومعرفة منطقتها»^(١) .
ولهذا دعا المؤلف إلى مزج معطيات علم النحو بمعطيات علم المعاني لتنظيم دراسة
الفصحى على أساس جديد «وهذا المعنى يصبح للعلم الجديد الذي يأتي من امتزاج
النحو والمعاني «مضمون» لأنه يصبح شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها
وما يناط بكل جملة منها من «معنى»^(٢) . وفي رأيه إن ما جاء في كتابه من تغيير في
المنهج كان من أنضج محاولات إصلاح النحو العربي وأكثرها موضوعية وفائدة .

● الظواهر السياقية :

ويقصد بها المؤلف ما يخرج على نظام اللغة من كلمات مخالفة أو شاذة وذلك
عندما يتعارض نظام اللغة مع السياق الكلامي .

وقد أرجع المؤلف أسباب مخالفة نظام اللغة أو حصول الظواهر السياقية إلى
ثقل العملية النطقية ، ومراعاة أمن اللبس ، و إلى الاعتبارات الدوقية في صياغة
السياق العربي^(٣) .

وقرن هذه الأسباب بشيئين متناقضين هما توالي الأضداد وتوالي الأمثل يقول:
«فلذا كانت العربية تكره توالي الأضداد وتكره كذلك توالي الأمثال فماذا الذي
يرتضيه ذوقها إذاً من الواضح أن النظام اللغوي والاستعمال السياقي جميعاً يحرصان في
اللغة العربية الفصحى على التقاء المتخالفين ، أو بعبارة أخرى يحرصان على التخالف
ويكرهان التناظر والتماثل . فأما كراهية التناظر فلأنه يناقض الذوق العربي ، وأما كراهية

(١) لغتنا والحياة ص ١٩٧ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٣٣٧ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٦٣ .

التمائل فلأنه يؤدي إلى اللبس»^(١).

وأشهر الظواهر السياقية في الفصحى : ظاهرة التأليف والوقف والمناسبة والإعلال والإبدال والتوصل والإدغام والتخلص والحذف والإسكان والكمية والإشباع والإضعاف والنبر والتنغيم . وقد حاول المؤلف أن يجد لهذه الظواهر تفسيراً لخروجها عن نظام اللغة .

● الزمن والجهة :

فرق المؤلف بين الزمن النحوي والزمن الصرفي ، فالزمن النحوي هو «وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالف»^(٢) . والزمن في الصرف هو «وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق فلا يستفاد من الصفة التي تفيد موصوفاً بالحدث ، ولا يستفاد من المصدر الذي يفيد الحدث دون الزمن»^(٣) . ثم يوضح هذه التفرقة بين الزمن النحوي والصرفي بقوله : «حين يستفاد الزمن الصرفي من صيغة للفعل يبدو قاطعاً في دلالة كل صيغة على معناها الزمني على النحو الآتي :

- ١- صيغة فعل وقيلها تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي .
 - ٢- صيغة يفعل وقيلها تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال .
 - ٣- صيغة أفعل وقيلها تفيد وقوع الحدث في الحال أو الاستقبال .
- أما في السياق النحوي فسنرى أن الزمن هو وظيفة في السياق يؤديها الفعل وغيره من أقسام الكلام التي تنقل إلى معناه»^(٤).

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٦٤ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٠ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٠ .

(٤) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤١ .

فألزمن النحوي جزء من معنى الفعل «وإذا كان النحو هو نظام العلاقات في السياق فمجال النظر في الزمن النحوي هو السياق وليس الصيغة المنعزلة ، وحيث يكون الصرف هو نظام المباني والصيغ يكون الزمن الصرفي قاصراً على معنى الصيغة يبدأ بها وينتهي بها ولا يكون لها عندما تدخل في علاقات السياق»^(١) .

ويرى المؤلف أن النحاة قد فهموا الزمن على مستوى الصرف فقط ، فقد نسبوا الماضي إلى صيغة (فَعَلَ) والحال أو الاستقبال إلى (يفعل وأفعل) ولكنهم عندما نظروا في الجملة المنفية لاحظوا أن المنفي قد يدلّ على الماضي ، وعندما نظروا في الجملة الإنشائية لاحظوا أن (فعل) يدل على الاستقبال في التحضيض ، والدعاء والشرط «وساغ لهم في حرصهم على القواعد أن ينسبوا اختلاف الزمن إلى الأدوات فقالوا إن (لم) حرف قلب وأن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان . ولست أدري لِمَ أحجموا عن نسبة مثل هذا المعنى إلى (إن) الشرطية التي تتحول بعدها إلى صيغة (فَعَلَ) إلى معنى الاستقبال»^(٢) .

ويرى أن النحاة لم يحسنوا النظر في تقسيمات الزمن في السياق العربي ، وكان عليهم أن يعرفوا طبيعة الفرق بين مقررات النظام ومطالب السياق .



(١) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٢ .

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٤٣ .

١١- تقوية محاولات تيسير النحو العربي

يبدو لي أن العقلية العربية الحديثة لا تستطيع أن تستوعب تلك الآراء والخلافات النحوية التي ذكرتها كتب النحو وأنها ليست بقادرة على النظر في متون النحو ومنظوماته، ولا تريد أن تبذل أي جهد ذهني في مسألة نحوية وردت في مطولات النحو . غير أننا لا نستطيع أن ننكر أن النحو العربي يمثل مرحلة من مراحل التفكير العربي وأن السنحة القدماء لم يعيشوا في بيت من الزجاج بل تأثروا بالثقافة التي كانت تحيط بهم ، ولهذا جاءنا النحو محصلة للتفكير في العصور السابقة .

وقد تعرض علم النحو لنقد كبير من الباحثين المعاصرين فرأوا أنه كثير التأويل والحذف والاهتمام بالعامل والإسراف في الافتراض والتعليل وأسلوبه صعب ، وموضوعاته تحتاج إلى إعادة ترتيب وتنسيق وإلى حذف ما في النحو من حشو يمكننا الاستغناء عنه .

ولست أدري ؟ هل نستطيع أن نقول إن علم النحو هو العلم الوحيد الذي اتسم بهذه الصعوبات ؟ أليس هناك علوم أكثر صعوبة وتعقيداً من النحو العربي ؟ .

ليت شعري ماذا نقول في الشكوى التي نسمعها دائماً من صعوبة العلوم الطبيعية الأساسية «العلوم التجريبية» من رياضيات وطبيعة وفلك... فعلم النحو يستوي في هذه الشكوى مع كل هذه العلوم غير أن هذه العلوم لم تحظ بنقد وهجوم كما حظي علم النحو «وشكوا من صعوبة النسق اللغوي الذي يضبط معاني الألفاظ في الجملة ،

بحركات الإعراب وما نعرف لغة في الدنيا تستغني عن قواعد نحوها وتصرفها وأدائها ،
يتعلمها أبناء اللغة في مدارسهم ، وتعلمها نحن الغرباء ، فلا نلن عقد القواعد اللغوية
في الألسنة الأوربية»^(١) .

وأعيد السؤال مرة أخرى «لماذا لا نقول أنه ما من مادة علمية يدرسها أبناؤنا ،
لا تفرض عليهم قواعد وضوابط ليست بحال ما ، أسهل ولا أيسر من القواعد
الأساسية للغة العربية ، والتلميذ في المدرسة الابتدائية يتعلم قواعد الحساب فلا يفكر
في إعفائه مثلاً من القسمة المطولة أو إجراء عمليات الحساب في الكسور الاعتيادية
والعشرية وما أظنها أيسر من القواعد النحوية البسيطة للفعل والفاعل والمفعول»^(٢) .
وقد اختلفت نظرة المعاصرين إلى حل صعوبات النحو العربي ، فمنهم من حمل
المادة النحوية ههذه الصعوبات ، ومنهم من أرجعها إلى مناهج النحاة الجامدة في
التأليف و التدريس .

وهكذا شاع لدى الكثير من المتخصصين صعوبة النحو العربي «ولقد اتجهت نفسي
إلى دراسة المعيارية والوصفية حين رأيت الناس في معظمهم يشكون داء في النحو العربي لا
يستطيعون تشخيصه ، فإذا أرادوا تشخيص هذا الداء انصرفوا دون قصد إلى سرد أعراضه ،
فتكلموا في جزئيات النحو ، لا في صلب المنهج وشتان بين من ينقد أجزاء المادة وبين ما
يريد علاج الفلسفة التي انبت عليها دراستها»^(٣) .

ومحاولات تجديد النحو العربي جديدة بالبحث والدراسة كي يمكننا بيان الفائدة
التي تعود على النحو العربي في تيسيره أو تذليل ما يحيط به من مشكلات . ويمكننا
حصر هذه المشكلات في المؤلفات النحوية القديمة ، وطريقة النحاة في دراسة النحو ،

(١) لغتنا والحياة ص ١٩٥ ، د. عائشة عبد الرحمن.

(٢) لغتنا والحياة ص ١٩٥ .

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٣.

وطبيعة علم النحو .

وتعد ثورة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه الرد على النحاة أجراً لمحاولة لإصلاح النحو ، فقد دعا إلى اعتبار ما جاء مستعملاً من صيغ اللغة ، وإلى البعد عن التقدير والتعليل ، وهاجم نظرية العامل النحو والتمارين الافتراضية . والصحوة في النحو وإصلاحه وتيسيره بدأت باين مضاء . وآراؤه في النحو هي التي دفعت بالباحثين إلى النسج على منوال كتابه أو الأخذ بكثير من آرائه ، وهذا أمر واضح في محاولات تحديد النحو التي دعت إلى التخفيف من صعوبات النحو .

وقد أراد بعض الباحثين أن يتابعوا ما قاله ابن مضاء القرطبي في كثير من آرائه ، ويبدو هذا جلياً في كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى ، غير أن صاحبه تجرأ على بعض الأبواب النحوية فحذفها ، وأعاد تبويب بعضها تبويماً جديداً ، وأعاد النظر في العلامات الفرعية والعامل النحوي وبناء الجملة العربية والتوابع ، ولم تستطع آرائه أن تأخذ طريقها إلى التطبيق لما فيها من تكلف وهدم لبعض آراء النحاة .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الكتاب يبقى ممثلاً لمرحلة من مراحل التفكير النحوي عند المحدثين .

واهتم بعض الباحثين بالجانب العملي فذهبوا إلى تقديم القواعد الأساسية الوظيفية التي تهدف إلى سلامة الكلمة والجملة في إطار التطبيق لعملي ، مع تجنب الخلافات النحوية والتعليل في طرح القواعد . ويظهر هذا في كتاب النحو الوظيفي لعبد العليم إبراهيم ، فقد عني بكثرة التدريبات ، وجمع المتفرقات في مكان واحد ، وذلك عندما تتحد حالاً الإعرابية .

ويبقى هذا الكتاب من الكتب النحوية التي تيسر النحو وتخفف من صعوباته ، واتجه بعض الباحثين إلى قواعد اللغة عن طريق إيجاد كتاب يدرس النحو بطريقة سهلة ونحالية من الصعوبات ، ويظهر ذلك في كتاب «النحو المصفى» للدكتور محمد عيد ،

ففسد أقدام هذا الكتاب على أساس النحو التقليدي ثم أجرى فيه التعديل والتهذيب لتحقيق ما يرمى إليه من إصلاح وتيسير ، وابتعد عن التأويل والتعليل والاستطراد ، وتعدد الآراء النحوية في المسألة الواحدة ، مراعيًا الاستعمال اللغوي ومستضيئًا بالمنهج الوصفي .

وهذا الكتاب مفيد وفيه تيسير وذلك بتحليل النحو من التعليل والتأويل .
ومما لسه صلة بهذا الاتجاه ما جاء به الدكتور عفيف دمشقية ، غير أن آراءه ودراسته توجهت نحو تطوير الدرس النحوي وتسهيل النحو العربي منطلقاً من مبدأ نخل التراث وتصفيته ليكون نواة لنحو عربي جديد . ولم يأت في هذه الدراسة بجديد لأن جهده انحصر في النحو أو الآراء النحوية التي جاء بها الأخص الأوسط لأنه يراها أقرب إلى طبيعة اللغة ومنطق الأشياء .

ولم يخرج إنتاجه عن أن يكون صورة من كتب النحو التقليدية ، وجاءت نظريته نظرية جزئية ولم تتميز بالتكامل الذي يشمل جوانب اللغة المختلفة .

واتجه بعض الدارسين إلى وضع نحو جديد بدل النحو القديم غير مكترث بآراء النحاة القدماء وما وضعوه من قواعد ويمثل هذا الاتجاه كتاب النحو المعقول للدكتور محمد كامل حسين ، وأخطر ما في هذا الكتاب أن صاحبه قد دعا إلى وضع قواعد جديدة للغة العربية بدل النحو القديم ، فمنهجه يقوم على هدم النحو القديم وابتداع نحو جديد لم يألوه المعلمون والمتعلمون ، معتمداً في ذلك على ذوقه الشخصي ، فجاء نحوه المعقول غير معقول ، وتناسى أن قواعد اللغة هي من صنع العقل الجمعي لا العقل الفردي ، ولهذا فإن هذه المحاولة قد انحرفت عن إصلاح النحو العربي أو تيسيره وزادت قواعد اللغة اضطراباً وتعقيداً وليست قواعد العربية بحاجة إليه .

ودعا الدكتور شوقي ضيف إلى تجديد النحو العربي وذلك بتصنيف الأبواب النحوية تصنيفاً جديداً آخذاً بآراء ابن مضاء القرطبي في كتابه «الرد على النحاة»

فتناول منهج النحاة في التأليف والمادة النحوية أيضاً .

وبعد ما جاء به الدكتور شوقي ضيف من أحدث وأخطر محاولات تجديد النحو في حياتنا المعاصرة . غير أنني أرى أن التوفيق لم يحالفه فيما جاء به من أفكار وآراء ، لأنه نظر إلى النحو العربي نظرة الأديب أو الناقد لا نظرة اللغوي الذي ينظر إلى المشكلات اللغوية بناء على أنظمة اللغة العربية ثم يحلل المشكلة ويحدد أبعادها ، وبعبارة أخرى لم ينظر إلى النحو على أنه نظام متكامل يعبر عن النظام اللغوي ، وأن رغبته في تيسير النحو دفعته إلى ضم المنصوب على الاختصاص والعدد وأفعال المدح والذم والتعجب إلى باب التمييز ، فأعرب المنصوب على الاختصاص تمييزاً ، وذهب أيضاً إلى ضم «كان وأخواتها» إلى باب الحال ، وعلى هذا أعرب خبر كان «حالاً» . وقد حباب ظنه وأخطأت أحلامه لأنه أراد تجديد النحو فجاءنا بنحو جديد بقواعد تخالف ما تعارفنا عليه ، وقال بنحو لم يقله النحاة ، وأخل بأصول العربية .

وهذا التجديد الذي توصل إليه لا يرقى إلى منزلة تيسير النحو أو إصلاحه بل يقدم صورة عن المنهج الذي يتبعه الباحثون في سبيل إصلاح النحو وتيسيره . ويبقى هذا المنهج غير قادر على فهم تراكيب اللغة العربية ودراسة أنظمتها المختلفة ، ويؤدي إلى القلق والاضطراب في قواعد النحو العربي .

وإذا كان هؤلاء المحدثون قد ذهبوا إلى أن تعدد آراء النحاة واختلافاتهم تعدد من صعوبات النحو العربي ، فإن ما وقع من خلاف بين المحدثين كان أشد وطأة على تيسير النحو أو تجديده وأكثر قلقاً واضطراباً ، وليبيان هذا الأمر سأعرض ما قالوه في أسلوب الاختصاص :

١- ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن المنصوب على الاختصاص في نحو «نحن — معاشر الأنبياء — لا نُورث» هو تمييز ، وعزز رأيه بقوله : «وقد يعترض على ذلك بأن الأصل في التمييز أن يكون نكرة ، غير أن الكوفيين أجازوا أن يكون

معرفة ، وفي ذلك يسقط الاعتراض ، وبدون ريب إعراب تلك الكلمات مميّزاً
أوضح وأبين من إعرابها مفعولاً به لفعل محذوف تقديره «أخص أو أعني»^(١) .

٢- قال الدكتور محمد حسين كامل في أسلوب الاختصاص «وليس صحيحاً ما
قال النحاة في إعراب عبارة «نحن المصريين نفعل كذا» فهم يقولون إن التقدير
ونخص المصريين . وهذا بالطبع غير المعنى المقصود والواقع أن المصريين هنا
نصبت حتى لا يتبادر إلى ذهن السامع أنها خبر للمتحدث عنه وهو نحن»^(٢) .

وقال الدكتور تمام حسان : «ومن قبيل اعتبار المخالفة قرينة معنوية أننا لا نحسّ
ارتباطاً إلى تفسير النحاة لمعنى باب الاختصاص إذ يجعلون الاسم المنصوب على
الاختصاص مفعولاً لفعل محذوف تقديره «أخص» أو «أعني» ومع أن تقدير «أخص»
منسجم مع اعتبار الاسم المختص من قبيل ما يدخل تحت عنوان «التخصيص» إلا أنني
أحسّ عزوفاً تاماً عن هذا التقدير الذي ينقل مبدأ وجوب الاستتار من الضمائر إلى
الأفعال . والذي يبدو لي هنا أن القيمة الخلافية المراعاة في نصب هذا الاسم هي
المقابلة بينه وبين الخبر الواقع بعد مبتدأ مشابه لما قبل الاسم المنصوب هنا»^(٣) . ألا
يحار المرء في مثل هذه الآراء التي ترمي إلى حل صعوبات النحو العربي ؟

ألا نرى أيضاً أنهم قد أجهضوا النحو بتخريجهم التي لا تخلو من التكلف ؟
ولهذا فإن ما ذهب إليه النحاة كان أقرب إلى واقع اللغة ، ويبعدنا عن هذا
الاضطراب والتكلف في مثل هذه الآراء — وهي كثيرة — عند المحدثين .
لأن مثل هذا الخلط في التحليل والتخريج يجعلنا نتجهّم في وجه كل دعوة إلى
تيسير النحو أو إصلاحه .

(١) تجديد النحو ص ١٩٣ .

(٢) النحو المعقول ص ٤٧ .

(٣) اللغة العربية مبناها ومعناها ص ٢٠٠ .

وبعد ، فإن هذه المحاولات التي درستها قد استراحت فألقت صعوبة اللغة العربية على قواعد الإعراب . ولكن هل صعوبة النحو العربي في علم النحو نفسه؟ أو في المنهج وطريقة التدريس ؟ .

إن القواعد آلة لفهم اللغة والتمكن من أساليب التعبير ، ولهذا لا بد من تحديد صعوبات النحو العربي التي تظهر في المؤلفات النحوية وما تخللها من التعريفات الكثيرة ، والخلافات النحوية التي تقوم على الإغراق في التعليل والجدل الذهني ، وقد أشرت إليها في بداية البحث . فضرورة التيسير تدفعنا إلى تخلص النحو من هذه الصعوبات وإعادة تنسيق بعض الأبواب النحوية تنسيقاً علمياً دقيقاً ، على ألا نتسرع في إصدار الأحكام على المسائل النحوية . وبعبارة أخرى أن النحو يحتاج إلى نوع من التيسير في المادة النحوية والمنهج أيضاً ، لأن قواعد اللغة العربية لم تخلق خلقاً بل وضعها القدماء بعد بحث ودراسة وجهد ، وهي ليست مستعصية على التعديل أو البناء ، أو الاصطفاء والانتقاء ، ويمكن إخضاعها لمنهج علمي يراعى فيه حسن العرض والتحليل مع التسليم بـ «أن الإحاطة بالأحكام الإعرابية لا تخلو من مشقات ، وأن الإمام الواقي بقواعد النحو عسير إلى حد ما ، لكن هل انفردت اللغة العربية بهذا ؟ ألا تشركها في هذه الصعوبة لغات قديمة وحديثة كالفرنسية والألمانية ؟ فهل تنادى أهلها بإلغاء ضوابطها ، وإهمال قواعدها ، أو اصطناع لغة أجنبية»^(١) .

لأنه ماذا عسى أن نصنع في بعض آراء المحدثين في النحو التي يميل بعضها إلى صنع نحو جديد منحرف عن القواعد النحوية الأصيلة والطابع اللغوي المأخوذ من التراث ، فهناك فرق كبير بين نحو جديد وتحديد النحو لأن كل محاولة تبتغي إصلاح النحو وتيسيره لا تستطيع أن تحقق هذا الهدف إلا إذا بدأت بالنظر في الأصول النحوية التي

(١) اللغة والنحو بين القديم والحديث ، د. عباس حسن ، ط ٢ عام ١٩٧١ ، ص ٢٧٨ .

استنبط منها النحاة القواعد والأحكام النحوية .

وإذا كنا ننظر إلى النحو على أنه وسيلة لا غاية فإنه لا بد من استنباط القواعد من خلال النصوص اللغوية بدلاً من الأمثلة المتفرقة ، مع الإكثار من الاستشهاد بالنصوص الجيدة لتربية الذوق وتنمية وسائل التعبير المختلفة .

ولكن من أين نبدأ ؟ أقول : نبدأ من المادة النحوية والمنهج وطرائق التدريس على ضوء صعوبات النحو العربي التي سبق ذكرها .

● اقتراحات وتوصيات :

١- قواعد اللغة العربية آلة لفهم اللغة نتمكن بواسطتهما من أساليب التعبير الصحيحة ، ومن المعروف «أن الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها هي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحقين من الخطأ ، فرضيت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي ، النحو العلمي أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومته نحواً معياراً لا نحواً وصفيّاً»^(١) ، فلبي أرى أن هذه القواعد المعيارية فائدة تعليمية وتربوية أيضاً لأنها عرفتنا بمبادئ اللغة العربية ، وبتصور قواعد النحو الأساسية ، ولتتم فائدتها فإنه يمكننا أن نعد لها أو نغير ما يحتاج إلى تغيير ثم نخضعها للاصطفاء والاختيار ، وأن نعيد النظر في منهجها وطريقة تدريسها ونحسن عرضها ونجيد تحليلها .

٢- يمكننا الإفادة في تأليف الكتب النحوية من نصيحة الجاحظ التي قدمها لمعلم الصبية أو الناشئة عندما قال له : أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه ، وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه ، وما زاد إلى ذلك فهو مشغلة

(١) اللغة العربية معانيها ومعانيها ص ١٣ .

عَمَّا هُوَ أَوَّلَى بِهِ وَمُذْهَلٌ عَمَّا هُوَ أَرَدَ عَلَيْهِ ، مِنْ رِوَايَةِ الْمَثَلِ وَالشَّاهِدِ وَالْخَيْرِ
الصَّادِقِ وَالتَّعْبِيرِ الْبَارِعِ وَإِنَّمَا يَرْغَبُ فِي بُلُوغِ غَايَةِ النُّحُوِّ وَمَجَاوِزَةِ الْاِقْتِصَادِ فِيهِ
مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْرِفِ حَسِيَمَاتِ الْأُمُورِ وَالِاسْتِنْبَاطِ لِعَوَامِضِ التَّدْبِيرِ لِمَصَالِحِ
الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ... وَمَنْ لَيْسَ لَهُ حِظٌّ غَيْرُهُ وَلَا مَعَاشٌ سِوَاهُ ، وَعَوِيصُ النُّحُوِّ
لَا يَجْرِي فِي الْمَعَامِلَاتِ وَلَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ شَيْءٌ .

هذه النصيحة تفيدنا في تقديم الكتاب النحوي الصالح للناشئة ومراعاة التدرج في
المستويات الدراسية للطلاب ، وحسن العرض والتحليل والبعد عن العلل والأقيسة
وبعض التفريعات التي لا تفيد التفريعات في النطق السليم .

٣- ليس سبب التعقيد في النحو ذاته وإنما يرجع إلى منهج التأليف وطريقة التدريس ،
فالنحو طريق إلى تعلم اللغة العربية ، وتعلم اللغة يبدأ بالنحو غير أن اللغة
العربية ليست مقصورة على النحو ، أو بعبارة أخرى أن اللغة لا تعني النحو ،
بل تعني ذلك التراث الأدبي واللغوي في القدم والحديث . وعلى هذا لا
نستطيع أن نتعلم اللغة العربية على أنها قواعد صنعة تقوم على التلقين والحفظ .

٤- المعاني جزء من النحو ، بل إن النحو يقوم على المعاني ، فتغيير الحركات
الإعرابية يؤدي إلى تغيير في المعنى ، ولهذا يستحسن عدم فصل النحو عن علم
المعاني ، لأن دراسة الحكم الإعرابي للمبتدأ والخير في حالة التقليم والتأخير لا
يمكن فصلها مثلاً عن بيان أسباب التقليم والتأخير في علم المعاني ، وكذلك
دراسة أساليب النفي والاستفهام والشرط ... وقد دعا إلى هذا الأمر عدد من
الباحثين ، يقول الدكتور تمام حسان «ومن هنا نشأت هذه الفكرة التي تتردد
على الخواطر منذ زمن طويل أن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعى
لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني حتى إنه ليحسن في

رأسي أن يكون علم المعاني قمة الدراسات النحوية أو فلسفتها»^(١) ويري الدكتور عائشة عبد الرحمن «أن هذا العزل الشاذ بين الإعراب والمعنى هو الذي جاز على حدود التعليم في كسب ذوق العربية ومعرفة منطقتها... ومقتضى مدارسنا على شغل دروس العربية بهذه القواعد النحوية والصنعة البلاغية ، منفصلة تماماً عن ذوق العربية وأساليبها ، فيتلقاها التلميذ تلقيناً ويحفظ منها ما يفرغه في ورقة الإجابة في الامتحان ، ثم ينتهي منها تماماً وينقطع كل ما بينه وبينها ، لم تكسبه معرفة العربية ولم تُجد على أدواته اللغوية»^(٢).

٥- يستحسن أن تفرد مناهج تدريس النحو عناية خاصة بعلم الأصوات في كل مراحل التعليم كي يتمكن الطالب من معرفة بيان الصفات العامة للحروف أو الأصوات ، ومعرفة مخارج الحروف العربية ويجب العمل على تقويم نطق هذه الحروف نطقاً سليماً .

٦- زيادة الاهتمام بعلم النحو لأن دراسة مشكلات اللغة العربية تبدأ بدراسة الجانِب اللغوي في اللغة ، والأمم المتقدمة تعطي نحوها كثيراً من العناية والاهتمام فهذا «تشومسكي» يعتبر «أن موقع النحو syntax من اللغة هو بمثابة القلب من جسم الإنسان»^(٣).

٧- تقليم القواعد النحوية بطريقة الاستنباط التي تدفع إلى النشاط العقلي ، وتقود إلى البحث العلمي ، مع الإكثار من الشواهد ، وعدم المس بالمصطلحات الأصلية للنحو العربي ، ويجب المحافظة على أصول النحو العربي لأنه لا سبيل

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨.

(٢) لغتنا والحياة ص ١٩٧.

(٣) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص ٢٩٩.

إلى فهم التراث بغير معرفة قواعد اللغة

٨- يحسن ألا نبالغ في دعاوى الصعوبة والتعقيد في النحو العربي ، لأن هذه الصعوبة لا ترجع إلى طبيعة علم النحو ، بل إلى منهج التأليف وطرائق التدريس في بعض الأحيان .

ومن هنا تبدو الحاجة ملحة إلى وضع كتاب ميسر للنحو العربي وتخليصه من كثرة التعليل والتأويل ، واستبعاد المسائل النحوية التي لا تفيد نطقاً ، وتحاشي الخلافات النحوية ، وتعدد الآراء . على أن يسند التأليف في علم النحو إلى أصحاب الاختصاص الدقيق الذين لهم خبرة طويلة في تدريس علم النحو ومعالجة مشكلاته .

٩- اللغة ظاهرة اجتماعية لا بد أن تسير مع ركب الحياة ، ومتطلبات العلم والحضارة ، ولتحقيق هذا ينبغي لنا أن نعمل على تصفية النحو من المشكلات التي يتعسر فهمها ، وعلى تكوين المدرس القوي الذي يكون قادراً على فهم وظيفة النحو .



Damascus University

فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى
أمين الخولي
تمام حسّان (د.)
ابن جني (أبو الفتح عثمان)
خديجة الحديشي (د.)
خليل عمارة (د.)
سيبويه
شوقي ضيف (د.)
عائشة عبد الرحمن (د.)
عباس حسن (د.)
عبد العليم إبراهيم
عفيف دمشقية (د.)
إحياء النحو . القاهرة ١٩٣٧ .
مناهج تحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب .
القاهرة ١٩٦١ .
مناهج البحث في اللغة . القاهرة ١٩٥٥ .
اللغة بين المعيارية والوصفية . القاهرة ١٩٥٨ .
اللغة العربية مبناها ومعناها . القاهرة ١٩٧٣ .
الخصائص . القاهرة ١٩٥٢ .
أبنية الصرف في كتاب سيبويه . بغداد ١٩٦٥
في نحو اللغة وتراكيبها ، منهج وتطبيق . عالم المعرفة
— جدة — ١٩٨٤ .
الكتاب . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٧٣ .
تحديد النحو ، ط. دار المعارف بمصر ١٩٩٠
تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع لهج تجديده ،
ط. دار المعارف بمصر ١٩٩٣ .
تيسيرات لغوية ط. دار المعارف بمصر ١٩٩٠
لغتنا والحياة . ط٢ دار المعارف ١٩٩٢ .
اللغة والنحو بين القديم والحديث . دار المعارف بمصر
١٩٧١ .
النحو الوظيفي . ط٨. دار المعارف ١٩٦٩ .
تحديد النحو . معهد الإنماء العربي . لبنان ١٩٨١ .
نخطى متعشرة على طريق تحديد النحو العربي . دار
العلم للملايين — بيروت ١٩٨٠ .

- ابن مالك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . تحقيق محمد كامل
بركات — القاهرة ١٩٦٧ .
- المبرد المقتضب . تحقيق محمد عبد الخالق عضية . القاهرة
١٣٩٩ هـ .
- محمد الطنطاوي نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة . ط ٢ — القاهرة
١٩٦٩ .
- محمد عيد (د) النحو المصفى . القاهرة ١٩٧١ .
- محمود شرف الدين (د) الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة . القاهرة
١٩٨٤ .
- ابن مضاء القرطبي الرد على النحاة . تحقيق د. شوقي ضيف . القاهرة
١٩٤٧ .
- نايف بحرما (د) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة . عالم المعرفة
— الكويت ١٩٧٨ .

• الدوريات •

- قرارات المؤتمر الأول للمجامع اللغوية والعلمية ١٩٥٦ .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد (٢٧) سنة ١٩٧١ .
- العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية ١٩٣٤-١٩٨٤ .

كان وأخواتها •

- ١- الأفعال التي ترفع الاسم وتنصب الخبر (عدها - شروطها - صورها) .
- ٢- ترتيب الجملة مع هذه الأفعال .
- ٣- معنى المصطلحين النحويين (التمام - النقصان) .
- ٤- ما تختص به «كان» وحدها من الأحكام .
 - أ - زيادتها حشواً في الكلام .
 - ب - حذفها مع اسمها .
 - ج - حذف نونها .



الصف الأول من الأفعال النواسخ (كان وأخواتها) وللتعرف على هذه الأفعال تماماً ينبغي النظر إليها من نواح ثلاث ، هي على الترتيب (عدها - شروطها - صورها) .

• عدها :

هي ثلاثة عشر فعلاً ، وإليك هذه الأفعال ومعانيها :

- ١- كان : وهي لأتصاف الاسم بالخبر في الماضي ، تقول (كان الحفل رائعاً ، وكانت الليلة ممتعة) .
- ٢- أمسى : لأتصاف الاسم بالخبر مساءً ، تقول (أمسى الجو منعشاً ، وأمست

• نموذج ملتبس من كتاب النحو المصفى ، للدكتور محمد عبد .

الرياحُ رخاءً .

٣- أصبح : وهي لأتصاف الاسم بالخبر في الصباح ، تقول (أصبح الضوء ساطعاً ، وأصبحت الرؤية واضحة) .

٤- أضحى : وهي لأتصاف الاسم بالخبر في وقت الضحى ، تقول (أضحت الشمس متوهجة ، وأضحى الجو حاراً) .

٥- ظل : وهي لأتصاف الاسم بالخبر طوال النهار ، تقول (ظل المؤمن صائماً) .

٦- بات : وهي لأتصاف الاسم بالخبر في الليل ، تقول (بات القلق مسهداً ، بات الشرطي ساهراً) .

٧- صار : وهي لتحويل الاسم إلى الخبر ، تقول (صار المهمل مجتهداً ، وصار الكسول نشيطاً) .

٨- ليس : وهي تفيد نفي معنى الخبر عن الاسم ، تقول (ليس الصدق مهلكاً ، وليس الكذب منجياً) .

٩- ١٠- ١١- ١٢- الأفعال الأربعة (زال - برح - فتى - انفك) : ومعناها دوام أتصاف الاسم بالخبر ، تقول (ما زالت اللغة العربية حيّة متحددة ، وما برح أهلها محافظين عليها ، وما انفك التفاهم بما ميسوراً بين العرب جميعاً) .

١٠- دام : ومعناها بقي واستمر ، وتفيد في جملتها دوام أتصاف اسمها بالخبر ما بقي كل مهما مرتبطاً بالآخر ، تقول (لن يغلب العرب ما داموا متحدين) .

ذلك هو أصل الباب ، يتكون من هذه الأفعال الثلاثة عشر مع معانيها السابقة ،

ولكن يتفرع على هذا الأصل السابق الأمران التاليان :

- الأول : أن الأفعال الخمسة (كان - أمسى - أصبح - أضحى - ظل) تستعمل في اللغة بمعنى (صار) ، أي أنها تفيد التحول والانتقال ، وهذا الاستعمال يطلق عليه في اللغة اسم (التضمين) ومعناه أن يتحمل فعل له معنى خاص معنى آخر ،

وحينئذ يأخذ حكمه ، ومن ذلك :

● قول القرآن ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾^(١).

● قول القرآن ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٢).

قول الشاعر :

ثم أضحووا كأنهم ورق جفَّ فالوت به الصبا والذبور^(٣)

● قول النابغة :

أمسيت خلأً وأمسي أهلها احتملوا - أخنى عليها الذي أخنى على لبد^(٤)

- الثاني : وردت أفعال أخرى - غير الأفعال السابقة التي هي أصل الباب - بمعنى

الفعل (صار) أيضاً عن طريق (التضمين) وهي - كما أوردها

الأشعري - عشرة أفعال (أض - رجع - عاد - استحال - قعد -

حار - ارتد - تحول - غدا - راح) ، فلنتأمل الشواهد التالية :

● قول الرسول ﷺ : (فلا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض)^(٥).

● قول الرسول ﷺ : (فاستحالت غرباً)^(٦)

(١) الآيتان ١٩-٢٠ من سورة النبا .

(٢) من الآية ٥٨ من سورة النحل .

(٣) ألوت به : أهلكته ، والمقصود هنا : بعثته وأضاعته أثره . الصبا والذبور : نوعان من الرياح .

يقول : إن هؤلاء القوم هلكوا وتشتتوا كالورق الجاف الذي مزقته وبعثته الرياح .

الشاهد : في (أضحوا) قبلها في البيت بمعنى (صار) واسمها «واو الجماعة» وخبرها محذوف

تقديره (مشتتين) .

(٤) احتملوا : رحلوا - أخنى عليهم : أهلكهم - لبد - بضم اللام - اسم نسر يقال أنه عاش طويلاً .

الشاهد : في (أمسيت خلأً) فإن الفعل (أمسى) بمعنى (صار) ومثله أيضاً (أمسى أهلها احتملوا) .

(٥) صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٦) اسم (استحالت) ضمير يعود على (الدلو) المذكورة في حديث طويل (صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٦) .

● قول الشاعر :

وكان مضطرباً من هديت برشده فله مضى عداد بالرشد أمراً^(١)

● قول الشاعر :

إن العداوة تستحيل مودة بتدارك الهفوات بالحسنات^(٢)

● قول امرؤ القيس :

وبللت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن أبوساً^(٣)

وهذه الأفعال الأخيرة ليست موضوعة أصلاً لتكون من النواسخ ، وإنما تصير ناسخة إذا ورد استعمالها بمعنى الفعل (صار) ، أي أنها تتضمن معنى هذا الفعل ينسخ

(١) صار المضطرب هادياً ، وهذا عجيب .. فقد انقلب المغوي مرشداً.

الشاهد : (عاد بالرشد أمراً) فإن الفعل (عاد) بمعنى (صار) يرفع الاسم وينصب الخبر . الإعراب : كان : فعل ماض ناقص يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، مضى : اسم كان مرفوع بالضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، وياء المتكلم مضاف إليه ، من : اسم موصول خبر كان مبني على الكون في محل نصب ، هديت : هدى فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك ، والضمير نائب فاعل ، برشده : جار ومجرور ، والجملة كلها صلة الموصول ، لله : جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم ، مغو : مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة تخفيفاً وأصله (مغوى) ، عاد : فعل ماض ناقص بمعنى «صار» يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، واسمه ضمير مستتر تقديره «هو» ، بالشر : جار ومجرور ، أمراً : خبر الفعل «عاد» منصوب بالفتحة .

(٢) الشاهد : في «تستحيل مودة» فإنه مضارع ، «استحال» بمعنى «صار» يرفع الاسم وينصب الخبر ، واسمه ضمير مستتر ، «مودة» خبره .

(٣) القرح : الجرح ، المنايا : جمع منية ، وهي الموت ، أبوس : جمع بأسماء وهي الشدة والكرب . يقول : لقد أصبت بالجروح الدامية بعد الصحة ، فإننا أموت بطناً ، أموت كل يوم ، بسبب ما أنا فيه من شدة !! .

الشاهد : في «تحولن أبوساً» فإن الفعل «تحول» بمعنى «صار» يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، واسمه نون النسوة ، وكلمة «أبوساً» خبره .

معها حكم المبتدأ والخبر ، فيرفع الأول وينصب الثاني .

● شروطها :

لاحظ الأمثلة التالية :

لا يحتاج إلى شروط	كان العربُ — في الجاهلية — جهالاً متفرقين
	وصار الإسلام حضارهم وقوهم .
	وأصبحت لغة القرآن أسلوبهم ووجدتهم
يحتاج لتقدم	وما زال الدين سنداً قوياً لأخلاقهم
نفي أو شبهه	وما برحت الفصحى وسيلة صلتهم ثقافياً واجتماعياً
يحتاج لتقدم (ما) المصدرية الظرفية .	وسيبقى العرب أقوياء ما داموا محافظين على دينهم ولغتهم

الأفعال الثلاثة عشر التي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر يمكن تصنيفها من حيث

شروطها إلى الأنواع الثلاثة التالية :

— الأول : ما لا يحتاج إلى شروط إطلاقاً ، وذلك ثمانية أفعال هي (كان — أمسى — أصبح — أضحى — ظل — بات — صار — ليس) تقول (كان الطريق موحشاً ، وأمسى الغريب وحيداً) وتقول (بات العاصي مسهّداً وصار ليلاً كئيباً).

— الثاني : ما يجب معه — حين برفع الاسم وينصب الخبر — أن يتقدم عليه «نفي أو نفي أو استفهام إنكاري» وهو أربعة أفعال (زال — برح — فتى — انفك).

● قال القرآن : «ولو شا. ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين»^(١)

● قال الشاعر :

صاح شمر ولا تزال ذاكر الموت
ت فسياله ضلال مبين^(٢)

● قال ذو الرمة :

ألا يا أسلمي يا دار مّي على البلى
ولا زال منهلاً بجوعائك القطر^(٣)

هذا والأصل في النفي والنهي والاستفهام الذي يتقدم على هذه الأفعال أن يكون مذكوراً لفظاً ، لكن ربما وردت هذه الأفعال وبعدها الاسم مرفوع والخبر منصوب دون أن يتقدم عليها نفي من ذلك ، وحينئذ ينبغي أن يقدر معها النفي اطراداً للقاعدة ، وهذا قليل في اللغة ، ومن هذا القليل :

● قول القرآن : «قالوا لله تفتن تلك يوسف» تقديره (لا تفتن)^(٤) .

● قول الخليفة بن نزار :

تنفك تسمع ما حيت هالك حتى تكونه^(٥) — تقديره (لا تنفك) .

— الثالث : ما يجب أن يتقدم عليه «ما» المصدرية الظرفية وهو الفعل «دام» كقول

(١) من الآية ١١٨ من سورة هود .

(٢) شمر : المقصود : اعمل بجد .

الشاهد : في (لا تزال ذاكر الموت) حيث تقدم على الفعل (تزل) النهي ورفع الاسم ونصب الخبر .

(٣) البلى : القدم والتهدم — جوعاء : الفضاء الرملي المنبسط ، القطر : المطر .

يقول : إنني أدعو لحبيبتني «مي» بالسلامة والخير ، فلتم ديارها من عوادي الزمان ، ولينهل المطر عليها بالخير والخصب .

الشاهد : في (لا زال منهلاً بجوعائك القطر) فقد تقدم على الفعل «زال» الدعاء ولذلك رفع الاسم ونصب الخبر .

(٤) من الآية ٨٥ من سورة يوسف .

(٥) الشاهد : في قوله (تنفك تسمع ما حيت) فإنه يقدر معها نفي محذوف أي (لا تنفك تسمع ما حيت) .

القرآن «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا»^(١).

● صورها :

يقصد بذلك الصور الصرفية التي يمكن أن تأتي من هذه الأفعال وهذه الصور هي (الماضي — المضارع — الأمر — المصدر — اسم الفاعل) فمثلاً الفعل (أصبح) يمكن أن يأتي منه (أصبح — يُصبح — أصبح — إصباح — مُصبح) وكذلك (أمسى) يمكن أن يأتي منه (أمسى — يُمسى — أمس — إمساء — مُمسى) وهكذا .
وفائدة هذا الموضوع هنا : أن الصيغ التي تأتي من هذه الأفعال حكمها حكم الأفعال الماضية فيرفع الاسم معها ، وينصب الخبر .

وهذه الأفعال الثلاثة عشر — من حيث الصور التي تأتي منها — تنقسم إلى الأنواع الثلاثة التالية .

— الأول : ما يتصرف تصرفاً مطلقاً ، إذ يأتي منه «الماضي والمضارع والأمر المصدر واسم الفاعل» وذلك سبعة أفعال هي (كان — أمسى — أصبح — أضحى — ظل — بات — صار) تقول : (راقب الطبيب المريض في بيته مُستريحاً ، ووجده في النهار مُصبحاً هادئاً) وتقول (كل مهمل صائرٌ إلى الضياع) من ذلك قول الشاعر :
ببذلٍ وحِلْمٍ سادَ في قومه الفتي
وكونك إياه عليك يسيرُ^(٢)

● وقول الآخر :

وما كل من يدي البشاشة كائناً
أخاك إذا لم تُلفِه لك مُنجداً^(٣)

(١) مريم الآية ٣١ .

(٢) الشاهد : في البيت (كونك إياه) فإن مصدر «كان» هو «كون» وضمير المخاطب «الكاف» مضاف إليه اسمه ، وكلمة «إياه» خبره .

(٣) الشاهد : في البيت (كائناً أخاك) فإن اسم الفاعل من «كان» هو «كائن» واسمه ضمير مستتر ، وكلمة «أخاك» خبره منصوب بالالف .

- الثاني : ما يتصرف تصرفاً ناقصاً ، إذ يأتي منه «الماضي والمضارع واسم الفاعل» ولا يأتي منه «الأمر والمصدر» وهو أفعال الدوام والاستمرار (زال — برح — فتى — انفك) ومن ذلك ما ينسب إلى علي (ما يزال الرجل عالماً) ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل) ومن ذلك أيضاً قول الحسين بن مطير الأسدي :

قضى الله يا أسماء أن لست زائلاً أحبك حتى يغمض الجفن مغمضاً^(١)

- الثالث : ما لا يتصرف مطلقاً ، بل يبقى على ما هو عليه من الماضي وذلك الفعلان (ليس — باتفاق — دام — على الأصح) فلا يأتي منهما «مضارع ولا أمر ولا مصدر ولا اسم فاعل» وما ورد من استخدام اللغة من (دام) مثلاً (يدوم — دُم — دائم) فإنه — فيما رأى العلماء — من (دام) التامة ، لا من (دام) التي ترفع الاسم وتنصب الخبر .

● ترتيب الجملة مع هذه الأفعال :

لاحظ الأمثلة التالية :

الترتيب على الأصل

كان الضباب كثيفاً

وصارت الرؤية متعذرة

كان كثيفاً الضباب

وصارت، متعذرة الرؤية

كثيفاً كان الضباب

متعذرة صارت الرؤية

الخبر متوسط بين الفعل الناسخ والاسم

الخبر تقدم على الفعل الناسخ والاسم

(١) الشاهد : (زالاً أحبك) فإن (زالاً) اسم الفاعل من (زال) واسمه ضمير مستتر تقديره «أنا» وجملة (أحبك) في محل نصب خبره .

ـ الترتيب في جملة كان وأخواتها يأتي على الصور الثلاث الآتية :

ـ الصورة الأولى : أن يكون الترتيب على الأصل ، فيأتي هكذا (الفعل الناسخ + الاسم + الخبر) ومن ذلك قول القرآن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾^(١) .

ـ الصورة الثانية : أن يتوسط الخبر بين الفعل الناسخ والاسم ، فيأتي الترتيب هكذا (الفعل الناسخ + الخبر + الاسم) ومن ذلك قول القرآن ﴿وَكَانَ حَتًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) .

● وقول السموعل بن عاديا :

سَلِمِي إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنَا وَعَنَهُمْ
فَلَيْسَ سِوَاءَ عَالَمٍ وَجَهْلٍ^(٣)
● وقول الآخر :

لَا طِيبَ لِلْعِيشِ مَا دَامَتْ مَنَفْصَةٌ
لِذَاتِهِ بِأَذْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ^(٤)
● وقول الآخر :

مَا دَامَ حَافِظٌ سَرَى مِنْ وَثِقَتْ بِهِ
فَهُوَ الَّذِي لَسْتُ عَنْهُ رَاغِبًا أَبَدًا^(٥)

ـ الصورة الثالثة : أن يتقدم الخبر على الناسخ ، وبذلك يكون الترتيب (الخبر +

(١) من الآية ١٤ من سورة الفتح .

(٢) من الآية ٤٧ من سورة الروم .

(٣) الشاهد : في (ليس سواء عالم وجهول) حيث توسط الخبر وهو (سواء) بين الفعل الناسخ وهو (ليس) والاسم المؤخر وهو (عالم وجهول) .

(٤) منفصة : مكدره - اذكار : تذكر - الهرم : بفتح الهاء والراء أقصى الكبر .

يقول : إن الحياة لا تصفو ما دامت مكدره ، يتذكر الشيخوخة وما فيها من متاعب ، والموت وما فيه من عدم .

الشاهد : في (ما دامت منفصة لذاته) حيث توسط الخبر وهو كلمة (منفصة) بين الفعل الناسخ (ما دام) والاسم (لذاته) .

(٥) يقول : ما دام من أثق به أهلاً للثقة ، يحفظ السر ولا يفشيهِ ، فإنني سابقه صفياً ونجياً ، وإن أعدل عنه إلى غيره . الشاهد في (ما دام حافظ سرى من وثقت به) فقد توسط الخبر (حافظ سرى) بين الفعل الناسخ (ما دام) والاسم (من وثقت به) .

الفعل الناسخ + الاسم) تقول (مَطْلَباً كريماً ما زالت الحرية وغنماً كبيراً يصبح الحصول عليه) .

هذا هو أصل الموضوع ، يصح في الخبر أن يتأخر ، ويمكن أن يأتي في الكلام متوسطاً ، ويمكن أن يأتي متقدماً على الفعل الناسخ نفسه .

لكن ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار — مع هذا الأصل — الملاحظات الآتية :

— أولاً : يمكن أن يتصور صورة رابعة مع هذه الصور الثلاث ، وهي تقدم الاسم على الناسخ ، إذ يقال في (أصبح الجو صحوً) (الجو أصبح صحوً) وهذا أمر غير وارد هنا ، لأن الجملة كلها تصير اسمية مكونة من مبتدأ هو كلمة (الجو) والخبر هو الجملة الناسخة ، وقد جاءت مرتبة على الأصل ، فهي هذا الاعتبار من الصورة الأولى .

— ثانياً : لم يرد في اللغة تقدم الخبر على الفعلين (ليس — دام) وهذا هو رأي جمهور النحاة — وفي المسألة حديث طويل لا حاجة إليه هنا .

— ثالثاً : إذا كان خبر المبتدأ مما يجب أن يتأخر عن المبتدأ ، أو مما يجب تقدمه على المبتدأ ، ثم دخل عليه الفعل الناسخ ، فإنه يبقى له موضعة في الترتيب وجوبا ، فالكلام هنا إذن إنما هو عن المبتدأ والخبر اللذين يصح فيهما التقدم والتأخر .

— رابعاً : هناك خلاف كثير متشعب حول ما إذ تقدم معمول الخبر — ويقصد به ما إذ كان الخبر فعلاً أو اسماً شبيهاً بالفعل وله مفعول ، فحاء حينئذ بعد الفعل الناسخ مباشرة ، مثل (بات الشرطي مؤدياً واجبه) حيث يقال (بات واجبه الشرطي مؤدياً) والحق أن هذا الخلاف لا فائدة فيه وأن تأويلات النحاة للنصوص التي وردت عنه تأويلات متكلفة . والذي أراه أن هذا الاستعمال يقبله الذوق اللغوي وبخاصة في الشعر ، وأنه قد ورد في نصوص صحيحة لا داعي لإجهادها ذهنياً بالتأويل المتكلف ، ومن ذلك :

● قول الشاعر :

باتت فؤادي ذات الخال سالبةً فالعيش - إن حُم لي - عيشٌ من العجب^(١)

● وقول الآخر :

لئن كان سلمى الشيب بالصد مغرباً لقد هَوَّ السُّلوان عنها التحكُّم^(٢)

● التمام والنقصان :

لاحظ الأمثلة التالية :

كان الإسلام مغلوباً في أول الدعوة

ثم صار المسلمون أقوياء أعزّاء

فأصبح الدينُ بهم غالباً عزيزاً

في الحديث : كان الله ولا شيء معه فخلق

السموات والأرض

وتقول : نمت حتى أصبحت

وتقول : تأخرت في الطريق حتى أمسيت

الأفعال الناسخة ناقصة

الأفعال الناسخة تامة

(١) الخال : كما جاء في القاموس - شامة في اليدين - حم لي : قدر لي.

يقول : إن هذه المرأة الجميلة - ذات الخال - استولت على قلبي وأخذته فكيف أعيش دون قلب، لو حدث هذا لكان من العجب !!

الشاهد : في (باتت فؤادي ذات الخال سالبة) وأصل الجملة (باتت ذات الخال سالبة فؤادي) فكلمة (فؤادي) مفعول به لاسم الفاعل (سالبة) وقد تقدم المفعول به فجاء بعد الفعل الناسخ مباشرة .

(٢) الصد : الإعراض والمنع - التحكم : تكلف الحلم والهدوء ، والمقصود التعقل .

يقول : إن الشيب صفاء وقيد ، وإن كان قد أغرى «سلمى» بالصدور والإعراض فإنه قدم لي التعقل الذي عاونني في تحمل صدها والسلو .

الشاهد : في (كان سلمى الشيب بالصد مغرباً) فاصل الجملة (إن كان الشيب مغرباً لسلمى بالصد) فكلمة (سلمى) مفعول به لاسم الفاعل (مغرباً) وقد تقدم المفعول ، فجاء بعد الفعل الناسخ مباشرة .

يلاحظ أن الأفعال (كان — صار — أصبح) في مجموعة الأمثلة الأولى احتاجت الجملة التي وردت فيها إلى اسم مرفوع بعدها ، ثم إلى اسم منصوب ولم يتم معناها إلا بوجود هذا الأخير ، وهو في الأمثلة السابقة (مغلوباً — أقوىاء — غالباً) على التوالي . أما المجموعة الثانية من الأفعال وهي (كان — أضحي — أمسى) فقد ورد بعدها اسم مرفوع فاعل بها ، واكتفت به ، ولم تحتج إلى الاسم المنصوب وهذا الاسم المرفوع في الأمثلة هو على التوالي (الله) في المثال الأول ، وضمير المتكلم في المثالين الآخرين .

وعلى ذلك يمكن فهم المصطلحين النحويين (النقصان — التمام) بما يلي :

● **النقصان** : عدم اكتفاء الفعل بالاسم المرفوع بعده ، بل يبقى المعنى ناقصاً محتاجاً إلى الإكمال ، حتى يأتي الاسم المنصوب ، فتكمل الجملة ، ويكون معناها تعليق الخبر على المبتدأ بواسطة الفعل الناقص ، أو بعبارة أخرى : نسبة الخبر للاسم بواسطة الفعل الناقص ، كقول القرآن ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَوْبَرًا﴾^(١) وقوله ﴿فَكَانَتْ هَبًا مَبْنِيًّا﴾^(٢) .

والأفعال الناقصة هي التي تنسخ المبتدأ والخبر ، فترفع الأول ، وتنصب الثاني ، وهي هدف الدراسة في باب «كان وأخواتها» .

● **التمام** : معناه اكتفاء الفعل بالاسم المرفوع بعده فيتم المعنى تماماً دون حاجة إلى المنصوب ، وهذا المعنى التام يحدده الأسلوب الذي ورد فيه كقول القرآن ﴿فَسَبَّحَانَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(٣) وقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٤) وكما نردد العبارة (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) وقول امرئ القيس :

(١) من الآية ٢٧ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٦ من سورة الواقعة .

(٣) الآية ١٧ من سورة الروم .

(٤) من الآية ١٠٧ من سورة هود .

تطاول ليلك بالإثمَد وبات الخَلِيَّ ولم تُرثَد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاصِر الأرمَد^(١)

● ما تختص به (كان) دون أخواتها :

تفرّدت (كان) وحدها — دون أفعال الباب — بمرودها في اللغة باستعمالات خاصة هي :

١- زيادتها في الكلام .

٢- حذفها مع اسمها .

٣- حذف نونها .

وكل واحد من الثلاثة في حاجة إلى تفصيل القول معه .

● زيادة (كان) في الكلام :

لاحظ لأمثلة الآتية :

● ما كان أروعَ ظهورَ الإسلام وما كان أسرعَ زائدة بين «ما» وفعل التعجب انتشاره

● ويوم ظهر الإسلام ارتفع — كان — صوت زائدة بين الفعل والفاعل العدل

● بعد أن عاش الناس في ظلام — كان — دامس زائدة بين الموصوف والصفة لفهم هذا الموضوع ينبغي الإحاطة بالأمور الثلاثة الآتية :

(١) الإثمَد : اسم موضع — الخَلِي : الخالي من الهموم ، العائر : القذى في العين ، الأرمَد : المصاب بالرمد .

يقول عن نفسه : لقد قضيت ليلةً مكربةً «بالإثمَد» كما يقضيها صاحب العين الوجعة المقداة ، فتطاول على الليل وامتد ، ونام خلى النفس وسهرت .

الشاهد : في استعمال الفعل (بات) تماماً في البيتين في المرات الثلاث التي تكرر فيها في قوله (بات الخلى) وقوله (بات وباتت ليلة) .

١- المقصود بزيادتها في الكلام .

٢- الصيغة التي ترد عليها حين الزيادة .

٣- المواضع التي تزداد فيها .

جاء في قطر الندى : ولا نعني بزيادتها أنها لم تدل على معنى أثبتة ، بل إنها لم يوت بها للإسناد .

ومن هذا الكلام المركز نفهم زيادة (كان) بالصفيتين التاليتين :

- الأولى : أن المقصود بزيادتها أن تقع حشواً بين أمرين متلازمين فلا تحتاج

إلى مرفوع ولا إلى منصوب — فهي فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب .

- الثانية : أنه ليس معنى الزيادة أنها لا معنى لها في الكلام ، وإلا كان ذكرها عبثاً فيه ، بل

إنها تفيد الكلام الدلالة على معنى الماضي ، أي الدلالة على أن معنى الجملة التي وردت

فيها قد حدث في الماضي ، تقول متذكراً ظهور النتيجة (ما كان أسعد الناجحين

بمنجاحهم ، وما كان أروع إشراق وجوههم) فمن البين أن وجود (كان) في الجملتين

صرف معناهما إلى الماضي ، ولولا ذلك لكان الكلام مطلقاً لا تحديد له من حيث الزمن .

أما الصيغة التي ترد عليها حين الزيادة فهي الماضي دون بقية الصيغ الأخرى التي

جاءت من الماضي كالمضارع والأمر إلى آخره .

وقد وردت زيادتها بلفظ المضارع في الرجز التالي الذي ينسب إلى

«أم عقيل» ابن أبي طالب ترقص به ابنها :

أنت — تكون — ماجد نبيل

إذا هب شمالاً بليل

تُعطي رجال الحلي أو تُنيل^(١) .

(١) شمال : لغة في الشمال ، والمقصود : ريح تهب من ناحية الشمال — بليل : رطبة .

الشاهد : في قولها : (أنت تكون ماجد نبيل) فإن الفعل (تكون) زائد بين العبداء والخبر ، وجاءت

زيادته بلفظ المضارع ، مع أن المعروف عن زيادة «كان» أنها تأتي بلفظ الماضي .

وهذا قد تفرد عن استعمال اللغة ، فهو — كما يرى النحاة — شاذ .
 أما عن مواضع زيادتها فقد جاء في ابن عقيل ما يلي : وذكر «ابن عصفور» أنها تزداد
 بين الشيئين المتلازمين ١ هـ . هكذا هذا الإطلاق ١١ ومن الأشياء المتلازمة أداة التعجب
 وفعل التعجب — الفعل ومرفوعه — الصلة والموصول — الصفة والموصوف — الجار
 والمجرور — فأي اثنين من ذلك جميعه وردت بينهما (كان) فإنه تكون حينئذ زائدة —
 وهذا الرأي أوجه الآراء التي دارت حول هذا الموضوع — مما لا داعي لذكره هنا .
 على أنه ينبغي أن يفهم أن المقصود «بالتلازم» هو وجود الصلات النحوية بين
 الشيئين المتلازمين ، مما لا يترتب عليه بالضرورة وجودهما متواليين في الكلام —
 فالفاعل والفاعل مثلاً متلازمان بهذا الاعتبار ، وإن لم يكن من التلازم بحيثهما متواليين ،
 تقول مثلاً (يستفيد العاقل من الأحداث) أو (يستفيد من الأحداث العاقل) .
 ومما ورد من زيادتها الشواهد التالية :

- قول العرب (ولدت فاطمة بنت الخضر شُبَّ الانمارية الكَمَلَة من بني عَبَس : لم
 يُوجَدَ — كان — أفضلُ منهم) .
- وقول الشاعر :
- أبا محالد ما — كان — أدهى مصيبةً أصابت فعلاً يوم أصبحت ثاويًا ^(١)
- وقول الآخر :
- سَراة بني أبي بكر تَسامي على — كان — المسومة العراب ^(٢)

(١) ثاويًا : المقيم بالمكان إقامة طويلة ، ويطلق على الميت — والبيت في الرثاء .
 الشاهد : قوله : (ما كان أدهى مصيبة) حيث جاءت (كان) زائدة بين (ما) التعجبية وفعل التعجب .
 (٢) سراة جمع «سرى» وهو الشريف النبيل ، تسامى : تعلو وتركب ، المسومة : التي لها علامة
 يعرف بها أصحابها ، العراب : نوع من الخيول الأصيلة .
 المعنى : إن هؤلاء الأشراف من «بني بكر» فرسان يركبون خيولاً أصيلة عربية خاصة بهم .
 الشاهد : قوله (على كان المسومة العراب) حيث جاءت (كان) زائدة بين الجار والمجرور .

● ومن الشواهد التي اختلف حولها الرأي قول الفرزدق :

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام^(١)
وتوضيح الرأي في ذلك كما يلي :

(١) أن (كان) هنا ناقصة وليست زائدة ، لأنه لم يتحقق فيها صفة الزيادة من تجردها من الإسناد ، بل هي مسندة إلى واو الجماعة ، وبذلك يكون (واو الجماعة) اسمها والجار والمجرور (لنا) خبر مقدم — والحملة كلها صفة لكلمة (جيران) وجاءت بعدها صفة أخرى هي كلمة (كرام) ، وهذا رأي وجيه .
(٢) أن (كان) هنا زائدة — مع إسنادها — الجماعة — بين الصفة والموصوف ، والذي يفهم من هذا الرأي أن الجار والمجرور (لنا) صفة لكلمة (جيران) وأن (كانوا) كلها زائدة مع إسنادها لواو الجماعة وكلمة (كرام) صفة أخرى — وهذا فيما أرى توجيه مرجوح .

● حذف «كان» مع اسمها :

لاحظ الأمثلة الآتية :

تتوالى الحروب في الدنيا إن حقاً وإن باطلاً
ويذكر المتحاربون دائماً أسباباً لحربهم إن صدقاً وإن كذباً
وفي بعض الظروف تُصير الحروب ضرورة ولو صعبة
ففي سبيل الحرية يهون ما يبذل ولو أرواحاً

باستقراء الأساليب العربية وجد أن «كان واسمها» يحذفان من الكلام إذا تقدم

(١) الشاهد في البيت : كما هو موضح في الأصل ، أن (كان) ناقصة لا زائدة وأن جملة (كانوا لنا) ، في محل جر صفة ، لأن (كان) أسندت لواو الجماعة — ورأى آخر أن (كانوا) كلها زائدة مع إسنادها لواو الجماعة ، والجار والمجرور (لنا) صفة

عليهما إحدى أداتي الشرط (إن — لو) ففي المثال الأول (تتوالى الحروب في الدنيا إن حقاً وإن باطلاً) تقدير الكلام (إن كانت الحروب حقاً وإن كانت الحروب باطلاً) ، وفي المثال الأخير (ففي سبيل الحرية يهون ما يبذل ولو أرواحاً) تقدير الكلام (ولو كان المبذول أرواحاً) .

وهذا الحذف — بعد هاتين الأداتين — جائز لا واجب بمعنى أنه يمكن أن تنطلق الجملة كاملة دون حذف — وهذا هو الأصل — كما يمكن نطقها بالحذف وهذا خلاف الأصل ، فمثلاً إذا قلنا (تقبل النصح ولو مرأً) يمكن أن تقول (تقبل النصح ولو كان النصح مرأً) .

وقد ورد من ذلك الشواهد التالية :

● قول الرسول : « لا يتمنى أحدكم الموت ، إمّا مُحسناً فلعله يزداد ، وإمّا مُسيئاً فلعله يستعقب » ^(١) .

● قول الرسول عن المهر في الزواج : «انظر ولو خائماً من حديد» ^(٢)

● قول النعمان بن المنذر :

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً
● قول الشاعر :

انطق بحق وإن مستخرجاً إحناً
فإن ذا الحق غلاب وإن غلباً ^(٣)

(١) البخاري ، ج ٩ ، ص ٨٤ .

(٢) صحيح البخاري ، ج ٧ ص ٧ .

(٣) الشاهد : في قوله (إن صدقاً وإن كذباً) حذف كان واسمها بعد «إن» الشرطية ، وتقدير الكلام (إن كان القول صدقاً وإن كان القول كذباً) .

(٤) الإحن : جمع إحنة ، وهي الحقد والغضب .

يقول : قل الحق وإن أغضب الناس وأغاظهم منك ، فالحق قوي وأنت منتصر في النهاية وإن غلبت في البداية !! =

● قول الآخر :

لا يَأْمَنُ الذَّهْرَ ذُو بَهْمِي وَلَوْ مَلِكًا جنوده ضاق عنها السَّهْلُ والجبلُ^(١)
هذا .. وقد أوردت كتب مسائل النحو صورة أخرى للحذف ، وهي حذف
«كان» وحدها دون اسمها وخبرها .

قال ابن هشام بالنص : وكثر ذلك بعد «أن» المصدرية في مثل (أما أنت منطلقاً انطلقتُ)
أصله (انطلقت لأن كنت منطلقاً) ثم قدمت اللام وما بعدها على (انطلقت) للاختصاص ، ثم
حذفت اللام للاختصار ، ثم حذفت (كان) لذلك ، فانفصل الضمير ، ثم زيدت (ما) للتعويض
، ثم أدغمت النون في الميم للتقارب ا . هـ

والحق أن هذا الكلام السابق ، بما فيه من تقديم وتأخير وحذف وزيادة وإدغام ، صناعة
ذهنية مجتهدة ، هدفها تسويغ حذف (كان) في مثل هذا الأسلوب ، وإن كانت اللغة — وهي
أسلوب التعبير السلس — تبرا تماماً من تلك الصناعة النحوية .

والذي أراه — إن لم يجانبني الصواب — أنه لا حذف في هذا الأسلوب وإعرابه كالاتي :
أما : حرف شرط وتفصيل — أنت مبتدأ — منطلقاً حال — انطلقت جملة فعلية
في محل رفع خبر ، والعائد محذوف تقديره (أما أنت منطلقاً انطلقت مثلك) .
وهذا الإعراب السابق يتوافق مع إعراب جملة (أما) في كل صورها اللغوية ، فهو أمر
لا جديده فيه ، ولكنه مريح من عناء التصور الذهني المجهد لأسلوب الذي معنا .

● حذف نون «كان» :

تحذف «نون كان» من الفعل تخفيفاً إذا اجتمع لجملتها الصفات التالية :

— الشاهد : فسي (وإن مستخرجاً إحنا) إذ حذفت كان واسمها بعد «إن» والتقدير (وإن كنت
مستخرجاً إحنا) .

(١) البهي : الظلم والطغيان .

الشاهد : في (ولو ملكاً) حيث حذفت كان واسمها بعد «لو» والتقدير (ولو كان الباغي ملكاً) .

- ١- أن تكون بلفظ المضارع (أكون - يكون - تكون - نكون) فلا تحذف نون الماضي ولا الأمر ولا غيرهما من الصيغ التي ترد منها .
 - ٢- أن يكون المضارع مجزوماً ، فلا تحذف إذن من المضارع المرفوع أو المنصوب .
 - ٣- أن يكون المضارع مجزوماً بالسكون مثل (لم يكن) فإن كان من الأفعال الخمسة ، لا تحذف نون الفعل ، لأن حزمه - كما سبق - بغير السكون .
 - ٤- أن يكون الحرف الذي يلي النون حرفاً متحركاً - فإن وليها ساكن لا تحذف نون الفعل .
 - ٥- ألا يكون الفعل متصلاً بضمير نصب متصل ، فإن اتصل به هذا الضمير لا تحذف .
- هذه الصفات المتعددة إذا اجتمعت في جملة الفعل الناسخ (يكون) صح حذف نونه من الكلام ، وهو حذف جائز لا واجب ، فإنه يصح أيضاً ذكرها وإن اجتمعت كل هذه الصفات التي ذكرها قطر الندى في عبارة واحدة هي (وحذف نون مضارعها التجزؤم بالسكون إن لم يلحقها ساكن ولا ضمير نصب متصل) ومن ذلك قول القرآن : ﴿قَالَ أَنَّى يُكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَتِينًا﴾ ^(١) ، وقول علقمة :
- ذهبت من المجران في كل مذهب
ولم يك حقاً كل هذا التجنب ^(٢)
- ومنه قول المتنبي :
- ومن يك ذا قم مريض
يجد مُراً به الماء الزلّالا ^(٣)

(١) الآية ٢٠ من سورة مريم .

(٢) الشاهد : في (لم يك حقاً كل هذا التجنب) حيث حذفت نون (يكن) تخفيفاً ، لاستيفاء الشروط .

(٣) البيت حكمة يقال لكل شخص اصطيفت نظرتة للناس والأشياء صبغة خاصة ، فكل شيء أمامه

خاضع لنظرتة ، تماماً كصاحب الفم لمريض المر يجد مذاق كل شيء مرّاً .

موضع التمثيل : في (من يك ذا قم مريض) حيث حذفت نون (يكن) لاستيفائها الشروط .



القسم الثاني
الألفاظ والأساليب
اللغوية المعاصرة



الألفاظ والأساليب اللغوية المعاصرة

اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع للتطور في أصواتها وعناصرها النحوية والصرفية، ومعاني الألفاظ، وحركات الإعراب.

وكل شأن من شؤون الحياة يعتمد على التفكير، وهناك علاقة حتمية بين اللغة والفكر، أو بين التفكير والتعبير، فمن طريق اللغة نستطيع أن نخطب الناس، وأن نعبر عما في النفس والفكر.

ولفتنا العربية استطاعت أن تعبر عن حضارة الإسلام والعرب منذ زمن بعيد، واستوعبت تطورات العصر، وبقيت لغة الحياة. وسارت مع متطلبات العلم والحضارة.

وكي تعيش اللغة العربية عصرها فلا بد من تطويرها وتنميتها وتطويرها لمطالب الحياة الثقافية والعلمية، على أن تبقى هذه اللغة محتفظة بخصائصها الأصلية، وضوابطها اللغوية المميزة.

غير أن هناك بعض المظاهر الطارئة على اللغة، فقد جذت فيها ألفاظ وأساليب كثيرة، قبلها الاستعمال، ورفض بعضها، والحكم على هذه الألفاظ أو الأساليب الحديثة بالخطأ أو الصواب، جاء غالباً في ضوء علم النحو والصرف.

لقد بدأت الكتابة في الأخطاء الشائعة منذ القرن الثاني الهجري، لا كما يظن كثيرون أنها من عصرنا هذا، وقد تناول كل مؤلف كتب في الأخطاء جانباً من جوانب الأخطاء المتعددة، فثمة كتب عاجلت خطأ العامة، وكتب طرقت

موضوع ردّ العامي إلى الفصيح ، ونوع ثالث كانت في تثقيف اللسان فضمت الأخطاء المتعددة ، وهذا معظمه كان في العصر الحديث .

ومن يحاول أن يقيم مقارنة أو تقاطعاً بين تلك الكتب يجد أن ثمة أخطاء لا يقع فيها إنسان هذا العصر ، وأن ثمة أخطاء تكررت في عدد من الكتب ، وأن أخطاء وقع فيها من يكتب ويقرأ في هذا العصر لم تكن عند الإنسان القديم ، وهذا طبيعي للتطور الذي يصيب اللغة في كل عصر من عصورها . وقد نستطيع أن نحصر الأخطاء بعدد من الأنواع ، يمكن تحديدها بما يلي :

١- الخطأ في استعمال حرف الجر :

يصعب على الكثيرين معرفة استعمال حروف الجر استعمالها الصحيح فتراهم يستعملون حرفاً محل حرف آخر لأنهم لا يعرفون القاعدة ، من هنا يقع الخطأ ، علماً بأن ثمة حروفاً يُستعمل بعضها محل بعض لكن ما نقف عنده هو الخطأ في الاستعمال لا في ذلك . من هذا النوع استعمال (على) بدلاً من (عن) في أجاب (عن) واستعمال (عن) بدلاً من (على) في زاد على ...

٢- التعدية بحرف الجر :

إن الخطأ الذي يقع فيه كثيرون ولا سيما الطلاب هو ظنهم أن معنى التعدية هو أن الفعل يجب أن يتعدى إلى مفعوله لكن نقول : إن التعدية هي أن يتعدى الفعل إلى معناه سواء كانت التعدية إلى المفعول به أو إلى شبه الجملة (الظرف أو الجار والمجرور) من هنا وقع الخطأ في تعدية الأفعال بحروف الجر .

وكم من فعل عُذّي بحرف جر غير الصحيح ، وقد وصل هذا الخطأ إلى الخاصة من الكتاب لا العامة فقط ! يضاف إلى هذا أيضاً أن كثيرين يستعملون الفعل متعدياً بحرف الجر وهو متعد بنفسه أو العكس .

٣- التعدية بالهمزة :

كثرت الأفعال التي وقع فيها الخطأ في تعديتها بالهمزة ، وكثرت الأفعال التي استعملت همزة التعدية ومجردة منها ، لكن كثيرين لم يميزوا بينهما فوقعوا في الخطأ ، وإن كان كثير من الأفعال جائزاً بالهمز وبلا همز ، نحو حرمه وأحرمه ، وغاظه وأغاظه ، ووهبه وأوهبه ، ووعدته وأوعدته ...

٤- الفعل المعتل الناقص المسند إلى واو الجماعة :

يظهر هذا الخطأ في اللفظ لا في الكتابة ، لأن الفعل المعتل الآخر إذا أسند إلى واو الجماعة حُذف حرف العلة لالتقاء الساكنين (الواو وحرف العلة) فإذا كان معتلاً بالألف فتح ما قبل الواو للدلالة على الألف المحذوفة مثل سما ، سَمَوْا ودنا ، دَنَوْا ، ورمى ، رَمَوْا ... وإذا كان معتلاً بالياء ضُمَّ ما قبل الواو مثل الفعل : رضي ، فيُلفظ رَضُوا ، ونسي يلفظ نَسُوا ، وما يلاحظ أن الخطأ يكون في ضبط الأفعال دائماً بالفتح ، وربما عاد هذا إلى أن معظم الأفعال متصلة بالألف وتسمع صحيحة .

٥- الفعل المعتل المسند إلى التاء المتحركة :

هذا الخطأ يقع في الكتابة ، فاللفظ ، أي الكتابة السليمة تؤدي إلى اللفظ السليم ، وهذا يعود إلى معرفة الفعل ، فإذا كانت الألف منقلبة عن واو أو عن ياء مثل جلوت لا جَلَيْت ، وغزوت لا غَزَيْت أي أن هذا الخطأ يتصل بمعرفة الفعل المعتل ونقول : إن عدد هذه الأفعال التي يقع فيها الخطأ إنما هو من القليل لا الكثير لأن لا أحد يخطئ في رضيت فيقول رضوت ، ولا أحد يقول سميت بدلاً من سموت .

٦- الألف المدودة والمقصورة :

المعروف أن المعتل يكون بالألف المدودة أو المقصورة سواء بالفعل أم الاسم ،

والقاعدة تقول : إذا كان المضارع بالواو فالماضي بالألف الممدودة مثل : سما يسمو ،
ونما ينمو ، ودنا يدنو ، وإذا كان بالياء فالماضي بالألف المقصورة مثل : رمى يرمي ،
وقضى يقضي .. وهذا يُعرف ولا يخطئ فيه إلا القلة في عدد الأفعال ، وكذا في
الأسماء ، وترى الخطأ غالباً في كلمة (الرضا) و(الحمي) لكثرة ما نقرؤهما ونراها ...
أما كلمة (الرضا) فهي بالوجهين : الممدودة باعتبار المصدر (الرضوان)
والمقصودة باعتبار إسناد الفعل إلى التاء المتحركة (رضيت) .

ومن هذا كلمة الموسيقى التي نراها بالشكلين ونلفظها لفظاً واحداً فهي لفظ أجنبي
دعيل معجمنا ولا نستطيع حذفه منه إلا إذا أردنا ألا تكون عندنا موسيقا نسمعها ،
أي أن اللفظ الأجنبي حوِّز لنا كتابة الكلمة بالشكلين وإن رجَّح بعضهم الألف
المقصودة لأن النسبة إليها (موسيقى) ولكن ألا ننسب فنقول : فرنسي ، وألماني ، إلى
فرنسا وألمانيا وغيرها ؟

٧- أفعال لا ترد إلا مبنية للمجهول :

في العربية أفعال قليلة لكنها كثيرة الاستعمال لا ترد إلا مبنية للمجهول لكن
كثيرين يخطئون في لفظها لا في كتابتها ، وهذا ما يدعونا إلى الضبط في كتاباتنا ولا
سيما في الكتب المدرسية لترسخ في أذهان الطلاب القاعدة الصحيحة أو يرسخ اللفظ
الصحيح ، من هذا الفعل (استشهد) في سبيل الوطن لا أستشهد ، وهذا غير استشهد
بالقرآن أو الشعر أو المثل ، ومنه أيضاً الفعل (استهتر) والفعل (عَمَّر) لأن الله هو المعمر
أما الإنسان فهو (مُعَمَّر) .

ويتصل بهذا اسم المفعول من الفعل توفَّى فكثيراً ما لفظنا الرجل المتوفى (اسم الفاعل) وهذا
خطأ ، لأن المتوفى هو الله تعالى ، أما من يموت فهو المتوفى (اسم المفعول) .
ويتصل بهذا أيضاً الأخطاء الكثيرة التي تقع في ضبط الأوزان صرفياً ، وهذا يعود
إلى الجهل بقواعد الصرف ولا سيما المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول واسم

المكان مثل مُباع ومبيع ، ومُنتج ومنتوج ، والوارث والوريث ، والمدرج والمُدْرَج ،
والمعاق والمعوق .

٨- أخطاء في الترجمة :

غزت لغتنا أساليب وعبارات كثيرة وقع فيها الخطأ من ترجمة العبارة أو الأسلوب
إلى لغتنا ترجمة خاطئة ، وقد فشلت في اللغة ولا نستطيع حتى الآن تصحيحها ،
والترجمة الحرفية للعربية جعلها من الخطأ ، يضاف إليها ضعف في تركيب الجملة نحويًا
ولغويًا باللغة العربية مثل لعب دوراً ، وعدم استعمال حرف العطف في الجملة التي
يكون فيها غير اسم معطوف كأن نقول : شاركت في الدورة الرياضية مصر ،
المغرب ، الأردن ، السعودية وسورية ...

٩- ألفاظ تتصل بالصوت :

درس العلماء العرب الصوت من خلال مخارج الحروف بدءاً من معجم العين
للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ويلاحظ منذ القدم أن العرب جوزوا اللفظين في كثير
من الحروف التي هي من مخرج واحد مثل لزق ولسق ولصق ، ومثل لازم ولازب ومن
هذا أيضاً ما وقع عند القدماء تحقيق الهمز وتخفيفه مثل رأس وراس ، وملآن وملان ،
وهذا جائز أيضاً ، ومن هنا ما يقع فيه القارئ بلفظ الحروف اللثوية وعدم لفظها
صحيحة أدى إلى الخطأ فلم يميز بين الذال والزاي مثل جزل وذل وذكى وزكى ،
والنذير والنزير ، كما لم يميز بين الثاء والسين في الفعل (يتسنى) وهو غير يتثنى .. ومن
هذا الحرفان الضاد والذال ما دامنا من مخرج واحد وقد وقع كثيرون في الخطأ في مثل
الضفر والظفر ، واطلع واضطلع ، واضطرب واطرد ، وكل واحد بمعنى .

١٠- الضبط :

لا يزال معظم كتبنا ولا سيما المدرسية يهمل ضبط الحروف ، ويظن مؤلفو هذه
الكتب أن ضبط الكلمات يجب أن يكون في كتب اللغة العربية فحسب ، وهذا ليس

بصحيح ، لأن القراءة السليمة تكون من الضبط السليم سواء كان في اللغة العربية أو التاريخ ، أو الجغرافيا ، أو العلوم ، ويزيد من هذا أن القراءة الخاطئة ناتجة عن عدم الضبط ، أو عن الضبط غير الصحيح ، فمن يقرأ خطأ يسمعه الآخرون خطأ ويظن المستمع أن ما يقدم في وسائل الإعلام مثلاً أو في بعض الصحف والمجلات هو الصواب ، لكن هذا غير صحيح ، ويتصل بهذا أن ثمة ألفاظاً كثيرة يجوز فيها الوجهان لكن ثبت واحداً وترك الآخر على أنه خطأ ، ومن هذا الباب وأصعبه ضبط عين المضارع وهذا لا يتأتى للقارئ أو الكاتب إلا إذا كان ذا اطلاع واسع على المعجم العربي أو أن يكون المعجم بجانبه كلما أراد التثبت من ضبط عين أحد الأفعال ويُشار هنا إلى أن معظم الكتب التي كانت في الفصح وإصلاح المنطق قد وقفت عند هذا الجانب لأن الخطأ فيه كثير كثير ، وهذا ما حدا ببعض المحدثين أن يضع معجماً في ضبط عين المضارع ، من أمثلة هذا :

يفرس لا يفرس ، ويفرش لا يفرش ، ويمزج لا يمزج ، ويخدم لا يخدم .. ويخضع لا يخضع .

١١ - أخطاء نحوية :

إن معظم الأخطاء الشائعة يعود إلى خطأ لغوي لا خطأ نحوي ، والخطأ النحوي يُصحح عندما يتقن الواحد منا القاعدة ، أي أن الخطأ النحوي يكون في عدم معرفة اسم إن من خبرها ، أو إعراب «غير» و«سوى» على أنهما منصوبان دائماً ، أو أن الاسم بعدهما منصوب وهو دائماً مضاف إليه ، أو الأعداد التي يظن بعضها أن أي معدود هو تمييز بل يظن بعضها أن العدد هو التمييز ومثل هذا ضبط كلمة «نفس» و«وحده» ، أو الإعلانات التي تُعلن في الطرقات فما يهم هو الإعلان البراق ضوءاً ولوناً وشكلاً لا لغة ، وما يلاحظ أن معظم الإعلانات التي تروج لبضاعة أجنبية يكتب بلغة عربية سليمة ، وإن كان فيها حذف حرف علة ، أو ضبط الحرف الذي

يميز اسم الفاعل من اسم المفعول مثل ضبط الواو في كلمة لا «تقاوم» إعلاناً لسيارة ،
فماذا لو ضبطت بالكسر ، أو لم تُضبط ؟ أليس من هذا الكثير في الإعلانات التي
غزت التلفزيون أو المحطات العربية كلها ، هذا إذا لم نكتب بالعامية ١١٩٩

وهنا نحمل الخطاطين مسؤولية عدد كبير من الخطأ اللغوي والنحوي في اللافتات
والإعلانات من مثل مطلوب موظفون ، ومطلوب موظف ذو خبرة ، ومثل التالية أسماؤهم
أو الآتية أسماؤهم ، وقاعدة الهمزة مما يعاني منه كل من يكتب منذ أن يكون طالباً .

ومن هذا النوع الممنوع من الصرف ولا سيما جمع التكسير الذي بعد ألفه حرف
واحد مثل : أسباب ، وأحمال ، وأمتار ، وأحجار ، ويظن من يكتب هذه الألفاظ
وأشباهها أنها من صيغ منتهى الجموع التي تُمنع من الصرف ، فنسي أن صيغ منتهى
الجموع هي التي يكون بعد ألفها حرفان أو ثلاثة أو سطها ساكن مثل : مدارس ،
ومعاهد ، ومجامع ، ورسائل ، وقناديل ، ومناديل ، ومصابيح .

ويتصل بهذا ما يقع فيه كثيرون من مثل ما تسمعه : نجحت عن خسائر فادحة
فينصبون فادحة صفة لخسائر وهم الذين عرفوا الممنوع من الصرف .

ومنه نصب كلمة (غير) أين وقعت ظناً أنها مستثنى .. ومثله لفظ «وحده»
ومشابهه فيضبطون الكلمة تابعة لما قبلها عكس ما فعلوا قبل قليل ، ولا يعرفون أن هذا
الاسم يأتي منصوباً على الحالية ، ومثلها كلمة «نفس» التي يظن أنها توكيد منصوب ،
فاللفظ هو توكيد معنوي يتبع المؤكد بالرفع والنصب والجر .

ومن هذا الاسم المنقوص الذي يحذفون ياءه أينما وقع إذا وقع نكرة وهذا خطأ ،
فالصواب أن تظهر الفتحة على الياء في حال النصب ، سواء كان جمعاً أم مفرداً ،
فنقول زرت نوادي كثيرة ، وتقول وجدت الأمر عارياً من الصحة ، ومن يقع في
الخطأ يرى أن حذف الياء يغير شكل الكلمة فيظنها من القواعد التي لا يعرفها فيقع في
الخطأ هو .

ومن هذا أيضاً اسم إن إذا تقدمت شبه جملة الخبر على الاسم ولا سيما إذا كان شبه الجملة الظرف (هناك) أو (ثمة) والسبب أنهم يقرؤون هناك وثمة مفتوحين فيظنون أنه الاسم فتراهم يرفعون الاسم بعدها على أنه خبر ، وأرى أن الخطأ وقع فيه المحرر ثم القارئ أو المذيع ، فلا ذاك يعرف القاعدة النحوية ، فيكتبها صحيحة ، ولا الآخر يعبرها فيلفظها كما كتب ، فلو كان هو الآخر يعرف القاعدة لصححها ، فماذا لو كان تركيب الجملة مؤلفاً من كان بدلاً من أن يقول كان ثمة أمر .. فكيف سيبرها : فإذا عرفها عرف قاعدة (إن) وهذا الخطأ مما يسمع كل يوم غير مرة .

ويتصل بهذا الخطأ خطأ يشبهه في مثل قولهم : كان لكلامه صدى واضحاً ، ومن وقع في الخطأ لا ندري لماذا وقع فيه ، فكلمة (واضح) هي صفة لكلمة صدى فيجب أن يكون مرفوعاً لأن كلمة (صدى) اسم كان المرفوع ولكنه اسم مقصور أي آخره ألف ، وهذا الاسم يُنون تنوين الفتح إذا وقع نكرة سواء كان مرفوعاً أم منصوباً أم مجروراً ، فنقول جاء فتىً نشيطٌ ، رأيت فتىً نشيطاً ، ومررت بفتىً نشيطٍ .

● حلول واقتراحات :

إذا كان ثمة اقتراحات وحلول يمكننا تحديدها بما يلي :

١- ضرورة ضبط كل ما يكتب أو معظمه ، ولا سيما في الكتب المدرسية ، وضرورة أن تقع مسؤولية الضبط على مختصين في اللغة العربية لا أن يكون من يحمل شهادة الجغرافيا أو التاريخ أو الفلسفة هو المدقق اللغوي في الصحيفة أو المجلة أو الكتاب ١١ .

٢- ضرورة وجود الرقيب اللغوي المختص في كل دائرة ولا سيما الدوائر الحكومية ، وتقنع مسؤولية ما يكتب عليه بدءاً من الإعلان التجاري وانتهاء بالكاتب مروراً بالبلاغات والقرارات فهي مما تتناقله الأيدي وتقرؤه العيون الكثيرة ، فتكون تعليمية أيضاً .

٣- عمل وسائل الإعلام المكتوبة والمقروءة والمسموعة ، وضرورة إتقان ما يُبثُّ أو يكتب لغوياً ، وقد يكون هذا متصلاً بما تقدم لكننا نضيف أن تضم هذه الوسائل برامج لغوية مختصة للتصويب أو للتصحيح اللغوي فتكون أداة فاعلة تؤدي دوراً طاملاً استفادناه ، هذا غير الثقافة اللغوية التي يجب أن تقدمها تلك الوسائل ، وأقترح ويجب أن تكون منذ المراحل الأولى للتعليم في مجالات الأطفال وبرامجهم فهي الأكثر قدرة على الحفظ .

٤- يتصل بما تقدم دور مؤسسات الإعلان الذي كثر كثرة لافتة وصار أول ما يُقرأ ، وأكثر من كل ما يراه الإنسان في الطريق ، فعليها يقع جزء من المسؤولية من خلال ما يعرضون ويقدمون .

٥- زيادة اهتمام الكتب بهذا الجانب من جوانب الدراسة للغة العربية ، فمعظم البرامج في معظم البلاد العربية يفتقر إلى هذا فما من كتاب مقرر ، وما من مادة مقررة للتدريس ، ولا أظن أن هذا يجب أن يكون في قسم اللغة العربية فحسب ، بل في كل قسم من أقسام الجامعات التي لها صلة بما نقول ونتكلم ، مثل أقسام الإعلام والصحافة ، وأقسام الترجمة من اللغات وإليها .

وقد حاولنا إثبات عدد لا بأس به من الأنواع السابقة ، وهي التي تفيد الطالب في كتابته ، وحاولنا أن تكون متنوعة في كل الأساليب من حيث النحو ، والصرف ، واللفظة ، والترجمة ، وغيرها ، ورتبناها بحسب حروف الهجاء جذرياً ، ونرجو أن يجد فيها الطالب تصويماً لخطأ يقع فيه ، وتصحيحاً لكلمة لا يزال يظن أنها صحيحة ، ولا يرى يظنها عامية ، وهي فصيحة ، ولا يرى يظنها عربية ، وهي دخيلة أو معربة أو أجنبية ، وقد قدّمت بلغة سهلة قريبة من لغة الطالب ، وأهدنا الكلام بشواهد من القرآن الكريم ، والشعر الذي يُحتج به ، والحديث النبوي الشريف ، والأثر ، وعبارات البلغاء لتكون دليلاً بيناً على ما نقول .

١- أبداً :

يُستعمل هذا الظرف للدلالة على الزمن ، لكننا لا نميز في استعمال الزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، فنستعمل الظرف (أبداً) بلا تحديد ، فنقول مثلاً: لم أزر المعرض أبداً ، ونقول : لم أقرأ رواية أبداً ، وتلاحظ أن الظرف (أبداً) يستعمل مع الزمن الماضي ، وهذا خطأ والصواب أن يستعمل للدلالة على المستقبل ، نقول : لن أזור صديقي أبداً ، ونقول : لن نتنازل عن حقوقنا أبداً ، قال تعالى : ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾ .

٢- أثر في :

تسمع كثيراً ، وتقرأ كثيراً الفعل أثر ، فمرة تسمعه متعدياً بحرف الجر (في) ومرة — (على) والخطأ تعديته — (على) والصواب تعديته — (في) نقول : أثر الأمر في فلان ، وأثر الجفاف في الأرض ، وأثرت اللغة في شعر فلان ، وكان للشاعر أثر فيمن جاء بعده ، قال عنتره :

أشكو من الهجر في سرّ وفي علن
شكوى تؤثر في صلب من الحجر
والفعل أثر من الأثر ، والأثر بقية الشيء ، أو ما بقي من رسم الشيء ، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء ، وهو ما نستعمله كثيراً .

٣- أسف عليه وأسف له :

تقول : أسفت على هذا الرجل ، وأسفت لهذا الرجل ، وتسمع أسفت المرأة لفراق زوجها ، وأسفت عليه ، ولاحظت أننا عدّينا الفعل أسف بحرفي الجر (على) و(اللام) ، وهذا صحيح .

وترانا نقرأ ونسمع تعدية الفعل — (على) أكثر من (اللام) ، وهذا ما جعل بعضهم يخطئ في تعديته باللام ، ولكن لا صحة لهذه التخطئة ، ومن تعديته — (على)

قوله تعالى : «وتولّى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم» يوسف (الآية ٨٤) . ومن تعديته باللام قول الشاعر :

فيا عَجَباً من أسفٍ لا مرئى ثوى
وما هو للمقتول ظلماً بآسف

٤- أكد على :

يشيع في اللغة المعاصرة استعمال «أكد على» فيقولون مثلاً : أكد الأستاذ على حضور الطلاب .

وقد حاول بعض الباحثين تخريج هذه العبارة بما يلي :

١- إن مفعول أكد محذوف ، وتقدير الكلام : أكد الأستاذ التنبيه أو الحث على حضور الطلاب .

٢- أن الفعل أكد يتضمن معنى نبّه ، يقال : نبّهه على الأمر ، أي وقفه عليه ، وأعلمه به ، ويصبح تأويل العبارة : نبّه الأستاذ على الحضور . أقول : إن العرب قد استعملوا الفعل (أكد) متعدياً بنفسه فقالوا : أكد العهد والعقد ، وقد أكدت الشيء ، وعلى هذا بفضل الالتزام بضوابط اللغة ، وباستعمال الفعل أكد متعدياً بنفسه ، واللغة العربية في غنى عن هذا التكلف في التخريج .

٥- ألب = ألب :

تسمع الفعل «ألب» بالتضعيف ، ولا نستعمله بالتخفيف (ألب) تقول : ألب فلان الناس عليه ، وتقول : ألب فلان الأعداء عليه إذا اجتمعوا عليه وتضافروا ، وكأنه يُستعمل — غالباً — للأمر السيئ ، وهذا غير صحيح ، فالمعاجم لم تحدد المعنى السلي فقط .

والفعل (ألب) بالتخفيف بمعنى (ألب) بالتضعيف ، أي جَمَعَ ، واجتمع ، وأصل المعنى من قولهم : ألب القوم إلى فلان إذا أتوه من كل جانب ، وألبت الإبل إذا انسأقت وانضمّت بعضها إلى بعض ، ومن هنا صار يعني الاجتماع ، قال الشاعر :

وبعد غدٍ يَأْتِيَنَّ أَلْبَ الطَّرائد

ألم تعلمي أَنَّ الأحاديث في غدٍ

٦- قلت له أن يفعل :

ورد في قرارات مجمع اللغة العربية «عرض بعض نقاد اللغة المحدثين (اليازجي) لتخطئة قول الكاتب مثلاً (قلت له أن يفعل) والصواب في رأيه أن يقال : قلت له سيفعل ، بلام الأمر ، أو قلت له يفعل ، بدونها ، مع حزم الفعل أو رفعه ، واعتماده في ذلك على قول النحاة بمنع وقوع (أن) بعد لفظ القول» .

ويبدو أن هذه التخطئة بنيت على أساس قولهم كون «أن» هنا مفسرة ، وبالموازنة بين أقوال النحاة في «أن» المفسرة تبين أن بينهم خلافاً في وقوعها بعد القول: فمنهم من أحازه ، ومنهم من منع .

ولكن «أن» في التعبير الذي توجهت عليه التخطئة ليست هي المفسرة ، بدليل أن المستعمل له ينصب ما بعدها ، فلا يخطر له أن يقول : قلت لهما أن يفعلان ، ولا قلت لهم أن يفعلون ... بل هي مصدرية ، والمصدر المؤول ، إمّا بدل من مقول مقدر ، أو محرور بالسبب المحذوفة ، ولهذا ترى اللجنة أن التعبير جائز ، ولا حرج فيه على متحدث أو كاتب .

٧- استأهل :

تقول : استأهل فلان أن يُكْرَمَ ، أي استوجب ، ويظن كثيرون أن هذا اللفظ من لفظ العامة ، لأنهم يستعملون الفعل هذا بتخفيف الهمز كثيراً (استأهل) .. والصحيح أنه من فصيح اللغة .

وهو لغة جيدة صرح به كثيرون من أصحاب المعاجم ، جاء في معجم «تهذيب اللغة» للأزهري : «فلان يستأهل أن يُكْرَمَ ، أو يُهَان بمعنى يستحق» ، وهذا فصيح صحيح ، لأن الأزهري يقول سمعته من أعراب فصاح ، قال : لأني سمعت أعرابياً فصيحاً من بني أسد يقول لرجل شكره على عمل : تستأهل يا أبا حزم ما أوليت ،

وحضر ذلك جماعة فما أنكروا ، ويحقق ذلك قوله تعالى : ﴿هل هو أهل التقوى وأهل

المغفرة﴾ المدثر (الآية ٥٦) ، قال الشاعر :

كُنْ أَنْتَ لِلرَّحْمَةِ مُسْتَأْهِلاً إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ بِمُسْتَأْهِلٍ
أَلَيْسَ مِنْ آفَةِ هَذَا أَهْوَى بِكَاءٍ مَقْتُولٍ عَلَى السَّاتِلِ

٨- أيضاً :

ما أكثر استعمالنا هذا اللفظ ، وربما استعملناه كيف كان ، وبلا قاعدة ، وربما لم يخطر في بال كثيرين معرفة معنى اللفظ ، وكيف يُستعمل ؟ وهذا الكلام عليها :

الأبيض : العودُ إلى الشيء ، والفعل أض يبيض أيضاً أي عاد ، والأبيض : صيرورة الشيء شيئاً غيره ، وتحويله من حاله ، والأبيض : الرجوع ، يقال : أض فلان إلى أهله ، أي رجع إليهم ، وتقول : أض الشيء كذا ، أي صار ، يقال : أض سواد الشعر أبيض ، أي صار .. وتقول : فعل ذلك أيضاً إذا فعله مرة أخرى .

٩- برّ :

يقال : برّ فلان فعلته ، وبرّ عمله ، وبرّ خطاه ، ويقال : لا برّ لهذا الأمر .. وهذا كله من الخطأ ، لأن (برّ) ومشتقاته لا صحة لها في مثل هذه التراكيب ، والجمل .

والصواب أن نستعمل بدلاً منها (سوّغ) ، تقول : سوّغ فلان عمله أو فعلته ، وسوّغ فلان لنفسه فعل كذا وكذا ، وتقول لا مُسوّغ لهذا العمل .

أما معنى سوّغ فهو جوّز ، تقول : سوّغ فلان عمله تسويغاً إذا جوّزه ، وسوّغ لي كذا إذا أعطاني إياه ، والتسويغ هو الإذن في تناول الاستحقاق من جهة معينة تيسيراً وتسهيلاً على الأخذ ، والأصل في هذا من الفعل (ساغ) بمعنى سهّل ، تقول : ساغ لي الشراب أو الطعام إذا سهّل ، قال الشاعر :

أكاد أغصن بالماء الحميم

سأغ في الشراب وكنت قدماً

والماء الحميم هنا الماء البارد .

ومن المجاز قولك : أساغ النهار إذا سهل ، قال الشاعر :

قد ساغ فيه لها وجه النهار كما
سأغ الشراب لعطشان إذا شربها

٩٠ - مبارك ومبروك :

يهنئ الواحد الآخر بقوله له : «مبروك» إذا كان بفتح ، أو رُزق بطفل ، أو ... لكن كلمة «مبروك» غير صحيحة ، والصحيح أن تقول «مبارك» والسبب أن «مبروك» اسم مفعول من الفعل (برك) ، وهذا الفعل بعيد جداً عن (بارك) فالفعل برك من قولهم : برك البعير إذا أناخ في موضعه ، أما بارك فهو الذي صيغ منه اسم المفعول مبارك ، تقول : بارك الله لك ، وبارك الله فيك ، وبارك الله عليك ، وباركك ، وكل هذا مما نستعمله ، وكله غير صحيح ، جاء في حديث النبي (ﷺ) : «بارك على محمد وعلى آل محمد وآدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة» .

٩١ - بصم :

نستعمل هذا الفعل ومشتقاته كثيراً ، ومنها وهو صحيح ، ومنها ما ليس بصحيح ، يقول الطالب : بصمت الدرس أو القصيدة ، ويقول أحدهم : بصم لي فلان بالعشرة كناية عن الموافقة التامة وتأييداً له في كل ما قام به .. ويقولون : أخذ الحق بصمة الحرامي للتحقيق معه ، ويقال : ترك فلان بصمة في الفن ، أو الأدب ، أي أثراً كبيراً أو واضحاً ...

ونقول : إن كل ما ذكر ليس من المعجم العربي ، بل هو من الألفاظ التي أقرها بجمع اللغة ، ولكن السؤال : إلام استندت تلك القرارات ؟ فالمعجم لم تذكر هذا ، فما في المعجم العربي غير المستحدث الذي ذكر تلك المعاني لا يشير بسبب إلى ما

وقفنا عليه ، اللهم إلا ما هو بعيد بعيد ، فقد ذكر للبصم الفرجة التي تكون بين إصبعين ، وهذا المعنى عند قلة قليلة ، أما المعنى الثاني للبصم فهو الثوب الغليظ .
وما يلاحظ أيضاً أن المعنى — وإن كان بعيداً عن الأصل — قد تطور وصار يستعمل مجازاً مثل بصم لي بالعشرة أي ختم ، مثل بصمة الإهلام التي تؤخذ للتحقيق ، ومثل بصمة الفن والشعر ...

١٢- بضع :

كثيرون يستعملون كلمة (بضع) بلا قاعدة محددة كناية عن عددها ، فتسمع أو تقرأ : قرأت بضع قصص ، وكتبت بضع قصائد .. والمقصود أن هناك عدداً ما غير محدد فعبرنا عنه بكلمة (بضع) ، ونقول : إن استعمالنا هذه الكلمة استعمال غير دقيق، فثمة قاعدة يجب أن نعتمدها ، وهي أن كلمة (بضع) تحل محل الأرقام من (٤) إلى (٩) ، أي أنها تطبق على ما لا يُطبق عليه كلمة (نيف) ، فالفرق — إذاً — صار واضحاً من (١) إلى (٣) كلمة نيف ، ومن (٤) إلى (٩) كلمة بضع ، وما نرجوه أن يعتاد الواحد منا أن يكتب استناداً إلى قاعدة علماً بأن مثل هذه القواعد لا تثبت — غالباً — في درس الأعداد للطالب !!

١٣- البَلُور :

تُلَفِّظ هذه الكلمة كما تلفظها العامة بفتح الباء وتشديد اللام المضمومة ، ولكن يظن كثيرون أنها من لفظ العامة فيخطئون من يستعملها ويصوبون اللفظ على أنه البَلُور (بكر الباء وتشديد اللام المفتوحة) ، ونقول : بل اللفظان صحيحان يضاف إليهما لفظ ثالث لكن غير مستعمل هو البَلُور (بكسر الباء وفتح اللام مخففة) .

جاء في المعاجم البَلُور على وزن تُثُور ، وِبَلُور على وزن سِنُور ، وِبَلُور على وزن سِبَطَر ، وهو جوهر معروف أبيض شفاف ، واحده بَلُورَة أو بَلُورَة ، وقيل: وهو نوع من الزجاج ، وهذا معروف لدى الجميع .

بقسي أن نشير إلى أن ثمة معاني أخرى للبلور منها ألها تعني الرجل الشجاع ، جاء في حديث جعفر الصادق (عليه السلام) : « لا يُحبُّنا — أهل البيت — الأحدثُ الموجه ولا الأعور البلورة » .

١٤- بلّة = زاد الطين بلّة :

من الجمل والتعابير الكثيرة الاستعمال قولنا : زاد الطينة بلّة ، ونقصد به زاد على الأمر أمراً آخر ، وغالباً يُقصد به السيئ ، ونسمع كلمة (بلّة) مرة بفتح الباء ومرة بكسرها ، فأيهما الصواب ؟ الصواب بالكسر (بلّة) .

ومن معاني البلّة — أيضاً — الخير ، والرزق ، وجريان اللسان وفصاحته ، يقال : ما أحسن بلّة لسانه ، إذا وقع على مخارج الحروف ، والبلّة أيضاً العافية من المرض ، والبلّة الوليمة .

١٥- الباع :

يستعمل اللفظ في الحساب ، والمقادير ، وهو مقياس للقدماء ، ولم يعد يُستعمل في هذا الزمن ، لكن ما زال له استعمال مجازي .. أما معناه الأصلي فقد استعمل في مثل قولك : اشتريت باعاً من القماش ، وقولك : وبيني وبينك باعٌ واحدٌ . والباع هو قدر من اليدين وما بينهما من البدن ، أو هو المسافة بين خطوات الفرس في جريه ، جاء في الحديث : «إذا تقرّب العبد مني بوعاً أتيت هرولة» وقال الشاعر :

فلو كان حبلاً من ثمانين قامّةً وتسعين باعاً نالها بالأنامل

أما قولهم : فلان ذو باع طويل في هذا الأمر أو العمل أو الفن فهذا من المجاز الذي استعمل ، وهو صحيح .

١٦- البون والبون :

تقول هذا بون بعيد ، ونقول : البون بيني وبين الآخرين بونٌ شاسعٌ ، أي مسافة

بعيدة ، وتلفظ الكلمة بفتح الباء (بُون) ، وبضمها (البُون) ، وهي بمعنى مسافة ما بين الشيمين . قال كثير عزة :

إذا جاوزوا معروفة أسلمتهم
إلى غمسة ما ينظرُ القومُ بُوكها
ولكن ما يلاحظ استعمال (الفتح) أكثر من (الضم) .

١٧- المباع والمبيع :

تسمع كثيراً : هذا الشيء مباع ، وهذه البطاقة مُباعة ، لكن كثيرين لم يقبلوا بهذا اللفظ ، وقالوا الصحيح مبيعة ، باعتبار أن الوزن اسم مفعول من الفعل (باع) وأصله مبيعوع لكن علّة صرفية أصابتها فصارت (مبيع) .. ولكن (مباع) صحيح إذا رددناه إلى الفعل (باع) ، فهو — أيضاً — اسم مفعول ، وثمة سببان لهذا :

الأول أن أباع لغة في (باع) .
والثاني أن الكلمة من (أباع) بمعنى عرض الشيء للبيع .

قال الشاعر :

لقفو الجياد من البيوت ومن يُبع
فرساً فليس جوادنا بمُباع
فاللفظان صحيحان ، لأن (المباع) كان معروضاً — في الأصل — للبيع .

١٨- تعال :

نقرأ عناوين كتب للأطفال ، تقول : تعال نرسم ، تعال نلون ، وتعال نحسب ... وقد حُزمت الأفعال المضارعة نرسم — نلون — نحسب على أنها مجزومة لأنها وقعت جواب الطلب للفعل (تعال) إذا أريد من فعل الأمر ، وإذا أريد الشرط في الجملة ، فإذا قلت : جئني أكرمك ، فكأنك قلت إن تأتني أكرمك . والجملة السابقة (تعال ...) يجوز فيها الرفع ، إذا كان القصد تعال لنرسم أو لنلون .. أي إذا لم نضمّن معنى (تعال) الشرط .

أما الفعل (تعال) نفسه فقد قيل إنه من الألفاظ غير العربية وقيل هو اسم فعل بمعنى أقبل ، لكن استعمل كثيراً حتى صار كغيره من الأفعال ، فأسند إلى الضمائر المتصلة فقالوا : تعالوا ، وتعال ، وهنا لا بد من التنبيه على خطأ يقع فيه كثيرون ، ويظهر في لفظ الكلمة لا في كتابتها ، فيضويون اللام مع واو الجماعة ، ويكسرونها مع ياء المؤنثة المخاطبة ، والصواب فتح اللام في الحالين لأنها تدلّ على الألف المحذوفة ، وهذا على اعتبار أن الفعل أمر من التعالي ، وهو الارتفاع ، وكان أصله على ما ذكر لدعاء الإنسان إلى مكان مرتفع ، ثم جعل الدعاء إلى كل مكان ، ومثله في هذا الفعل (تسام) من التسامي ، قال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ ، وقد قرئت الآية بضم اللام .

قال أبو فراس الحمداني :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة	أيا جارتنا هل بات حالك حالي
أجارتنا ما أنصف الدهر بيننا	تعالى أقاسمك الهجوم تعالي
تعالني تري زوحاً لدي ضعيفة	كردد في جسم يُعذب بال

وإذا كان أبو فراس الحمداني لا يحتاج بشعره فإننا نقول : استشهاده على معنى لفظ لا قاعدة نحوية أما كسر اللام فهو للضرورة ، قال امرؤ القيس :

إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد لخطب

١٩ - التقانة :

نسمع هذه الكلمة مرة بفتح التاء ، ومرة بكسرها ، فأيهما الصواب ؟ .

بداية نقول : إن هذا اللفظ من المستحدث الذي جاء به عدد من العلماء بدلاً من اللفظ الأجنبي «التكنيك» ، ثم إن لهذا اللفظ فعلاً هو (أتقن) ، تقول : أتقن الرجل عمله إتقاناً جيداً إذا أكمله وأجاد صنعه ، والإتقان هو الإحكام للأشياء ، قال تعالى : ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ .

أما الذي يتقن عمله فهو مُتَقِنٌ ، ومثله تَقِنٌ ، وَتَقِنٌ إذا كان حاذقاً ، فكأن هذين اللفظين يَجُوزَان لفظ التقانة بالكسر والفتح ، وهذا إذا قسنا عليه يخفف علينا من الأخطاء التي تنتشر يوماً بعد يوم ، ونكون قد اتبعنا ظاهرة الاشتقاق التي في لغتنا ، والتي تزيد من ثروتها ولغتنا قابلية لهذا .

٢٠- جاء تَوّاً :

يشيع في الاستعمال قولهم «جاء تَوّاً» ، أي جاء الآن ، والصحيح : جاء التَوّة ، أي الساعة ، والتَوّة الساعة ، تقول : مضت تَوّة من الليل والنهار ، أي ساعة ، والتَوّة: الساعة من الزمان .

وفي اللسان : جاء تَوّاً أي فرداً ، وقيل : هو إذا جاء قاصداً لا يُعَرِّجُه شيء ، فإن أقام ببعض الطريق فليس بتَوّاً .

وقد أقرّ مجمع اللغة العربية استعمال (جاء تَوّاً) أي قاصداً ، لم يتخلف في الطريق : إذا القصد أمر اعتباري يؤدي إلى الحضور الفوري .

٢١- الثَّبِت :

لفهرس اسم آخر هو الثَّبِت ، وكان يعني ما يجمعه المتحدث من مرويّاته وأشياخه ، لكنه مع مرور الأيام صار يعني الكتب التي يعتمدها المؤلف ، أي أنه فهرس المصادر والمراجع ، ويجوز في الثَّبِت تسكين الباء ، فهما لفظان صحيحان ، والفتح أعلى .

٢٢- الثَّلّة :

تسمع : استعرض الرئيسان ثلّة من حرس الشرف ، وقد يظن أن اللفظ خطأ ، لأنهم يقرنون به كلمة عامية الشين بدلاً من الشاء II ، ونقول : بل اللفظ فصيح صحيح ، يعني الجرعة من الناس ، ومنه قوله تعالى : «ثُلّة من الأولين ، وثُلّة من الآخرين» ، ومن

معاني الكلمة أيضاً الدراهم الكثيرة ، فالمعنى واحد ، فهما يدلان على العدد .
وقد يُستعمل اللفظ بفتح الثاء (ثَلَّة) ويعني جماعة الغنم ، أو الجماعة الكثيرة من
الغنم ، وكذلك يقال للصوف ثَلَّة ، وللشعر ، والوبر ، وما أخرج من التراب من البئر .
جاء في الحديث الشريف : « لا حمى إلا في ثلاث : ثَلَّة البشر ، وطول الفرس ،
وحلقة القوم » ، ومن أقوال العرب : « فلان لا يفرق بين الثَلَّة والثَلَّة ، أي بين جماعة
الغنم وجماعة الناس .

٢٣- ثُم = ثَمَّة :

ثمة أخطاء تقع فيها ، يمكن تصحيحها إذا ضبطت الكلمة صحيحة ، وقد كثر
مثل هذه الأخطاء ، ومنها : ثُم ، ثَم (بضم الثاء وفتحها) ، تسمع مثلاً : وصل الفريق
الأول ، ومن ثَم الفريق الثاني ، وتقول : قرأت القصيدة ، ومن ثَم (بضم الثاء)
حكمت عليها في الجملتين وأشباههما ، ومثل هذا كثير جداً !! والخطأ هو أنهم
يريدون استعمال حرف العطف (ثم) ، فالتصحيح قريب سهل ، تقول : وصل الفريق
الأول ثم الفريق الثاني .. وتقول : قرأت القصيدة ثم حكمت عليها ، فالحرف (ثم)
للعطف ، ولا حاجة إلى الوقوع في الخطأ بقولنا (ومن ثَم) لأن (الواو) حرف عطف ،
و(من) حرف جر ، و(ثم) حرف عطف ، فلا يقع حرفان متتاليان بمعنى واحد ، ثم
كيف يصح تركيب الجملة حرف عطف فحرف جر فحرف عطف ؟

إن سبب وقوعنا في الخطأ هو عدم ضبط كلمة (ثم) صحيحة ، أي أن (ثم) تلفظ
بفتح الثاء لا بضمها ، وهي عند ذاك صحيحة لأنها اسم إشارة تدل على المكان ، قال
تعالى في البقرة : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » ، وقال في سورة
الشعراء : « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فريق
كالطور العظيم • وأزلفنا ثم الآخرين » .

هذا جانب ، وثمة جانب آخر يمكن أن يخفف بل ينهي الوقوع في الخطأ ، وهو أن يكتب (ثم) لمن يريد استعمالها بالتاء المربوطة (ثمة) ، تقول : ثمة أمورٌ يجب أن أقضيها ، أي هناك أمورٌ ... وتقول : إنَّ ثمةَ أمراً .. ولكن الملاحظ أن معظم من يستعمل مثل هذه الجملة يضم كلمة (أمراً) وأشباهاها ظناً منه أنه خبر إن ، لا لشيء إلا لأنها ثمة تلفظ بالفتح والصواب بالفتح لأنه اسم وثمة الظروف هو الخير .

وقد يصل الكاتب أو القارئ بسهولة إلى تصحيح الخطأ ، فماذا لو دخل الفعل الناقص (كان) على مثل تلك الجملة ١٩ هل يقول : كان ثمة أمراً ؟ لا .

ثمة أمراً خبرٌ نقف عنده هو أن حرف العطف (ثم) إذا لحقت به التاء فهي تاء التأنيث الساكنة ، وهذا ما يميزها عن (ثمة) ظرفاً ، قال الشاعر :

ولقد أمرَ عليّ اللّهم يسبني فمضيتُ ثمت قلت لا يعنيني

٢٤- أثناء — خلال :

يكثر استعمال اللفظين (أثناء — خلال) ، تقول : تحدث فلان عن كذا وكذا في خلال ، أو تحدث عن كذا وكذا أثناء خطابه .. وكذلك تقول : زرت في خلال رحلتي مناطق سياحية ، وزرت خلال رحلتي مناطق .. أي أننا نستعمل اللفظين (أثناء) و(خلال) مجردين من حرف الجر ، ومقترنين به ، فأيهما الصواب ؟ .

يجوز أن تقول : تحدثت عن المنوع من الصرف أثناء / أو في أثناء المحاضرة ، فالكلمة تفيد الظرفية وتعني تضاعيف الشيء وثنياته ، فأناء الوادي معافيه ، وكذلك مشائي الوادي . وفي حديث عائشة تصف أباهما (ﷺ) : «فأخذ بطرفيه وربعه لكم أثناء» أي ما انثنى منه ، وهي معافى الثوب وتضاعيفه ، من هنا أجاز مجمع اللغة العربية استعمال اللفظ مجرداً من حرف الجر (في) ، واستجد (خلال) في مكانها .

٢٥- الجَدَّ والجَدَّة :

الجَدَّ (بفتح الجيم) : هو أبو الأب ، أو أبو الأم ، معروف . والجَدَّة — أيضاً — الحظَّ

والبَحْت ، تقول : فلان ذو جَدِّ كبير في الدنيا ، ومن كان عنده جدُّ فهو محظوظ . جاء في حديث القيامة «وإذا أصحاب الجُدِّ محبوبسون» ، وفي حديث الدعاء «لا مانع لما أعطيت ، ولا مُعطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجُدِّ منك الجُدُّ» ، أي من كان له حظ في الدنيا لم ينفعه ذلك في الآخرة .

ومن معاني الجُدِّ — أيضاً — الخطوة والرق ، والعظمة ، قال تعالى : «وأنه تعالى جدُّ ربِّنا» ، وقيل معناه الجلال أو العظمة ، وهما في المعنى متقاربان ، وفي حديث الدعاء «تبارك اسمك وتعالى جدُّك» ، أي علا جلالك وعظمتك ، وفي الحديث أيضاً أنه «كان الرجل منا إذا حفظ البقرة وآل عمران جدِّ فينا» ، أي عظم في أعيننا وصار ذا جدِّ .

ومن معاني الجُدِّ أيضاً شاطئ النهر ، أو ضفته ، ووجه الأرض ، والقَطْع ، ومعانٍ غيرها كثيرة .

أما الجُدُّ (بكسر الجيم) فتعني الاجتهاد في الأمر ، تقول : جدُّ فلان في عمله واضح ، وجدُّ الطالب في دراسته بارزة في نتائجه . وفي حديث أحد «لئن أشهرني الله مع النبي ﷺ قُتل المشركين ليرين الله ما أجدُّ» .

والجد — أيضاً — نقيض الهزل ، جاء في الحديث «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً جاداً» ، أي على سبيل الهزل فيصير جاداً .

وتقول : أجدُّ فلان في عمله مثل جدِّ إذا اجتهد وحقَّق ومثله جدُّ به الأمر وأجدُّ .

ومن معاني الجدِّ أيضاً العجلة ، يقال : فلان على جدِّ أمره أي على عجلة أمره ، جاء في الحديث «كان رسول الله ﷺ إذا جدَّ في السير جمع بين الصلاتين» ، أي اهتمَّ به وأسرع فيه .

وأما الجِدَّة فهي ضدُّ البلى ، يقال : جدُّ الثوب يجدُّ فهو جديد .

٢٦- الجَذَلُ والجَزَل :

ثمة فرق بين الكلمتين ، لكن كثيرين يستعملون الواحدة محلّ الأخرى ، تقرأ مثلاً ، كلام طه حسين جَذَل ، بالذال ، وتقرأ إن ألفاظ المتنبي جَذلة ، ويريدون قوياً وقوية ، وهذا غير صحيح ، والصواب أن تقول : جَزَل وجَزلة (بالزاي) ، وهذا المعنى من الجَزَل المأخوذ من الحطب اليابس ، أو الغليظ ، أو العظيم ، قاله الشاعر :

فَوَيْتَهَا لِقِذْرِكَ وَيَهَاءَ لَهَا إِذَا اخْتَبَرَ فِي الْمَحَلِّ جَزْلُ الْحَطَبِ

وقد كثر استعمال الكلمة حتى صار يُطلق على كل ما كثر ، فيقال : فيه جَزَل ، فالكلام الجَزَل هو القوي والشديد ، واللفظ الجَزَل هو القوي خلافاً أو ضد الركيك الضعيف ، والجَزَل هو العاقل الأصيل الرأي ، وجزالة الرأي متانته وقوته . ثم انتقل المعنى إلى الجاز فقالوا : الجَزَل هو الكريم المعطاء ، تقول : أَجَزَلَ عَطِيَّتَهُ ، وأَجَزَل لهُ في العطاء ، إذا أكثر ، قال الشاعر :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمَجَزَلِ أَعْطَى فَلَمْ يَنْبَحِلْ وَلَمْ يُبْخَلْ

من هنا جاءت كلمة «جَزِيل» ، فتقول لمن تريد أن تشكره : شكراً جَزِيلاً ، وهو صحيح لأن معنى الجَزِيل هو العظيم الكثير .

أما الجَذَل (بالذال) فيُلَفِّظ بضم الجيم وكسرهما ، ومعناه بعيد جداً عن معنى الجَزَل (بالزاي) ، فالجَذَل هو أصل الشجرة . جاء في الحديث «يُبَصِّرُ أَحَدَكُمْ الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَذَعُ الْجَذَلَ فِي عَيْنِهِ» .

ومن معاني الكلمة أيضاً : المال القليل كأنه الأصل منه .

أما الفعل فهو جَذَلَ بكسر الدال على وزن فَرَحَ ، وهو بمعناه نفسه . تقول : هذا الإنسان جَذَلَ وجَذَلَان أي فَرِحَ وفرحان .

٢٧- جَوَاء :

يستعمل كثيرون هذا اللفظ ، يقصدون به الزمن ، وهو ليس كذلك ، تقول :

قصدت من جرّاء ذلك ، إلى سبب ذلك وهذا هو معناه ، وتقول : فعلت هذا الأمر من جرّائك ، أي من أجلك ، قال الشاعر :

أَمِنْ جَرّاً بِنِي أَسَدٍ غَضِبْتُمْ ؟ وَلَوْ شِئْتُمْ لَكُنْ لَكُمْ جَوَارُ
وَمِنْ جَرَّائِنَا صَرْتُمْ عَبِيداً لَقُومَ بَعْدَ مَا وَطِئَ الْخِيَارُ

وفي الحديث «إن امرأة دخلت النار من جرّاء هرة» أي من أجلها .

٢٨- الجغرافيا :

من يقرأ كتب الجغرافيا في المراحل الدراسية كلّها يجد أن كلمة جغرافيا كتبت بشكليين اثنين (جغرافيا بالألف الممدودة) و(جغرافية بالتاء المربوطة) ، وهاتين الكلمتين لفظ يختلف من واحد إلى آخر مرة بفتح الجيم ومرة بضمها ، وهذا ما أوقع الطالب وغيره في الحيرة ... وهذا ما يجعل الآخرين يفتنون في التفسير والتأويل ، والتجويز والتخطئة ، وتقول : لا داعي لمثل هذه الألفاظ والتخطئة والتصويب ، ولنعتمد اللفظ الذي يلفظه معظمنا الجغرافيا بضم الجيم سواء كانت بالألف أم بالتاء المربوطة ما دام اللفظ غير عربي ، فاللفظ يوناني مؤلف من مقطعين (جي) وتعني الأرض ، و(غرافي) وتعني (رسم) ، أي : رسم الأرض .

٢٩- استجمع في قولهم : استجمع قواه :

أحال مجلس المجمع على المؤتمر مع الموافقة قرار اللجنة المتضمن :
«يشيع استعمال هذا اللفظ (استجمع) كثيراً في لغة المعاصرين في مثل قولهم :
«استجمع فلان أفكاره» وهو ما يعترض عليه بأن صيغة استجمع لم ترد في معجمات اللغة إلا لازمة . يُقال : «استجمع السيلُ ، أي : تجمع من كل صوب» .
درست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى أن اللفظ يمكن قبوله ، على أساس أن السين والتاء فيه للطلب المجازي أو التقديري ، فكأن فلاناً يستدعي أفكاره أو قواه لتجمع ، وقد أثبت فريق من كبار النحاة أن الطلب يكون بهذا المعنى الذي تستند اللجنة إليه في توجيه اللفظ ،

كما أن دلالة السين والتاء على الطلب قياسية في قرارات الجمع .
هذا إلى أن صيغة استفعل تأتي بمعنى فَعَلَ ، ومن أمثلة ذلك علا واستعلى — فتح
واستفتح — نسخ واستنسخ .

ولهذا كله ترى اللجنة أن استعمال هذا اللفظ صحيح في المعنى الذي يستعمل فيه .

٣٠- الجُهد والجُهد :

يُميز بعضهم بين الجُهد (بفتح الجيم) والجُهد (بضمها) ، فيقولون : الجُهد (بالفتح)
التعب والمشقة ، والجُهد (بالضم) المبالغة والغاية والجِدَّ والاجتهاد ، ومن يقرأ معاني
الكلمتين يجد أن هناك تشابهاً في المعنى بينهما . جاء في المعجم : الجُهد (بالفتح) الطاقة
والوُسْع ، وقد يُضَمُّ ، والجُهد (بالفتح) المشقة .

فالجِد والاجتهاد والغاية والمبالغة تأتي من التعب والمشقة ، ولذلك وجد كثيرون
أن اللفظين بمعنى واحد ، ولم يميزوا بينهما استناداً إلى كثرة الأحاديث التي وردت فيها
الكلمة ، ومن هذه الأحاديث حديثُ الصدقة «أي الصدقة أفضل ؟ قال جُهدُ المقلِّ» .
أي قسدر ما يحتمله حال القليل المال . وفي حديث أم معبد «شاة تحلفها الجُهد عن
الغنم» . وقد قرئ الوجهان في قوله تعالى : «والذين لا يجدون إلا جهدهم» . جُهد
البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشملة الأعداء» ، وقيل إن المعنى الحالة الشاقة
التي تأتي على الرجل ، أو هي كثرة العيال والفقر وقلة الشيء .

٣١- الجَهْوري :

كثيراً ما سمعنا الكلمة هذه بغير لفظ ، واللفظ الصحيح هو (جَهْوري) بفتح الجيم
وتسكين الهاء وفتح الواو ، تقول : فلان ذو صوت جَهْوري ، وهذا المذيع صوته
جَهْوري ، أما اللفظ الخطأ الذي نسمعه كثيراً فهو بضم الهاء (الجَهْوري) .
ويُقصد بالكلمة الرجل الشديد الصوت ومثله أيضاً (جَهْر) و(مُجَهْر) و(جَهْر)
جاء في الحديث «فإذا امرأة جهيرة» أي عالية الصوت .

ويتصل بهذه الكلمة لفظ (جَهَاراً) التي نسمعها بالفتح كثيراً ، وبالكسر قليلاً ،
وتقول : الصواب بالكسر لا الفتح وهو مصدر الفعل (جَهَرَ) ، تقول : جهر فلان
يجهر جَهْراً وجَهَاراً . قال تعالى : «ومن رزقناه مَنّاً رزقاً حسناً فهو يُنفق منه سرّاً
وجَهْراً» .

ومن يتبع معاني الكلمات السابقة يجد أن القصد من الجهر هو الإعلان والتوضيح غير
المستتر والغائب ، قال تعالى : «أرنا الله جهرة» ، أي غير محتجب عنا .

٣٢- الجواب والإجابة :

تقول : هذا جواب عن السؤال ، وتقول : هذه إجابة عن السؤال ، فتستعمل
اللفظين ، وتقول : اللفظان صحيحان ، ولا داعي لتخطئة واحد منهما . الإجابة :
رَجَعَ الكلام . ومن أمثال العرب : أساء سمعاً فأساء إجابة ، ومثلها : استجاب . قال
الشاعر :

وداع دعا يا من يُجيبُ إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ
فقلت: ادعْ أخرى وارفع الصوت رفعةً لعلَّ أبا المغوار منك قريبُ
أما تجاوب فهو بمعنى جاب بعضُهم بعضاً ، وقد استعمل للطير ، قال الشاعر :

وما زادي فاهتجتُ شوقاً غناء حمامتين تجاوبانِ
تجاوبتا بلحنٍ أعجمي على غصنين من غربِ وبانِ

٣٣- أجاب عن :

تقول : أجاب الطالب عن الأسئلة ، وأجاب المسؤول عن استفسارات المواطنين ،
فتعدي الفعل (أجاب) بحرف الجر (عن) ، وهذا الصحيح .
وقد يتعدي الفعل (أجاب) إلى معناه بنفسه ، فتقول : أجاب الابنُ كلام أبيه ،
قال تعالى : «يا قومنا أحييوا دعاء الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم» كما يتعدي

الفعل إلى المعنى بحرف الجر (إلى) ، قال الشاعر :

وداع دعايا من يجيب إلى الندى
فسلم يستجبه عند ذلك مجيب
٣٤- الجُودة :

تقول : هذه ثياب ذات جُودة عالية ، وتقول : صناعتنا ذات جُودة عالية .
فتسمع اللفظ مرة بضمّ الجيم ، ومرة بفتحها ، ويُظنّ أن الضمّ خطأ لأنها من لفظ
العامّة ، وأن الصواب الجُودة (بفتح الجيم) ، ونقول : بل اللفظان فصيحان علماً بأن
بعض الكتب خطأت الضمّ ١١ .

تقول : جاد الأمر يجودُ جُودة وجُودة إذا صار جيّداً ، وجمع الجودة جياذ ، وجمع
الجمع جيدات ، قال الشاعر :

كما كان عند بني العوام من حسب
ومن أسياف جياذاتٍ وأرماح
٣٥- التجوّل والتجوال :

تسمع في نشرات الأخبار : منعت سلطات الاحتلال التجوّل في شوارع
القدس .. والتجوّل في هذه الجملة وأشباهها غير صحيحة ، والصحيح (التجوال) ،
تقول : منع العدو التجوال في يوم الغفران .

أما الفعل فهو جال بمعنى دار ، تقول : جال جولة إذا دار ، وجوّل (بالتضعيف)
طوّف ، تقول : جوّلت البلاد تجوّلاً إذا جلت فيها كثيراً ، والتجوال هو التطواف ،
ووزنه (تفعال) وهذا الوزن موضوع للكثرة .

ويتصل بهذه الكلمة كلمة الجَوْلان ، تقول : منعت سلطات الاحتلال التجوال
في هضبة الجولان السورية المحتلة ، والجولان ثُلُفٌ بفتح الجيم لا بضمّها كما يلفظها
بعض المذيعين ، قال النابغة :

فإن نحي لا أملك حياتي وإن سمّت
فما في حياة بعد موتك طائل

فَأَبْ مُضِلُّوهُ بَعِينَ جَلِيَّةً وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ
٣٦- الْجَوُّ :

قيل : الهواء ، وقيل ما بين السماء والأرض ، وقيل : بل هو الهواء الذي بين الأرض والسماء ، قال تعالى : «أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ» أي في كبد السماء ، أما جمع الجو فهو الأجواء ، جاء في حديث علي (عليه السلام) : «ثم فتق الأجواء ، وشق الأرجاء» .

وهذه الكلمة مما تطور معناها كثيراً فصارت تستعمل في مواضع كثيرة ، كقولنا : هذا الأمر يناسب الجو العام ، وقولنا : إن الجو العام ملائم لعمل كذا وكذا ... وهذا من الصحيح ، فثمة ما يشير إليه ، فإذا قلت : جو المنزل مناسب ، وقلت جو البلاد ملائم تقصد داخل البيت ودخل البلاد ، أي المحيط بهما ، فهذا ليس ببعيد عما يقصد إليه .

٣٧- حَقٌّ وَإِنْ :

هذا التركيب نحاطي ، وقد كثر استعماله في جمل وتعابير وأساليب كثيرة ، وتصويب هذا الخطأ سهل جداً ، وهو في حذف الأداة حتى ، تقول : سأذهب إلى مكان كذا وإن تعرضت للخطر ، وتقول : سنشارك في الدورة الرياضية وإن لم نحقق نتائج جيدة ، وهذا الأسلوب صحيح وفصيح فيه ، قاعدة نحوية واضحة لا لبس فيها ، بل هو من الأساليب المستعملة كثيراً في الشعر ، قال مالك بن الربيب يخاطب الذئب :

فَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ الْجُرْيَاءَ جَنَانَهُ مُنِيتَ بِضَرْغَامٍ مِنَ الْأَسَدِ الْغَلَبِ
بِمَنْ لَا يَسْنَامُ اللَّيْلَ إِلَّا وَسِيفَهُ رَهِينَةً أَقْوَامٍ سَرَّاعٍ إِلَى الشَّغَبِ
وقال الجنون :

لَا حَبُّ تَنْشَأُ فِي فَوَادِي فَلَيْسَ لَهُ وَإِنْ زَجَرَ انْتِهَاءُ
وقال المعري :

إني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل
ويكون الإعراب :

الواو حالية ، إن وصلية ، أو حرف شرط جازم .

٣٨- حَسَبَ يحسب :

الفعل حَسَبَ بفتح السين ، بمعنى عَدَّ ، أما المضارع فهو يفتح السين وكسرهما
(يحسب) ومصدره حساب وحُساب وحِسابان بضم الحاء وكسرهما ، قال تعالى : ﴿
والشَّمْسُ والقمر حُسباناً﴾ .
قال الشاعر :

على الله حُسباني إذا النفسُ أشرفت
على طمعٍ أو خاف شيئاً ضميرها
٣٩- على حسب — بحسب :

نستعمل للفظ (حَسَبَ) كثيراً ، تقول : عملت حسب ما يقتضيه الأمر عليّ ،
وتقول : هذا بحسب كذا ، وعلى حسب كذا .
ومما يحار فيه القارئ فتح السين وتسكينها (حَسَبَ) أو (حَسَبَ) ، وهل هي مع
حرف الجر الباء أم (على) ؟ .

الصواب فتح السين ، وجاز للضرورة تسكينها ، وفي النثر ليس من ضرورة !!
ويجوز دخول حرف الجر الباء أو على ، تقول : ليكن عملك بحسب ذلك أي قدره
وعَدّه ، ويُقال : ومن يقدرُ على عدِّ الرمل وحَسَبِ الحصى ، ويقال : الأجر على
حسب المصيبة ، أي قدرها .

٤- الحلم :

هذه الكلمة تلفظ غير لفظ .

بتسكين اللام وضمّ الحاء ، وضمّ اللام مع تسكين الحاء ، وتعني الرؤيا ، والحلم

هو ما يراه الإنسان في منامه ، جاء في الحديث «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» ،
ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه الإنسان من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على
ما يراه الإنسان من الشر والقيبح .

أما الحلم بكسر الحاء فهو الأناة والعقل ، وكثيراً ما تقرأ العبارة الجميلة «الحلم
سيد الأخلاق» .

٤١- الحَمْل والحَمَل :

الحَمْل بفتح الحاء ما في بطن ، أو على الشجرة ، كالوليد في رحم أمه ،
وكالثمار على أغصان الشجرة ، والمرأة الحامل هي ما كان في بطنها ولد ،
قال الشاعر :

تَمَخَضَتِ الْمُنُونُ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَكُلَّ حَامِلَةٍ تَمَامُ
أما الحَمَل بكسر الحاء فكل ما حمل على ظهر أو رأس ، ومنه قوله تعالى :
«وساء لهم يوم القيامة حملًا» .

أما جمع الحَمَل فأحمال ، وحُمول ، وحِمَال ، ونحصر الأخير جمعاً للحَمَل ، جاء في
الحديث «هذا الحِمَال لا حمل خبير» يعني ثمر الجنة ، وأنه لا ينفد .

٤٢- الحَنْجَرَة :

تلفظ الكلمة بفتح الحاء لا بضمّها ، وجمعها — كما تعلم — الحناجر ، قال
تعالى : «وأنذرهم يوم الأزمة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين...» ، وقال : «وإذا
زاغت الأبصار وبلغت القلوبُ الحناجر وتظنون بالله الظنونا» الأحزاب (١٠) .

٤٣- استَحُوذ :

تسمع أو تقرأ : وقد استَحُوذ فلانٌ على إعجاب زملائه ، وتسمع أو تقرأ : وقد
استَحُوذ هذا العمل على إعجاب المشاهدين ، وربما سمعت استَحُوذ (بالزاي) ، وبداية

تقول : إن الفعل استحوذ بمعنى (استحوذ) ، فهل يتعدى الفعل بنفسه أم بحرف الجر ؟
تقول : في الأمر مسألتان ، الأولى : إن الفعل (حاذ) يتعدى إلى المعنى بنفسه ، وهو بمعنى حاز ، وتقول : حاذ فلان إعجاب زملائه ، وتقول : حاذ هذا المسلسل إعجاب المشاهدين ، والفعل حاذ بمعنى حاط ، أي استولى ، والحوذ الإحاطة ، أو المحافظة على الشيء إذا حازه ، وحاذ الشيء استولى عليه أيضاً ، ومثله الفعل حاز (بالزاي) ، وبه فسر قوله تعالى : «...قالوا ألم تسحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين» النساء (الآية ١٤١) ، أي ألم نستول عليكم ، ومثله قوله : «استحوذ عليهم الشيطان» المجادلة (الآية ١٩) .

والمسألة الثانية هي أن الفعل استحوذ يتعدى إلى المعنى بحرف الجر ، فتكون الجملة السابقة صحيحة ، وما يلاحظ أن الفعل حاذ يتعدى إلى المعنى كما تعدى الفعل حاز ، وعندما فسرنا الآية بهذا المعنى تساوت القاعدة .

٤٤ - حاز شهادة :

تقول : حاز فلان على شهادة ، وهذا خطأ ، لأن الفعل حاز يتعدى إلى معموله بنفسه ، فتقول : حاز الطالب شهادته ، وتقول : حاز فريقنا ميدالية ، وحاز التاجر أموالاً طائلة . والفعل من المصدر (الحوز) ، وهو بمعنى الجمع وضم الشيء ، ومثله الحيازة والاحتياز ، تقول : فلان يحب حيازة المال ، وتقول : احتاز الشيء إليه إذا ضمه إليه ، واحتاز المال إليه إذا ضمه وجمعه . واسم الفاعل من الفعل حاز هو حائز تقول : فلان حائز شهادة تقدير .

٤٥ - حوالى وحوالي :

ما أكثر ما نستعمل الكلمات حوالى ، حوالي ، حوالى ، تسمع : قتل في التفجير حوالي عشرين شخصاً ، وتقول : تقدم إلى الامتحان حوالي ثلاثة آلاف طالب ، ويستعملون حوالى أيضاً .. ومن يسمع هذه الكلمات يظن أن هناك كلمة صحيحة

وأخرى غير صحيحة ، ونقول : إن استعمال هذه الكلمة أو تلك استعمال نحاطي
لأنهم يقصدون بها معنى (قريباً) ، أي نريد أن نقول : إن استعمال كلمة (حوالي) بهذا
المعنى غير صحيح ، ويمكن استعمال كلمتين بدلاً منها ، كلمة (قريب) وكلمة (نحو)
فنقول مثلاً :

زار المتحف الوطني نحو خمسة آلاف سائح ، أو ما يقرب من خمسة آلاف سائح ،
أو ما يزيد على خمسة آلاف سائح ..

أما سبب الخطأ في استعمال الكلمتين فهو لأنه بعيد كل البعد عن المعنى الذي
يُستعمل له ، تقول : هذا رجل حواليّ ، إذا كان كثير الخيلة ، أو جيد الخيلة ، وأما
(حوالي) بالألف المقصورة فهي تعني حَوَّل ، وحواليه ، تقول : درت حول الملعب ،
ودرت حوالي الملعب ، جاء في الحديث الدعاء : «اللهم حوالينا ولا علينا» .

٤٦ - تخرّج في :

فمن استعمال أحد حروف الجرّ محلّ أحدها قولنا : تخرّج فلان من الجامعة ، أو
تخرّج فلان من الكلية العسكرية ، والخطأ في هذه الجمل وأشباهها استعمال حرف
الجر (من) ، والصواب أن نقول : تخرّج فلان في الجامعة ، وتخرّج فلان في الكلية
العسكرية ، أي أن الفعل تخرّج يتعدى إلى معموله بحرف الجر (في) ، والسبب أن معنى
الفعل تخرّج هو تعلم ، تقول : خرّج فلان فلاناً من الصناعة أو التجارة أو الزراعة ،
أي درّبه وعلمه ، وكذلك خرّج فلان فلاناً في العلم إذا درّبه وعلمه ، وتقول : تخرّج
فلان في العلم أو الصناعة خروجاً إذا نبغ ، وخرّجه في الأدب تخريجاً فتخرّج ، قال
زهير بن أبي سلمى يصف نبياً :

وخرّجها صوّارخ كل يوم فقد جعلت عرائكها تلسين
وخرّجها هنا بمعنى أدبها كما يخرّج المعلم تلميذه ، أي يعلمه .

٤٧- اختصاصي :

ما أكثر اللافتات المنتشرة في أرجاء المدن التي تحمل اسم الطبيب فلان أو فلان ، فستقرأ الطبيب فلان أخصائي بأمراض الأنف والأذن والحنجرة ، أو تقرأ الطبيب فلان المختص بأمراض اللثة والأسنان عند الأطفال ، أو الطبيب فلان اختصاص بأمراض القلب والأوعية ... إلى آخره ، أي أننا نقرأ : أخصائي ، واختصاصي ، ومختص .. ونقول : إن الصواب هو اختصاصي أو مختص ، ولا صحة أبداً لكلمة أخصائي ، ولا ندري من أين جاءتنا ١١ .

وهنا لا بد من التعليق قليلاً ، إن أي طبيب تخرج في الجامعة درس اللغة العربية وقد صححت له في أحد الكتب التي درسها هذه الكلمة ضمن بحث الأخطاء الشائعة ، ثانياً إن كتابة هذه الكلمة تقع على عاتق الخطاط ، فلم يتقن هذا الخطاط أو ذاك اللغة التي يكتب بها حروفاً جميلة ، والعجيب ألا يتقنها ، وثالثاً أليس للمؤسسة العربية للإعلان دور ؟ بلى ، ولكن نرجو ألا ينحصر هذا الدور في أشياء وينسى في أشياء .

٤٨- خاصة وعامة :

من الكلمات التي نستعملها كثيراً في كتاباتنا كلمتا (خاصة) و(عامة) فنقول مثلاً: تنطبق هذه الأحكام على الدول عامة والدول العربية خاصة ، بل زدنا على هذا فأدخلنا حرف الجرّ (الباء) على الكلمتين فقلنا : بخاصة ، وبعامّة ، وكذلك زدنا أكثر على ذلك فصرنا نسمع عدداً من الذين يقرؤون هاتين الكلمتين يقرؤنها بالفتح مع حرف الجرّ بخاصة وبعامّة ، وهذا مما ينطبق عليه القول إنه من الخطأ الذي يجرّ إلى خطأ آخر ، ومن هذا أيضاً قولنا : خصوصاً ، أو عموماً ، فتسمعهم يقولون : قرأت للشعراء عموماً وللمتنبي خصوصاً .. ونقول : إن هذه الأساليب أو في هذه الجمل خطأ ، سواء استعملت عامة وخاصة أم استعملت بعامّة أو بخاصة ، أم استعملت

خصوصاً وعموماً ... والصواب موجود أمامنا ، وهو استعمالنا لكلمة (ولا سيما) ..
تقول : تنطبق هذه الأحكام على الدول كلها ولا سيما العربية ، فكأنك خصصت
الدول العربية ، وتقول : قرأت للشعراء كلهم ولا سيما الجاهليون أو الجاهليين ...
أما ولا سيما فقد استعملت ، أو هي تستعمل لكننا في بعض الأحيان نخطئ في
كتابتها ، أو في لفظ الاسم الذي بعدها ، نقول مثلاً : سيما وأن .. ففي هذا خطأ ،
الأول : أننا حذفنا (لا) قبل (سيما) وهذا لا يجوز ، والخطأ الثاني قولنا : (وأن) بإدخال
حرف الواو بعدها .. ونقول : إن استعمال (ولا سيما) هو من أساليب الاستثناء ،
وهو مركب من (سي) و(ما) ويُفيد ترجيح ما بعدها على ما قبلها في حكم مشترك ،
فنقول : أحب الطلاب ولا سيما المجتهدون أو المجتدين .. فأنت رجحت المجتدين على بقية
الطلاب .. والأمر الثاني هو أنه لا يجوز حذف (لا) لأن (لا) هنا هي النافية للجنس
التي تعمل عمل إن ، وسي اسمها ، فكيف سيصبح إعرابها لو حذفت (لا) ، وتكون
(ما) زائدة ، أو في محل جر مضاف إليه .. والأمر الثالث : خطأنا استعمال سيما وأن ،
وصححنا سيما بقولنا : ولا سيما أما (وأن) فغير صحيح أيضاً ، لأن القاعدة تقول ::
يجب أن يلي ولا سيما اسم ، وهذا الاسم يختلف إعرابه إذا كان نكرة أو معرفة ، فإذا
وقع الاسم نكرة بعد ولا سيما جازت فيه حركات الإعراب الثلاث ، النصب والرفع
والجر ، فنقول : أحب المجتدين ولا سيما طالب ، أو طالباً ، أو طالب .. أما إذا جاء
الاسم معرفة فيجوز فيه وجهان الرفع والجر ، أحب المجتدين ولا سيما الطالب أو
الطالب ، ولم يجوز النصب بعد ولا سيما لأنه يعرب تمييزاً ، والتمييز يأتي نكرة لا
معرفة ، من هنا لا يجوز نصب الاسم المعرفة بعد ولا سيما .

٤٩ - الخطبة :

الخطابة : تقول : تميزت الخطابة في العصر الإسلامي ، أو ازدهر فن الخطابة في
العصر الإسلامي ، وتقول : فلان يجيد فن الخطابة في المساجد ، أو على المنابر ،

وتسمع الكلمة بلفظين بكسر الخاء مرة (الخطابة) وبفتحها مرة ثانية (الخطابة) ، ونقول : اللفظان صحيحان ، ولكن لكل لفظ محلّ ، أو استعمال يختلف عن الآخر ، فالخطابة (بفتح الخاء) هو مصدر خطب فلان على المنبر خطابة ، أو خطبة ، أما إذا قلت : الخطابة فهي على وزن فعالة ، وهذا الوزن يدلّ على المهنة مثل الصناعة والزراعة والتجارة والحداة ، فكأننا ميّزنا بين اللفظين ، فإذا قصدنا المهنة قلنا : الخطابة ، وأما إذا كان المصدر فهو الخطابة (بافتح) .

٥٠ - الخطبة :

تقدّم قبل قليل قولنا : خطب فلان في الناس خطابة وخطبة ، ولفظناها بضمّ الخاء ، وقد تبّهت المعاجم على لفظ الكلمة بضمّ الخاء فقط ، تقول : خطبتُ على المنبر خطبة ، وقد عرفتُها المعاجم فقالت : والخطبة هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه ، وهي مثل الرسالة التي لها أول وآخر . ومن يلقي الخطبة يُسمّى الخطيب ، تقول : خطب فلان صار خطيباً .

٥١ - الخطبة :

والخطبة هي من خطب فلان المرأة يخطبها خطباً وخطبة ، والخطيب هو الخطاب ، والخطب أي الذي يخطب المرأة ليتزوجها ، لكن لم يؤثروا الخطيب فيقولوا : الخطيبة ، هذا في المعاجم القديمة أمّا في المعجم الوسيط فقد ذكرت استناداً إلى قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أي يجوز لنا أن نستعمل كلمة (خطيبة) التي نستعملها الآن ولا أن نبقي على خطبة لأننا لا نستعملها . ويتّصل بكلمة الخطابة ، والخطاب ، تقول : ألقى فلان خطباً وهو من الفعل خاطب ، تقول : خاطبته بالكلام مخاطبة وخطاباً ، قال الله تعالى في سورة هود : «ولا تُخاطبني في الذين ظلموا» ، والخطاب هو مراجعة الكلام . ويتّصل بهذا أيضاً قولهم : ألقى فلان خطباً موداه كذا وكذا يقصدون مختصره أو ملخصه أو فحواه أو مضمونه ، ويجوز لك القول : مختصره أو ملخصه أو فحواه ،

ولكن لا يجوز لك مؤداه لأن هذه الكلمة لا تؤدي المعنى المطلوب في هذا وأشباهه ،
أما المختصر والملخص فمعروفان ، وأما الفحوى فهو ما يرمى إليه الخطيب من هذا
الكلام ، أي المقصود منه .

٥٢- خلال :

كلمة خلال هي أيضاً مما نسمعه مُجرّداً من حرف الجرّ (في) ومقترناً بها ،
فنقول: تحدّثت في خلال محاضرتي ، أو تحدّثت خلال محاضرتي ، والعبارتان
صحيحتان، لأن (خلال) تفيد الظرّ ، ويجوز دخول حرف الجرّ (في) عليها ، أما
أصل كلمة (خلال) فهو حوالي ، فخلال الديار سرّاً ، ما بين بيوتها ، ومنه قوله
تعالى في سورة الإسراء : ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ ، وتقول : جلستُ خلال الديار ،
أي ما بين البيوت ووسط الدّور .

٥٣- خيار :

تقول : هذا من خيار الناس ، وهذا العمل من خيار العمل ، وتلفظ الكلمة
بكسر الخاء ، وتقول : ما فعلته خيار لك ، ولكنّ بعضنا يظنّ أن هذا اللفظ غير
صحيح لأنه بمعنى (خيار) الخضار المعروفة ، فتراه يلفظ الكلمة خيار ، فيقول : السّلام
خيارُ العرب ، والعمل الصّالح خيارُ الإنسان الصّالح وهكذا ... ولكنّ لا صحّة لفتح
الخاء ، فالكلمة سواء كانت للخضار أو للمعنى الذي نستعمله تلفظ (خيار)
بالكسر .. فأما الخيار الخضار فهي غير عربية عند بعضهم وعربية عند بعضهم الآخر ،
وتسمى عندهم القثاء أو شبه القثاء . وأما الخيار في الموضع الذي نتحدّث عنه فهي
تعني الاختيار ، والخيار يكون لطلب خير الأمرين ، إما إمضاء البيع أو فسخه ، وفي
الحديث «البَّيعان بالخيار ما لم يتفرقا» ، وهو ثلاثة أضرب ، خيار المجلس ، وخيار
الشرط ، وخيار النقيصة ، وتستعمل كلمة الخيار تفيد الأفراد والجمع ، تقول : لك
خيرة هذا الغنم وخيارها ، وتقول : أنت من خيرة القوم وخيارهم . ويجوز أن نقول :

أنت من خيار الناس أو أختيارهم أو أختيارهم .

٥٤- الدَّعوة :

الدَّعوى ، الدَّعوة ، نقرأ الكلمتين الدَّعوى (بالياء غير المنقطعة) والدَّعوة (بالحاء) ، ونستعملها وربّما أخطأنا في استعمال واحدة من الكلمتين أو في استعمال واحدة محلّ الأخرى !! ولكن ثمة فرق بين الاستعمالين أو بين اللفظين ، فالدَّعوى (بالياء) اسم لما يدَّعيه الإنسان ، وتصلح أن تكون في معنى الدَّعاء ، فجاز أن تقول : اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين أو دعوى المسلمين . وأما قوله تعالى : ﴿وآخر دعوانهم أن الحمد لله ربّ العالمين﴾ ، فإنه يعني أن دعاء أهل الجنة تنزيه الله وتعظيمه ، وأما الدَّعوة (بالحاء) فهي المرة الواحدة من الدَّعاء ، قال تعالى : ﴿له دعوة الله﴾ . وفي الحديث «سأخبركم بأول أمري : دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى» . وليس بعيداً عن هذا ما يقال لدعوة الطعام ، تقول : هذه دعوة شخصية للغداء أو العشاء ، واللفظ من الفصيح هو الدَّعوة والدَّعوة والمدَّعاة والمدَّعاة ، وهو ما دعوتُ إليه من طعام وشراب ، أي الوليمة . قال تعالى : ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ . ودار السلام هي الجنة ، والسلام هو الله .. وفي الحديث أنه (ﷺ) قال : «إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليُجب . فإن كان مُفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً فليصل» .

٥٥- الدَّلالة والدَّلالة :

نقول : دلالة اللفظ ودلالته بفتح الدال وكسرها ، وتقول : إن هذا دلالة على الاجتهاد أو دلالة بالفتح أيضاً وبالكسر ، أي أن اللفظين صحيحان وهما من الفعل دلّ، تقول : دللتُ بهذا الطريق دلالة عرفته ، ودلت به أدلّ : دلالة ، ثم صار معنى الكلمة — يعني — بالمصطلح — كون اللفظ متى أطلعه فهم معناه للعلم بوضعه ، أما الاستدلال فهو تقرير الدليل لإثبات المدلول ، ويتصل بهذه الكلمة الدلالة وهي معرفة

الدلال ، تقول : هذا دلال للبيوت ، وتقول : هذا رجل بين الدلالة (بالكسر) .
وتقول : أخذ الدلال دلالاً على بيع البيت ، وجاز فيها الفتح الدلالة (بالفتح) وما
يلاحظ أيضاً أن اللفظين صحيحان . ويتصل بهذا أيضاً كلمة الدليل وهو ما يُستدل
به ، أو هو المرشد ، وجمعه أدلة وأدلاء ، نقول : هذا دليل سياحي ، وهذه أدلة وأدلاء
سياحيون ، قال الشاعر :

شدوا المطي على دليل دائب من أهل كاظمة بسيف الأبحر
٥٦- مديرون ومدراء :

نقرأ كثيراً ، ونسمع كثيراً مثل هذه العبارات : وقد حضر الاجتماع المدراء
العامون ، أو : حضر الاجتماع مدراء المدارس والمعاهد والمؤسسات المختصة ، والخطأ
في هذه العبارة وأشباهها أننا نجمع كلمة (مدير) على (مدراء) والصواب مديرون ،
تقول : حضر الاجتماع المديرون العامون ، وحضر الاجتماع مديرو المدارس ، والمعاهد
والمؤسسات المختصة ، وكلمة مديرون هي جمع كلمة مدير ، وكلمة مدير اسم فاعل
من الفاعل أدار ، ومثله إن شئت أنار فهو منير وهم منيرون ، فهل تقول : مُنراء ، ومثله
أهاب فهو مهيب وهم مهيبون ، فهل تقول مهباء ١٩ وكذا أجاد وغيره كثير ...

أما وزن فعلاء الذي التبس علينا فظنناه مثل مدير فهو جمع لوزن فعيل مثل كريم
كرماء ، وعظيم عظماء ، وظريف ظرفاء ، أو هو جمع وزن فاعل مثل : شاعر
وشعراء ، وعامل وعقلاء ، وثمة خطأ يلحق بكلمة (مديرون) إذا كُتبت صحيحة ،
وكانت مضافة ، أي إذا وليها مضاف إليه ، وقد فشا مثل هذا الخطأ كثيراً ، فأثبتوا
الألف بعد واو الجماعة في قولهم : مديروا المعامل ، ومديروا المدارس ، ومديروا
الشركات ، والصواب أن تحذف ألف التفريق بعد واو الجماعة ، ومثله مثل كل جمع
مذكر سالم أضيف ، فتقول مثلاً : فلاحو القرية مجتدون ، ومهندسو الشركة العامة
مخلصون في عملهم ، ورياضو الفرق المحلية أبطال ، ومنفذو الإنتاج .. وهذه الألف

التي قلنا إنها ألف التفريق تثبت بعد واو الجماعة في الفعل لا في الاسم ، فنقول :
الفلاحون حصدوا الزرع ، والرياضيون حققوا نتائج جيدة ، والمهندسون بنوا بناءً
شامخاً ، فتثبتت الألف في حصدوا ، وحققوا ، وبنوا .. وكذلك الحال في قولك :
الفلاحون لم يحصدوا الزرع ، والرياضيون لم يحققوا نتائج ، والمهندسون لم يبنوا ،
وكذلك في فعل الأمر ، احصدوا ، وحققوا ، وانبوا .. وهكذا ولكن الطريف أن هذه
الألف تثبت في معظم الالفاظ ، وفي كل مسلسل فيه كلمة منفذو الإنتاج ، فأنت
تقرأ مهندسو دمشق على بناء بيت المهندس العربي ، وأنت تقرأ رياضيو دمشق في كل
مباراة ، وأنت تقرأ فنانون سورية على بناء نقابة الفنانين ، وقد كتبت كلها خطأ ،
وتقول : لا بأس من استشارة من هو مختص ، ولا نحجل في السؤال إذا كان ثمة من
يصحح أو يتخفف من الخطأ ، والعجب كبير في مسلسل يلفظ بالفصحى ، وتكتب
فيه منفذو خطأ ، ويكتبون على الشاشة المدقق اللغوي (فلان بن فلان) ..

٥٧- ما دام :

ثمة أخطاء شائعة انتشرت أكثر من غيرها ، وهذا لا شكّ عائد إلى كثرة
استعمالها ، ومن هذا استعمال الفعل (ما دام) : وهذا نوع من الأخطاء الذي انتشر
أخيراً انتشاراً واسعاً ، فتسمع أو تقرأ قولهم : ما دامت الأمور على هذه الحال فإنني لم
أقدم على هذا الأمر ، وقولهم : ما دامت إسرائيل تحتلّ أراضينا فلن نقف مكتوفي
الأيدي .. ومثل هذا كثير كثير سواء في الصحف أو المجلات أو المحطات الإذاعية بل
إنّ هذا الخطأ انتقل ليستقرّ على صفحات كتبنا المدرسية والجامعية .. أما الخطأ في
هذه الجمل فواضح وهو أنك تستعمل الفعل (ما دام) وقد ضمته معنى الشرط ، وهذا
غير صحيح ، وإن شئت الصواب فقل : لن أقدم على هذا الأمر ما دامت الأمور على
هذه الحال ، وقل : لن نقف مكتوفي الأيدي ما دامت إسرائيل تحتلّ أراضينا ، والسبب
أن الفعل (ما دام) مؤلف من (ما) المصدرية ، والفعل (دام) وهذه الأداة (ما) تؤول مع

الفعل بمصدر يدلّ على الظرفية الزمانية ، فكأنك تقول : لن أقدم على هذا الأمر مدة دوام الأمر على هذه الحال ، ولن نقف مكتوفي الأيدي مدة دوام احتلال إسرائيل لأرضنا ، وهكذا .. قال تعالى : «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً» أي مدة حياتي.. حتى لا تقع في خطأ آخر .

وهنا لا بدّ من التعليق قليلاً : قلنا إن (ما دام) مؤلف من (ما) المصدرية والفعل (دام) وهذا لا ينطبق على باقي الأفعال الناقصة (ما زال) و(ما برح) و (ما انفك) و(ما فتى) ..

٥٨- الرؤيا والرؤية :

هذان لفظان يكثر استعمالهما ، ولكن لا نكاد نميز بينهما فتستعمل واحداً محلّ الآخر والعكس ، ولكن ثمة فرق بين الرؤيا (بالألف) والرؤية (بالتاء المربوطة) ، فالرؤيا (بالألف) هي ما تراه في منامك ، أو جمعها الرؤى ، وقد استعمل الشعراء الرؤيا في اليقظة ، قال الشاعر :

فكَبَّرَ للرُّؤْيَا وهَشَّ فؤَادَهُ وبَشَّرَ نفساً كان قبلاً يلومها

أما الرؤية (بالتاء) فهي ما تراه بالعين والقلب ، فالفعل منها (رأى) وهذا الفعل يأتي على وجهين رأى القلبية ، ورأى البصرية ، أما رأى القلبية فهي التي تأخذ مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ، تقول : رأيتُ العلمَ مفيداً ، فالرؤية هنا ليست بالعين بل بالقلب ، لأنّ العلم لا يُرى بالعين ، وأمّا رأى البصرية فهي التي تكتفي بمفعول واحد ، تقول : رأيت السيارة مسرعة ، فالرؤية بصرية لأنّ السيارة تُرى بالعين .

٥٩- الراتب :

لفظ الراتب مما نستعمله كثيراً ، وأحياناً نستعمل لفظ المرتب ونقصد فيه الأجر الشهري ، فأَي اللفظين صحيح ؟ نقول : إن اللفظين صحيحان والسبب أن الراتب يعني الثابت الدائم ، فكأنه يعني الأجر الراتب ، الذي يكون واحداً في كل شهر ، وأن

المرتّب هو المثبت ، وهو يعني الثابت الدائم أيضاً ، والأجر الشهري أجر مرتّب ، فهما كما نلاحظ صحيحان واللفظ (الراتب) ليس بجديد ، أي ليس من الألفاظ المولدة أو الألفاظ المستحدثة ، بل هو لفظ قديم ، فالعيش الراتب هو الثابت الدائم ، هذا وغيره ورد في المعاجم القديمة ، وقال الخوارزمي : «النفقات الراتبية أي التي لا بد منها .. ثم حددت المعاجم الحديثة معنى الكلمة فقالت : يُطلق الراتب على ما يتقاضاه العامل أو الموظف من أجر على عمله ، وقالت أي المعاجم : الراتب صفة غالبية لأجرة العامل المطردة المرتبة على أو السنة أو الأسبوع . فمن يقرأ معاني الكلمة في معاجمنا يجدها عربية فصيحة لا مولدة كما ذكر بعضهم .

٦٠- على الرَّحْب والسَّعة :

تقول هذا التعبير نرَّحِب به بمن يزورنا ، أو من يطلب أن يزورنا ، لكن الخطأ الذي نقع فيه ، هو لفظ (السعة) ، فكثيراً ما نسمعه بكسر السين ، وحقه الفتح (السَّعة) لكنّ بعضهم قرأ بكسر السين قوله تعالى : «وَلَمْ يَأْتِ سِعةً» ، وهي من وَسِعَ والثناء في آخر الكلمة عوض عن الواو ، مثل (زينة) من وزن ، و(عدة) من وعد ، ويقال : «وَسِعَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ» . وجاء الفعل بمعنى اتسع في قوله تعالى في آية الكرسي : «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» ، واستعمل الفعل مجازاً في الحديث : «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بِسَطِّ وَجْهِ وَحُسْنِ خُلُقٍ» .

٦١- تُرْسِمُ فلان خطا فلان :

ورد في قرارات مجمع اللغة العربية «يشيع في اللغة المعاصرة قول الكتاب : ترسم فلان خطا فلان» بمعنى تتبعها واقتفائها ، وسار عليها . ويرد على هذا الاستعمال أنه ليس وارداً بهذا المعنى في المعجمات ، وإنما الموجود فيها نرسم الرسم : نظر إليه ، وترسّمت المنزل : تأملت رسمه وتفرسته . وفيها أيضاً : رسمت له كذا فارتسمه إذا

امثله ، وأنا أرتسم مراسمك : لا أخطأها .

ولما كان الترسيم والتأمل كثيراً ما يؤدي إلى المتابعة والمحاكاة ، فإن اللجنة تقر استعمال هذا التعبير محل النظر على أساس الجواز المرسل بإطلاق السبب على المسبب .. وإن جملة : ترسم خطاه تعني فتح نمجه ، وعرض الأمر على التصويت فأقر بالإجماع .

٦٢- الرضا :

من العبارات اللطيفة الجميلة المعبرة التي نرددها في كل وقت قولهم : يا رضا الله ورضا الوالدين ، وهذه العبارة نقرأها كثيراً في أماكن كثيرة ، وترى كلمة (رضا) قد كتبت مرة بالألف الممدودة (رضا) ، ومرة بالمقصورة (رضى) ، ومرة ثالثة بالهمز (رضاء) فأيهما الصواب ؟ نقول : الكلمات الثلاث صحيحة ، أما (الرضا) بالألف الممدودة فهي مصدر ، ومثله الرضوان بضم الراء وكسرها ، تقول : فعلت هذا ابتغاء رضوان الله ، أو رضاه ، أو مرضاته ، وقيل : إن الوجه الأقوى أن تكتب بهذا الشكل أَرْضَا من الرضوان وأما (الرضى) بالألف المقصورة فهي من الفعل رضى ، وقيل هذا الأصل ، تقول : رضيت عن فلان ، وتسمع الدعاء التالي : الله يرضى عليك يا ابني . وقال الشاعر :

إذا رضيت عليّ بنو قشير
لعمرك الله أعجبني رضاها
ونقول : إن الفعل رضى يتعدى إلى المعنى بحرف الجرّ (عن) ولكن (على) في البيت بمعنى (عن) ، وأما (الرضاء) بالهمز فقد استعملها بعضهم ، وليست بخطأ .

٦٣- رغب في :

تسمع أيضاً الفعل رغب متعدياً إلى معناه بحرف الجرّ (في) ، ومرة ثانية بالحرف (إلى) فأيهما الصواب ؟ نقول : إن الفعل رغب يتعدى بالحرفين ، ويتعدى بالحرف (عن) ، تقول : رغب فيه ، ورغب عنه ، ورغب إليه ، جاء في الحديث أن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) : «أتيتني أُمِّي رَاغِبَةٌ فِي الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَبَيْنَ

قريش وهي كافرة فسألتني ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أصلها ؟ قال : نعم ، ويقال : أرغبه فيه ، ورغب إليه ، ورغبة إليه ، قال الشاعر :

إذا مالت الدنيا على المرء رغبته إليه ومال الناس حيث يميل

٦٤- على الرَّغْم :

من الكلمات الكثيرة التي يقف عندها الطالب ، أو الكاتب ، ويحارُّ في كتابتها كلمة «الرَّغْم» فيحارُّ من وجهين ، الأول يسأل : كيف أستعمل هذه الكلمة ، أي مع حرف جرٍّ ، هل أقول «على الرَّغْم» أو أقول : «بالرَّغْم» ، أم أنفي أستعمل «رغم» بلا حرف الجرِّ ، علماً بأنني أقرأ الوجوه الثلاثة وأسمعها ثلاثة . أما الوجه الثاني الذي يحار فيه هو كيف ألفظ الراء في كلمة «الرَّغْم» بالفتح ، أو بالضَّم ، علماً بأنني أسمعها بالحركتين ١٩ ونحيب فنقول : جاء في لسان العرب ، وتقول : فعلتُ ذلك على الرَّغْم من أنفه ، أي أن الفعل يتعدى بحرف الجر «على» لا بالباء .. هذه واحدة ، ويجوز لك أن تقول : فعلتُ هذا رغمَّ أنفه بلا حرف الجرِّ ، وهذه ثانية ، فالوجهان صحيحان ، وتعدية الفعل بالباء «بالرَّغْم» غير صحيحة . هذا من ناحية تعدية الفعل إلى المعنى ، أما من حيث ضبط الراء فنقرأ : الرَّغْم والرَّغْم والرَّغْم ، أي بالفتح والضَّم والكسر ، يعني الكره والمَرَّغمة ، قال النبي (ﷺ) : «بُعِثْتُ مَرَّغمةً» ، أي بُعِثْتُ هواناً وذلك للمشركين ، ثم فرَّق بعضهم بين الحركات الثلاث ، فقالوا : الرَّغْم (بالكسر) الذَّلَّة ، والرَّغْم (بالفتح) التراب ، والرَّغْم (بالفتح أيضاً) الذَّلُّ والقَسْرُ .

أما الفعل من هذه الكلمة فهو (رَغِمَ) و(رَغِمَ) ، جاء في الحديث : «وإن رَغِمَ أنفه» (بفتح الغين) ، أي ذلَّ ، وجاء في الحديث أيضاً : رَغِمَ (بكسر الغين) أنفي لأمر الله ، أي ذلَّ وانقاد ، ورغِمَ أنفي رغماً ذلَّ عن كره وأرغمه الذَّلُّ ، جاء في الحديث : «إذا صلى أحدكم فليُلزِمِ جبهته ، وأنفه الأرضَ حتَّى يخرجَ منه الرَّغْمُ» ، أي يخضع ويذلُّ ، ويخرج منه كِبَرُ الشَّيْطَانِ ، وقد جاء الفعل مضعفاً أيضاً ، تقول : أرغمه ،

وأرغم الله أنفه ورغمه ألزقه بالتراب ويُلاحظ من الكلام السابق أن هذه الكلمة تُستعمل في الإكراه ، فنقول : رغباً عن أنفه ، ورغباً عنك ، وكله من الأساليب الصحيحة ، واستعمل في هذا لأن المرغم (بفتح الغين وكسرهما) يعني الأنف ، قال الفرزدق :

تبكي المرَاغة بالرَّغامِ على ابنها والناهقاتُ يُلَهَّجْنَ بالإعوال
٦٥- هذا شيء مروع :

يشيع في اللغة المعاصرة استعمال وقع حادث مريع ، وهذا شيء مريع ، والصواب أن يقال فيه : وقع حادث مروع ، وهذا شيء مروع ، لأنه من راعه يروعه رَوْعاً بالفتح ، أي أخافه وأفزع . ويُقال : وقع ذلك في روعي بالضم ، أي في نفسي وتخلدي وبالي . والرُّوع ، بالضم : القلب والعقل .

٦٦- الزوج والزوجة :

جمع عدد من اللغويين القدماء بين الزوج والزوجة ، وفرق كثير من المحدثين ، فقالوا الزوج هو للمذكر والمؤنث ، مستشهدين بقوله تعالى : «اسكن أنت وزوجك الجنة» (البقرة ٣٥) ، وقوله : «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج» (النساء ٢٠) ، ولكن وردت الزوجة في شعر الشعراء الذين يُحتجُّ بشعرهم ، وميّز العلماء بين المذكر والمؤنث (الزوج) و(الزوجة) ، وهذا لا يعني أنه لا يجوز إطلاق الزوج للمذكر والمؤنث ، قال الفرزدق :

وإن الذي يسعى يحرش زوجتي كساع إلى أسنائه السرى
والزوج من قرن الواحد إلى الآخر ، يقال : زوج الشيء بالشيء إذا قرّنه ، قال تعالى في سورة الدخان (٥٤) : «وزوجناهم بحور عين ، أي قرناهم» ، وقال الشاعر :
ولا يلبث الفتيان أن يتفرقوا إذا لم يُزوج رُوح شكلٍ إلى شكلٍ

٦٧- زاد على كذا :

نستعمل الفعل زاد كثيراً فنقول : زاد الأمر على حذّه ، وزاد هذا العدد على المئة ، ولكننا نستعمل هذا الفعل أو نسمعه أو نقرؤه متعدّياً بحرف الجر (عن) فنقول أو نسمع أو نقرأ : «زاد الأمر عن حذّه» أو «زاد هذا العدد عن المئة» وهذا خطأ ، فالفعل زاد يتعدى بحرف الجر (على) أو (عن) وهذا خطأ شائع زاد كثيراً . ونقول أيضاً : زاد عدد الضحايا على مئة وعشرين ، وزاد عدد السيّاح على خمسة آلاف سائح في اليوم ، وهكذا ... قال تعالى في سورة المزمل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ قُمْ لِلَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نَصِفْهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ، أما جذر الفعل فهو الزيد بفتح الزاي وكسر ها ، ويجوز بتحريك الياء الزيد ، وهو بمعنى الزيادة ، وجاء عن العرب هم زيدٌ على المئة وزيدٌ بالفتح والكسر ، وقد روي اللفظان في قول ذي الإصبع العدواني :

وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مِئَةٍ فَأَجْعُوا أَمْرَكُمْ طَرًّا فَكِيدُونِي
ومعنى كلمة «طراً» جميعاً أو كافّةً . والفعل زاد مما يأتي لازماً يكتفي بفاعله ، أو يأتي متعدّياً أي يأخذ مفعولاً ، وجاء متعدّياً إلى مفعولين ، فمن اللازم قولك : زاد الأمر سوءاً ، ومثله أو بمعناه الفعل ازداد ، فتقول أيضاً : ازداد الأمر سوءاً ، قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ اِزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ ، ومن المتعدّي إلى مفعول واحد قولك : زاد الرّجل سرعة سيّارته ، أو زاد الطالب ساعات درسه .. ومن المتعدّي إلى مفعولين قولك : زادك الله خيراً ، فالكاف هي المفعول الأول وخيراً هو المفعول الثاني ، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (١٠) : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ وكذلك يستعمل الفعل زيد بالتضعيف بمعنى زاد المتعدّي إلى مفعولين ، ومصدره «التزيد» ومثله أيضاً الفعل تزايد ، ومصدره «تزايداً» ، والتزيد والتزايد بمعنى

واحد ، نقول : التزيد في السعر أي الغلاء ، والتزيد في الحديث أي الكذب ، والتزيد
— عامة — تكلف ازيادة في الكلام والفعل ، قال الشاعر :

إذا أنتَ فاكهتَ الرجالَ فلا تكسِفْ وقُلْ مثل ما قالوا ولا تزِيدْ

٦٨- السكرتاريا :

من الكلمات الأجنبية كلمة السكرتاريا ، فما زلنا نرى في استعمال هذا اللفظ
وغيره حضارة أو تطوراً ، فها هم يكتبون ويلفظون سكرتير التحرير ، وسكرتاريا
القسم ، وسكرتاريا العميد ، وسكرتير المدير العام ... وهكذا إلى آخر العبارات
واللوحات واللافتات التي لا تكاد تخلو من جدران أي دائرة حكومية ، أو غير
حكومية ، والتي تصدر مجلاتنا في الصفحة الأولى ، ونقول : إن مرادف هذه الكلمة
جميل بليغ ، بل هو أجمل وأبلغ فنقول : للسكرتير أمين السر ، ولسكرتير التحرير أمين
التحرير ، ما أجمل كلمة (أمين) ، وهي عظيمة إذا أضيفت إلى كلمة السر ، والأعظم
من هذا وذاك استعمالها لغة وعملاً .. ولا يقول قائلٌ إذاً فلنغير اسم معهد السكرتاريا،
فهل هذا يجوز ؟ ونجيب أيضاً ، ولم لا ، وما المانع من تغيير اسمه إلى اسم مرادف
بالعربية هو من البلاغة ما هو ، أليس صحيحاً أن نسميه معهد إدارة الأعمال ، أليس
هذا الاسم هو الاسم المعتمد في جميع البلاد العربية ، بما فيها الدول التي يغلب فيها
اللفظ الأجنبي على اللفظ العربي ، نتمنى أن نبداً ..

٦٩- السفرة :

تقول جلست في غرفة السفرة ، وتقول : تناول الطعام على السفرة ، وتسمع
قولهم : إن هذه المرأة تصنع سفرة طيبة أو لذينة وغير هذه العبارات ، وكما تلاحظ
فإن الكلمة أطلقت مرة على الغرفة ، ومرة أخرى على الطاولة ومرة ثالثة على الطعام،

ويظن عدد منا أن هذا اللفظ من لفظ العامة ، ونقول : بل هو من الفصحح الصحيح ، جاء في حديث زيد بن حارثة «قال : ذبحنا شاة ، فجعلناها سُفْرَتَنَا» ، وكانت الكلمة تُطلق على الطعام الذي يتخذه المسافر ، وأكثر ما يُحمل في جلد مستدير ، ثم نُقل اسم الطعام إلى الجلد وصار يستعمل مجازياً ، وبعد ذلك تطوّر معناه وصار يعني المائدة التي يوضع عليها الطعام ، وأطلق بجمع اللغة العربية لفظ السُفرة على كل ما يوضع عليه الطعام .

٧٠- السَّادَج :

الكلمة بفتح الذال وكسرهما ، السَّادَج والسَّادِج ، فنقول : هذا أمر سادِج ، وهذا العمل سادِج ، ونظنُّ أن أحد اللفظين صحيح وأن الثاني خطأ ، ونقول : بل اللفظان صحيحان بفتح الذال وكسرهما ، والكلمة في الأصل غير عربية ، بل معرّبة ، وتعني البساطة ، ويستعملها أهل اللغة فيما ليس ببرهان قاطع ، وكذا تستعمل في الأدوات الحسيّة أيضاً ، جاء في الحديث : «أنه صلى الله عليه وسلّم توضأ ومسح على خُفَّيْنِ أسودين سادجين» ، أي لم يخالطه سوادهما لون آخر ، ومن المعاني الأخرى التي تُستعمل فيها الكلمة : الذي لا نقش فيه ، أو لا شعر عليه ، وقيل : بل تستعمل فقط للدلالة على لون واحد لا يخالط غيره . وليس بعيداً عن هذا أن تكون كلمة سادة التي نستعملها هي بهذا المعنى ، فنقول : قهوة سادة ، وشوكولا سادة ، وغير ذلك لأن كلمة سادة وسادج بالذال هي التي على لون واحد لم يخالطه غيره ، وما يُرجّح هذا الكلام أن اللفظ غير عربي .

٧١- السَّبِيل :

تقول : سِرْتُ في هذا السبيل ، وسِرْتُ في هذه السَّبِيل ، أي الطريق ، والسبيل مما يَمُوز فيه التذكير والتأنيث ، والتأنيث أكثر ، والشاهد على التذكير قوله تعالى في سورة

الأعراف (١٤٦) : «وإن يَسْرِوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» ، وشاهد التانيث قوله تعالى في سورة يوسف (١٠٨) : «وَقُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو اللَّهَ عَلَى بَصِيرَةٍ» .

ومما يستعمل فيه اللفظ قولنا : سار الأبطال في سبيل الجهاد ، وهذا من الصواب أيضاً ، قال تعالى في سورة البقرة (١٩٥) : «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ، أي في الجهاد وكل ما أمر الله به فهو من سبيل الله ... ويتصل بهذا اللفظ قولهم : فلان ابن سبيل ، يعنون به شيئاً سيئاً ، أي كأنه من قطاع الطرق ، أو من المسيئين للآخرين في طرقهم .. ولكن هذا غير صحيح فابن السبيل هو المسافر الكثير السفر ، وسمي بهذا للازمته السبيل .. وقيل هو المسافر البعيد عن منزله ، وقيل : هو الذي قطع الطريق عليه ، ويريد الرجوع إلى بلده لكنه لا يجد من يتبلغ به ، وقيل أيضاً : هو الذي يريد بلداً غير بلده لأمر يلزمه ، أو الضيف المنقطع به يُعطى قدر ما يتبلغ به إلى وطنه .. قال الشاعر :

على أكدارهن بسو سبيل
قليل نومهم إلا غرارا

٧٢- شروط سابقة أو مسبقة :

يكثر استعمال كلمة (مسبقة) ولا سيما فيما يتصل بالأخبار السياسية ، فيقولون ، اتفسق الفريقان على بدء المحادثات بلا شروط مسبقة ، ويقولون : على قوات الاحتلال الانسحاب بلا شروط مسبقة ، وتراهم يلفظون كلمة (مسبقة) بتشديد الباء ، وهذا غير صحيح ، لأن (مُسَبِّقَة) اسم مفعول من الفعل (سَبَّقَ) ، ومعنى الفعل (سَبَّقَ) غير ما نستعمل ، تقول : سَبَّقَتِ الشَّاةُ تَسْبِيقًا إِذَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا لِغَيْرِ نَمَامٍ ، وتقول : سَبَّقَ فلان إذا أخذ السَّبْقَ ، والسَّبْقُ يكون في الخيل والإبل والرَّمْيِ ، أي ما يُستعمل في الجهاد وفي النضال .. وسَبَّقَ أعطى أو أخذ ويكون من الأضداد ، وهو المال ، ويُلاحظ أننا صرنا نستعمل هذا الفعل كثيراً ونقول : سَبَّقَ فلان على فلان إذا سبقه إلى الكلام أو الفعل .

والمُسَبِّقُ هو من يَسْبِقُ من الخيل ، قال الفرزدق :

من المحرزين اَجْدَ يومَ رِهالِهِ سَبوقاً إلى الغابات غيرَ مُسَبِّقٍ

فما يلاحظ أن كلمة (مُسَبِّقَة) لا تصحّ فيما قلناه ، والصواب أن نقول : شروط سابقة ، لأن الكلمة (سابقة) من الفعل (سَبَقَ) وهو من المعروف ، تقول: سبق فلان فلاناً، إذا تقدّمه ، وسَبَقَ الفرس في الحلبة إذا جَلَّى وتقدم ، جاء في حديث علي (عليه السلام) : «سبق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وصلى أبو بكر ، وثلاث عمر (عليه السلام) وخبطتنا فما شاء الله» ، قال تعالى في سورة النازعات : «فالسابقات سَبَقاً» ، أي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلا الأنبياء ، وقيل تسبق الجن باستماع الوحي ، وقيل الخيل ، وقيل : أرواح المؤمنين تخرج بسهولة ، وقيل النجوم .

ويجوز أن تكون كلمة (سابقة) اسم مفعول من الفعل سبق على غير القاعدة، ومثله قوله تعالى في سورة القارعة : «فهو في عيشة راضية» أي أن راضية على وزن فاعل ، ولكن بمعنى (مُرضية) ، ومثله أيضاً : سرت في طريق سالكة ، أو طريق ساك فسالك أو سالكة اسم فاعل بمعنى المفعول ، أي طريق مسلوكة ، أو مسلوك فيه .
أما مبالغة اسم الفاعل من (سابق) فهو (سَبَّاق) تقول : هو سَبَّاق للغايات ، أي يجوز قصبات السَّبِّق ، قال الشماخ مادحاً :

في بيت مائرة عزاً ومكرمة سَبَّاق غايات مجدٍ وابسنُ سَبَّاق

أما إذا كان مُسَبِّقَة فهو من الفعل (أَسْبَقَ) وهذا صحيح على القاعدة ، فهو اسم مفعول من الفعل أسبق ، تقول : أسبق القوم إلى الأمر أي بادروا ، وأسبق الرأي اتخذه مصمماً عليه قبل المنافسة ، فالرأي مُسَبِّق لا مُسَبِّق .

٧٣- مُسَيِّلٌ أو مُسَيِّلٌ للدموع :

تسمع كثيراً : وقد قامت سلطات الاحتلال بإطلاق القنابل المسيلة أو المسيلة للدموع — وإن كان المختلون لا يستعملون هذا بل الأسوأ والأشدّ والأكثر إيلاماً منها

وعنصرية — وتسمع : وقد قام رجال الشرطة بتفريق المتظاهرين بإلقاء القنابل المسيلة أو المسيلة للدموع ، وما أكثر ما نستعملها في هذه الأيام ، وفي الأيام التي يكون حوادث شغب ، ونسمع الكلمة المسيلة أو المسيلة ، ومثل كل كلمتين تسمعان بلفظين نحار في اللفظ ، فمرة نرجح واحداً ، ومرة نحوز الوجهين ، ومرة نجتهد ونجتهد فنبتعد عن الصواب الصحيح ، والمعجم أماننا والقاعدة واضحة ، نقول : إن الفعل من هاتين الكلمتين هو (سأل) ومعناه واضح ، نقول : سأل الماء إذا جرى ، وتقول : سأل الدمع إذا سقط وجرى على الخدين ، وإذا أردت اسم الفاعل من هذا الفعل قلت : سائل ، تقول : هذا ماء سائل ، وهذا دمع سائل . أما الفعل انسال فيستعمل لمن قام بإسالة الشيء ، تقول : أسلت المياه ، وأسلت دمعى إذا أجزته ، قال تعالى في سورة سبأ : «وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ» ، أي أجزيناه ، والإسالة في الحقيقة هي حالة في القطر تحصل بعد الإذابة ، وإذا أردت من هذا الفعل اسم الفاعل قلت : «مُسِيلٌ» ، مثل : أقام مُقيم ، وأقال مُقيل ، فاستعمال (مُسِيل) صحيح فصيح ، فهو اسم فاعل من الفعل أسال ، وقاعدته واضحة . وأما الفعل سِيل فهو صحيح لأنه مضعَّف للفعل (سال) فهو مثل الفعل (أسال) أيضاً ، ونعلم أن القاعدة تقول : الفعل اللازم يصبح متعدياً إذا ضُعِّف مثل : نام ونوم ، وعاد وعود ، تقول : وإذا كان الفعل (سال) لازماً فإن الفعل سِيل صار متعدياً بالتضعيف ، تقول : سِيل فلان الماء إذا أساه ، وسِيل دمه إذا أجزاه ، وإذا أردت اسم الفاعل من الفعل فهو (مُسِيل) فهو كما تلاحظ صحيح فصيح ، تقول : مُسِيل للدموع ومُسِيل للدموع .

ويتصل بهذا كلمة (السييل) ، وهو الماء الكثير السائل ، قال تعالى في سورة الرعد (١٧) : «فَاحْتَمِلْ السَّيْلَ زَبْداً رابياً» ، وقال في سورة سبأ (١٦) : «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْقَرَمِ» ، وقالت العرب : «بلغ السيل الزبي» ، والزبي جمع (زبية) وهي الحفرة العالية التي لا يصلها الماء ، ويُضرب المثل عند تجاوز الحد وتفاقم الأمور .

كتب عثمان إلى عليّ (عليه السلام) لما حُوصِر : «أما بعد : فقد بلغ السَّيلُ الزُّبى
وجاوزَ الحِزامَ الطُّبَيَّينَ ، فإذا أتاك كتابي هذا فأقبل إليّ ، عليّ كُنْتُ أم لي» .

٧٤- سوف لن :

تسمع قولهم : سوف لن أعمل هذا العمل ، وقولهم : سوف لن نحقق نتائج
رياضية جيدة بهذا الفريق ، وتسمع : سوف لن أتقدّم للامتحان .. ومثل هذا كثير ،
ولكن هذه الجمل وأشباهها خاطئة والسبب أن السين وسوف ولن من الحروف التي
تدخل على الفعل المضارع فتحمله بدل على المستقبل ، وتقول : سأعملُ ، وسوف
أعملُ ، ولن أعملُ ، وتختصّ — كما قلنا — بالدخول على المضارع ، ولكن لا يجوز
أن يستعمل حرفان منها في جملة واحدة ، فلا يجوز أن يتوالى حرفا جرّ ، أو حرفا
شرط ، أو حرفا نصب ، فلا تقول مثلاً : لم لا تعملُ ، ولا يجوز أن تقول : لن كي
أقرأ ، ولا يجوز قرأت في الكتاب ١٢ ، والصواب أن تستعمل السين أو سوف إذا لم
تُردّ التّفي ، وإذا أردت النفي استعملت (لن) ، والأثر واضح ، هل تستطيع أن تدخل
السين على (لن) وتلفظ ، فالسين وسوف بمعنى واحد ١١ والحكمُ فيهما واحد .

٧٥- استند إلى :

تقرأ كثيراً : وقد استندت الدولة في قراراتها على كذا وكذا ، وتقرأ : وقد استند
الطالب في إجابته على المقرر المطلوب ، وتسمع : وقد استندت اللجنة في اتخاذ قرارها
على قرارات الأمم المتحدة .. والخطأ في هذه الجمل وأشباهها تعدية الفعل (استند) إلى
المعنى بحرف الجر (على) ، والصواب أن يتعدّى بحرف الجر (إلى) فتقول : استندت
الدولة إلى كذا وكذا ، واستند الطالب إلى المقرر ، واستندت اللجنة إلى قرارات الأمم
المتحدة ، وهكذا ...

وهو من الفعل سَنَدَ يسُنِدُ سُنُوداً ، وتُسَائِدُ وأسَنَدَ بمعنى استند ، ومن الجاز
حديث مُسَنَدٌ إذا ما أسند إلى قائله أي أثصل إسناده حتى أسند إلى الرسول (ﷺ)

وتلاحظ فيما قلناه أخيراً أننا لا نستطيع أن نعدي الفعل بحرف الجرّ (على) فلا نقول حتى أسند على قائله ، أو أسند على الرسول .

٧٦- شَوَّشْتُ الأمر :

جاء في درّة الغواص : «ويقولون : شَوَّشْتُ الأمرَ وهو مُشَوَّشٌ ، والصواب أن يقال فيه : هَوَّشْتُهُ وهو مُهَوَّشٌ ، لأنه من الهَوَّش ، وهو اختلاط الشيء» .
وجاء في اللسان : «وأما التشويشُ ، فقال أبو منصور : إنه لا أصل له في العربية ، وإنه من كلام المولدين ، وأصله التّهويش وهو التخليط» .
وجاء أيضاً : «وقول العامة شَوَّشَ الناسَ إنما صوابه هَوَّشَ وشَوَّشَ خطأ» .

٧٧- صَحَفِيّ :

جاء في درّة الغواص : «ويقولون لمن يقتبس من الصحف : صَحَفِيّ ، مقايسة على قولهم في النسب إلى الأنصار : أنصاريّ ، وإلى الأعراب أعراييّ ، والصواب عند النحويين البصريين أن يُوقَعَ النسب إلى واحدة الصحف ، وهي صحيفه ، فيقال : صَحَفِيّ ، كما يقال في النسب إلى حنيفة : حَنَفِيّ ، لأنهم لا يَرَوْنَ النسب إلا إلى واحد المجموع ، كما يُقال في النسب إلى الفرائض : قَرَضِيّ .. اللهم إلا أن يُجعل الجمع اسماً علماً للمنسوب إليه ، فيُوقَعَ النسب حينئذ إلى صيغته ، كقولهم في النسب إلى قبيلة هوزان : هوازنيّ ، وإلى حيّ كلاب : كلابيّ وإلى مدينة الأنبار : أنباريّ ، وإلى بلدة المدائن : مدائنيّ .

وأما قولهم في النسب إلى الأعراب : أعراييّ فإنهم فعلوا ذلك لإزالة اللبس ونفي الشبهة ، إذ لو قالوا فيه عربي لاشتبه بالمنسوب إلى العرب ، وبين المنسوبين فرق ظاهر لأن العربيّ هو المنسوب إلى العرب ، وإن تكلم بلغة العجم . والأعراييّ هو النازل بالبادية ، وإن كان عجمي النسب» .

وبخلاصة المسألة هو أن جمع التكسير إذا كان له مفرد من لفظه مكسر عليه

قياساً ، فإنه يرد إلى مفردة في النسب ، فتقول في النسب إلى صُحف ، وأقلام ،
وجبال : صُحفِيّ ، قَلَمِيّ ، جَبَلِيّ .

ونلاحظ أنه قد شاع في اللغة المعاصرة استعمال نحو : صُحفِيّ ، وخياط رجال
ونسائيّ ، وأدب نسائيّ ، واتحادات طلابية وعمالية ...

وأرى أنه نستطيع أن نقبل مثل هذه الكلمات المنسوبة استناداً إلى ما يلي :

١- إن القدماء قد أجازوا النسب إلى الجمع على لفظه ، وذلك بتشذير المنسوب إليه
منزلة العلم في اختصاصه بجماعة ، فقالوا : أنماري وكلاي .

٢- جاء في معجم الهوامع للسيوطي «أجاز قوم أن ينسب إلى الجمع على لفظه مطلقاً
أي سواء كان له واحد قياسي من لفظه أو لا ، وخرج عليه قول الناس :
فرائضي ، وكتبي ، وقلانسي» .

٧٨- تصحيح وتصليح :

يُميّز كثيرون بين كلمتي «تصحيح» و«تصليح» ويقولون :

إن التصحيح للغة والأوراق الامتحانية ، أما التصليح فيكون للأدوات والآلات
كتصليح الراديو ، والتلفزيون ، وغيرهما ..

ولكن هل يمكن استعمال التصليح للغة والأوراق الامتحانية ؟ لنقرأ : الصُّحُّ
والصُّحَّة والصُّحَّاح ذهاب المرض ، والبراءة من كلِّ عيب واستصحَّ فلانٌ من علته إذا
برئ ، قال الأعشى :

أَمْ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ فَلَيْنَ
نَفِضَ الْأَسْقَامَ عَنْهُ وَاسْتَصَحَّ
والفعل صَحَّ متعدّ ، تقول : صَحَّ الشيء إذا جعله صحيحاً ، ومثله صَحَّح ،
تقول : صَحَّحْتُ الكتاب والحساب تصحيحاً ، إذا كان سقيماً فأصلحت خطأه وهذا
ما نستعمله بكثرة ، وهو — كما نلاحظ — صحيحٌ فصيحٌ .

أمَّا الصِّلَاحُ فهو ضدُّ الفساد ، تقول : هذا عملٌ صالحٌ وصليحٌ ، وتقول : هذا

الرجل مُصلِحٌ في أموره وأعماله ، وتقول :

أصلحه الله ، وأصلحك الله ، وهو من العبارات الصحيحة الفصيحة ، ولكن يبدو أنه لا فرق واضحاً بين الكلمتين ، فقد استعمل الإصلاح للنفس والفساد أيها كان ، والخطأ في اللغة هو من الفساد أيضاً ، وقد جاء عند القدماء صَلُحتُ حالُ فلان ، وجاء أيضاً : هو على حال صالحة والـحالُ ليستُ أمراً مادياً بل معنوياً وما يؤيد هذا أن لابن السكيت كتاباً سماه «إصلاح المنطق» . وهذا الكتاب لصحيح وتصويب للغة ، وهو من أوائل الكتب التي كتبت في تصحيح اللغة وإصلاحها ...

٧٩- الصّالة والقاعة :

انتشرت هاتان الكلمتان انتشاراً واسعاً ، فنقرأ هنا وهناك : صالات الجلاء للأفراح ، وصالة الفيحاء للأفراح ، وصالات فندق كذا ترحب بكم ، ومنذ فترة ليست بالبعيدة صرت تقرأ لافتة على محلات الحلابة : صالة فلان وصالة فلان للحلابة والتجميل بعد أن عُدلت وكانت صالون ، فكنت تقرأ صالون أمل للحلابة ، وصالون عبد للحلابة الرجالية ، فظنّ الكثيرون أن المعنيين بالتعريف — وفي مقدمتهم المؤسسة العربية للإعلان — قد انتبهوا إلى الأمر واستدركوا الخطأ ، فصححوا كلمة صالون ووضعوا بدلاً عنها كلمة صالة ، ثم صار الواحد منا مع مرور الأيام يقرأ : صالات الجلاء للأفراح ، بخطّ ذهبي عريض ، وصالة العدوي للأفراح ، وغيرها الكثير الكثير الذي انتشر في معظم شوارعنا ، وفي معظم مدننا ، كما صار الواحد مع مرور الأيام يظنّ أنهم ميزوا بين القاعات والصالات ، فيقرأ : قاعة المتني ، وصالة المتني ، وقاعة أمية ، وصالة أمية ، كأنهم يقولون لنا : إن كلمة صالة للأفراح ، أما كلمة قاعة فهي للاجتماعات الرسمية وغير الرسمية ، فنادرًا ما تسمع : هذه صالة الاجتماعات ، بل قاعة الاجتماعات ، ونادرًا ما تسمع : قاعة الأفراح ، بل صالة الأفراح .

وتقول : لا صحّة البتة لكلمة صالة ، وإنما هي صالون ، فوقعنا

في الخطأ مرة أخرى ، فهل نستطيع الآن أن نخلع تلك اللافئات من أماكنها العامة والخاصة ١٩

ما دام عندنا مرادف بالعربية وهو القاعة ، أظن لا .

٨٠- التَّضَامِن :

ليس في الجذر (ضَمِنَ) كلمة بمعنى التضامن التي نقصدُ بها القوة بعد اجتماع بعضنا إلى بعض ، كقولنا : إننا نفتقد إلى التضامن العربي ، وقولنا : نفتقد إلى التضامن القوي ، وقولنا : إن التضامن العربي يجعلنا نقف في وجه العدو ...

لكن كلمة (التَّضَامِن) تجدها في الجذر (ضمم) والضمُّ هو ضمُّك الشيء إلى الشيء، والفعل منه ضمٌّ ، تقول : ضمُّهُ إليه يضمُّهُ ضمّاً فانضمَّ وتضامَّ ...
ومنه الفعل تضامٌّ ، وتضامُّ القوم إذا انضمَّ بعضهم إلى بعض ، وتضامُّ هذا هو بمعنى تَضَامُن الذي نستعمله أو أنَّ هذا هو أصلُ تضامُّم ، فأبدلتِ الميم نوناً فصارت (تضامُن) ، وأمَّا الجذر (ضمن) فإنه يختلف كلَّ الاختلاف عن ضمم ، ومنه الضامن الكفيل ، ومنه ضمَّن الشيء أودعَه ، ومنه قولك : تضمَّن الكتاب أبحاثاً كثيرة ، إذا اشتمل عليها .

٨١- على ضوء وفي ضوء :

ما يلاحظ أن استعمال على ضوء كان كثيراً جداً في الكتابة ، بل لم نكن نسمع إلا على ضوء حتى فترة ليست بالطويلة فاستبدل بها (في ضوء) .

يُقال : سأقرِّر الأمر على ضوء أو (في ضوء الأحداث) بل إن بعضهم صحَّح وقال : في ضوء ، هو الصَّوَاب ، و: على ضوء خطأ ، فأيهما الصواب ؟ .

الاثنان صحيحان ، فتعدية الأفعال بالحروف كثير ، ومن استعمل هذا الفرزدق في قصيدته المشهورة عند وصف الذئب :

فبِتْ أَقْلُ الذَّادِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ

ويُتصل بهذا ما نسميه على ضوء وعلى ضوء ، بفتح الضاد وضمها ، وهذا مما يسمع ولا يظهر الخطأ إن كان هناك من خطأ إلا في خلال اللفظ . والمعروف أن الجميع يلفظ بفتح الضاد ، ولكن كثيرين بدؤوا لفظها بالضم باعتبار أن استعمالها قليل ، وتقول : بل اللفظان صحيحان ، وقيل : الضوء أقوى من التور ، وقيل : بل هما مترادفان ، ومن قال بالوجه الأول أن الضوء أقوى من التور استند إلى قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا ﴾ .

٨٢- العائلة :

إذا بحثت في المعجم العربي عن كلمة العائلة التي نستعملها الآن فلن تجد لها معنى ، أقصدُ بها أنها لا تُعني عن كلمة الأسرة ، فلا يجوز لنا أن نقول : عائلة فلان ، ولا يجوز أن نطلق على أحد البرامج — مثلاً — مشكلات عائلية ، فكل خطأ يجر إلى خطأ ، وما نخشاه أن يصل الخطأ إلى مستوى يتغلب على الفصيح وينهيه ، ولكن تجد في المعجم كلمة العيّل — كما يلفظها إخواننا المصريون — وهي بمعنى الفقير ، تقول : هذا رجل عيّل أي فقير ، ولاحظ كيف يستعمل المصريون هذا اللفظ ؟ إنهم يقصدون به الطفل الصغير ، وكذلك تجد كلمة العائل ، وقد وردت في قوله تعالى في سورة الضحى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ .

وواضح أن معناها : وجدك فقيراً فأغنك ، كما جاء في الحديث : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُغْنِ العَائِلَ الْمُخْتَالَ ﴾ ، وتجمع كلمة عائل على عائلة ، جاء في الحديث : ﴿ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتْرُكَهُمْ عَائِلَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ﴾ . أي خير من أن تتركهم فقراء .. أما عيال الرجل فهم الذين يتكفل بهم الرجل ، وهي كما تلاحظ بالمعنى المستعمل .. وهي جمع عيّل ، قال الشاعر :

سَلامٌ عَلَى يَحْيَى وَلَا يُزَجَّ عِنْدَهُ وَلَاءٌ وَإِنْ أَرَى بَعِيْلَهُ الْفَقْرُ
إذا فالكلمة ليست مستعملة في معناها الصحيح ، أما اللفظ الذي يصحح هذا

اللفظ فهو ما نستعمله صحيحاً الأسرة .

٨٣- طيلة وطوال :

ما أكثر استعمال هذين اللفظين ، تسمع : عملت طيلة اليوم ، وتسمع : ظلّ اللاعب يتدرب طوال اليوم ... وتسمع : عمد الاحتلال طيلة فترة احتلاله على هدم المنازل .. فهل اللفظان صحيحان ؟ أم أنّ واحداً صحيح والآخر خطأ ؟ الصواب طوال ، ومعناه مدى الدهر ، فتقول : لا أكلّمه طوال الدهر ، ومثله طول ، فنقول : لا أعمل السوء طول الدهر ...

أما طيلة بكسر الطاء فهو بمعنى العمر ، يقال : أطال الله طيلتك ، أي أطال الله عمرك .. ومعناه الطول ، قال الشاعر :

إنا محبوك فاسلم أيها الطللُ
وإن بليت وإن طالت بك الطولُ
ومثلها الطول ، قال الشاعر :

أنا فلم ندفعه إذ جاء طارقاً
وقلنا له قد طال طولك فانزل

٨٤- اطلع واضطلع :

نقول : اطلع فلان بعلم النحو ، أو بعلم اللغة ، ونقول : اطلع الصيدلي بعلمه ، واطلع الطبيب باختصاصه ، ونريد أنه تمكن من عمله وأجاد فيه ولكن هذا غير صحيح ، فالفعل اطلع يفيد الاطلاع على الشيء ، سواء كان اطلاعاً حقيقياً أم مجازاً أي معنوياً ، فنقول : اطلع فلان على البحث ثم قومه ، ونقول : اطلع فلان على الأوراق المتصلة بهذا العمل ، فهو مطلع ، أما الصواب في الجمل السابقة فهو اضطلع ، فنقول : اضطلع هذا العالم بعلمه ، واضطلع العامل بعمله ، وهو من الاضطلاع ، والاضطلاع من الضلاعة وجذرهما (ضلع) وهي - الضلاعة - القوة وشدة الاضطلاع ، فهو مضطلع بهذا الأمر ، ومضطلع لهذا الأمر ، أي قوي عليه ، وتقول :

صَلَعَ الرَّجُلَ بَعْلَهُ أَوْ عَمَلَهُ فَهُوَ ضَلِيعٌ بِهِ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : «إِنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَارَعَ جَنِيًّا فَصَرَعَهُ عَمْرٌ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا لَذَرَايِكَ كَأَهْلَمَا ذَرَاها كَلْبٌ — يَرِيدُ أَنَّهُ ضَعِيفٌ — فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : أَمَا فَهَمٌ لَضَلِيعٍ» ، وَجَاءَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي صِفَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) «كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ لَطَاعَتِكَ» .

٨٥- اَعْتَبِرْ وَعَدُّ :

نَرِيدُ لِللُّغَةِ أَنْ تَكُونَ طَبِيعَةً ، نَسْتَعْمَلُهَا سَهْلَةً ، يَفْهَمُهَا الْقَارِئُ وَالْمُسْتَمْعُ وَلَا نَرِيدُ أَنْ نَضْعُهَا فِي قَوَالِبِ جَامِدَةٍ ، فَنَحْبِسُهَا عَنِ الْإِسْتِعْمَالِ ، وَلِذَلِكَ لَا بَدْءَ مِنَ التَّالِي فِي الْحُكْمِ عَلَى اسْتِعْمَالِ كَلِمَةٍ مَا . وَلَا بَدْءَ مِنَ النَّظَرِ — فِي الْمُسَاعَدَةِ — وَمِنْ ثَمَّةِ الْحُكْمِ عَلَيْهَا .

لَقَدْ تَشَدَّدَ كَثِيرُونَ فِي مَنَعَ اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ (اعْتَبِرْ) بِمَعْنَى (عَدُّ) ، وَقَالُوا : إِنَّهُ يَعْنِي الْإِعْتِبَارَ وَالْعِظَةَ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ غَيْرُ مَعْنَى عَدُّ ، وَتَقُولُ : إِنَّ الْفَعْلَيْنِ صَحِيحَانِ ، وَهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَلَمْ لَا نَظَلُّ عَلَى اسْتِعْمَالِ اعْتَبِرْ وَقَدْ كَثُرَ كَثْرَةً مُطْلَقَةً ، وَلَمْ نَرِيدُ أَنْ نَحْبِسَ كَلِمَاتٍ ، وَنَفْتَحَ الْبَابَ لِكَلِمَاتٍ . إِنَّا نَسْمَعُ الْفِعْلَ (اعْتَبِرْ) فِي الْيَوْمِ عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ ، وَهُوَ صَحِيحٌ ، نَسْمَعُ : يَعْتَبِرُ الشَّاعِرُ الْمُتَنَبِّئُ مِنْ أَعْظَمِ شُعَرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَنَسْمَعُ : تَعْتَبِرُ سُورِيَّةٌ مِنْ أَغْنَى بِلَادِ الْعَالَمِ بِأَثَارِهَا وَحَضَارَتِهَا ، وَتَعْتَبِرُ مَهْدُ الْحَضَارَاتِ وَهَكَذَا .. وَهَذَا الْفِعْلُ — كَمَا قُلْنَا — صَحِيحٌ ، وَسَنَرَى أَنَّ الْفِعْلَ (عَدُّ) مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، تَقُولُ : عَدُّ فُلَانٌ الْأَمْرَ صَحِيحًا وَتَقُولُ : عَدُّ فُلَانٌ السَّنْعَةَ نَقْمَةً ، وَتَقُولُ : عَدُّهُ صَدِيقًا ، وَعَدُّهُ رَفِيقًا .. وَهَكَذَا ... أَمَّا الْفِعْلُ (اعْتَبِرْ) : الَّذِي عَدُّهُ كَثِيرُونَ أَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَهُوَ مِنَ الْجَذَرِ (عَبَّرَ) ، وَالْإِعْتِبَارُ الْإِتْعَازُ وَالتَّعَجُّبُ ، اعْتَبِرْ فُلَانٌ مِنْهُ إِذَا تَعَجَّبَ ، قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْخَشْرِ : «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ» ، أَيْ تَدَبَّرُوا وَانظُرُوا فِيمَا نَزَلَ ..

وَالْعِبْرَةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَا مَضَى ، وَالْعِبْرَةُ الْمَوْعِظَةُ وَهِيَ مِمَّا يَتَّعِظُ بِهِ

الإنسان ويعمل به ويعتبر ، جاء في «تاج العروس» للزبيدي :
والمعتبر المستدل على الشيء .. والاعتبار : التدبر والنظر ، وزاد أيضاً : العبرة
والاعتبار هي الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد
وهذا ما يدل على أن الفعل (اعتبر) صحيح استعماله بمعنى (عدّ) .

وما يزيد في صحته ما جاء في المعجم الرسيط ، قال :

اعتبر الشيء : اختبره وامتحنه ..

اعتبر منه : تعجب ..

اعتبر به : أتعظ ..

اعتبر فلاناً : اعتد به ..

اعتبر فلاناً عالماً : عدّه عالماً وعامله معاملة العالم .

إن كل ما تقدم يدلنا الحق في استعمال الفعل (اعتبر) بمعنى (عدّ) فلا حاجة إلى

تخطئة الكتاب والادب والدراسة .

٨٦- عُجْرَه وَبُجْرَه :

ونقصد هما الحسن والسيئ ، فنقول : أخذنا تقاليد الغرب عُجْرَها وَبُجْرَها أو

نقول : أخذ الكلام عُجْرَه وَبُجْرَه ، والصواب أنه لا يقصد بهما العيوب وهو من

الفصيح ، تقول :

أظهرت لصديقي عُجْري وَبُجْري إذا أطلعت على مصائبك لثقتك به أما أصل

الكلمتين فهو : العُجْر : هي العروق المتعقدة في الظهر .

والبُجْر : هي العروق المتعقدة في البطن ، ثم انتقل لفظهما إلى الهموم والأحزان ،

فإذا ما أردنا أن نستعمل هذا الكلام فإثماً نريد أن نشكو الأمور كلها ما ظهر منها وما

بطن ، قال عليّ (عليه السلام) : «أشكو إلى الله عُجْري وَبُجْري» .

٨٧- اعتذر عن عدم الحضور :

العتذرُ معروف ، وهو الحجة التي يعتذر بها الإنسان على عمل ما ، فتكون كل توبة عذراً ، وليس كل عذر توبة ، تقول : عذرت صديقي ، وعذرتني صديقي ، وتقول : يعذرتني صديقي وأعذر صديقي ، والمصدر منه عذراً وعذراً وجمع العذر أعذار ومثلهما العذرة بضم الذال وكسرهما ، أما الفعل (اعتذر) الذي نستعمله كثيراً هو بمعنى عذر ، نقول : أبدى فلان عذراً وهو بمعنى أيضاً ، إلى هنا ليس من مشكلة ولا خطأ ، فكلمنا أو معظمنا يعرف ما تقدّم ، ولكن الخطأ الذي نريد تصويبه هو الجملة التي أثبتناها في بداية الفقرة ، تقول : اعتذر فلان عن الحضور ، ونقول : اعتذر المدرّس عن حضور المحاضرة ، واعتذر المطرب عن الحفل الفني ، وغيرها كثير كثير نسّمعه وإذا قرأنا الجمل السابقة مرّة أخرى ، نجد أنّ المعنى غير ما قصدنا ، لأن المعنى في هذه الجمل أن فلاناً أو المدرس أو المطرب قد حضر ولكنك أنت لا تريد ذلك ، تريد أن تقول : لم يحضر ولذلك تصبح العبارة الصحيحة : اعتذر فلان عن عدم الحضور .

٨٨- عزف لحناً :

ورد في قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة : «يستعمل الكتاب المعاصرون مثل قولهم : عزف لحناً ، وهذه معزوفة من معزوفاته ، وعزف على العود ، على حين أن فعل عزف بمعنى صوت لازم في اللغة .

واللجنة تحيز الاستعمالات العصرية : إمّا على أن فعل عزف المتعدي مأخوذ من المعزف اسماً للآلة ، وإمّا على إعراب (لحناً) في قولهم : «عزف لحناً» مفعولاً مطلقاً ، وإمّا على أن «عزف» مضمّن معنى : أدّى ، وأقر المؤتمرون قرار اللجنة .

٨٩- عُمر :

نقول - خطأ - عمر فلان زمناً طويلاً ، أو عمراً طويلاً ، نقصد أنه عاش كثيراً ، والفعل هذا يُلفظ خطأ (عمر) والصواب أن يلفظ عُمر بالبناء للمجهول ، لأن الله تعالى هو المعمر الذي يعمر الناس ، والإنسان هو المعمر . قال تعالى في سورة فاطر: «وما يُعمر من معمر ولا يُنقص من عُمره إلا في كتاب» . وثمة كثيرون سموه بـ «مُعمر» وثمة كتاب اسمه المعمرون والوصايا .

وقال تعالى في سورة البقرة : «يودّ أحدُهُم لو يُعمرُ ألفَ سنة» .
وقال تعالى في سورة يس : «ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون» .
وأصل الفعل عَمَر ، تقول : عَمَر الرجلُ عاش أو بقي زمناً طويلاً ، قال لبيد:
وَعَمَرْتُ حَرَساً قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ لو كان للنفسِ اللَّجوجُ خُلُودُ
وتقول : عَمَرَهُ اللهُ عمراً ، وعَمَرَهُ تعميراً إذا أبقاه وأطال عمره .

٩٠- دلالة الحرف «عن» في محدث الاستعمال :

ورد في قرارات الجمع «يجري في الاستعمال مثل قولهم : تقرير عن مشكلة التعليم الأساسي ، ومحاضرة عن تربية الأسماك ، وحلقة إذاعية عن النقد الأدبي» .
ويلاحظ أن «عن» في هذه التعبيرات غير دالة على المجاوزة التي هي المعنى الأصلي للحرف في ظاهرة .

وقد استبان للجنة أن «عن» في هذه الاستعمالات ونحوها تدل على معنى الاتصال والتعليق والارتباط ، وقد نبّه فقهاء اللغة إلى أن دلالة «عن» الأصلية على المجاوزة تتضمن معنى : الإلصاق أو السببية أو الظرفية بمعنى (في) وقد فسّرت بذلك شواهد من المنثور والمنظوم في فصيح الكلام .

فلهذا ترى اللجنة إجازة أمثال تلك الاستعمالات .

وبعد مناقشات حول هذا القرار أعلنت موافقة المؤتمرين على إجازته بالإجماع .

مما أكثر الأفعال التي تستعمل في غير ما هي له مع وجود فعل آخر يستعمل
صحیحاً ، ومن هذا قولنا :

اعتنق فلان الدين إذا كان قد انتسب إلى دين ما دان به ، ونكاد لا نستعمل أحد
الفعلين التاليين انتحل ، أو دان . أما انتحل فهو من كحله القول إذا نسب إليه ، وتقول :
فلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إلى واحد منهما .

وأما الفعل دان فهو من الدين تقول : دان فلان بمذهب كذا وتدین به فهو دین ،
ومتدین ، قال علي (عليه السلام) : « محبة العلماء دين يُدان له » ، وللعل دان معانٍ أخرى :

دان الرجل إذا عَزَّ ، ودان إذا ذَلَّ فهو — كما تلاحظ — من الأضداد ودان إذا
أطاع ، ودان إذا عصى ، ودان إذا اعتاد خيراً ، ودان إذا اعتاد شراً ، ودان إذا أصابه
الدَّيْنُ ، وهو داءٌ ، قال الشاعر :

يَا ذِينَ قَلْبِكَ مِنْ سَلَمِي وَقَدْ دِينَا

وربما استعملوا اعتنق من قولهم في المجاز : كان ذلك كلُّ عُنُقِ الإسلام وعُنُقِ
الدهر أي قديم الدهر وقديم الإسلام ، أو من قولهم : جاء القوم عُنُقاً عُنُقاً ، قال
الشاعر يخاطب علي بن أبي طالب (عليه السلام) :

أَهْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْنَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

وقد استدرك صاحب تاج العروس على القاموس المحيط فقال :

اعتنق الأمر : لزَمَ ، واعتنق الريحُ بالتراب ، فهي — كما ترى — لا صلة لها
بالمعنى الذي تُستعمل من أجله .

ومن هذا استعمال الفعل دان السابق ذكره بدلاً من الفعل نَدَدَ ، وكذلك
استعمال الفعل شجب ، فتسمع كثيراً : دانت الأمم المتحدة أعمال الكيان الصهيوني ،

وتسمع شجبت مجلس الجامعة العربية أعمال العنف في الأراضي المحتلة، فالفعالان (دان) و(شجب) غير صحيحي الاستعمال ، لأن الفعل (دان) تقدّم قبل معناه ، ولأنّ الفعل شجب معناه هلك سواء كان الهلاك في الدين أم في الدنيا .

أما الفعل الصحيح فهو ندّد ، تقول : ندّد مجلس الجامعة العربية بأعمال العنف وندّد العالم بالحرب الأهلية ، والفعل ندّد بمعنى صرّح ، أي صرّح مجلس الجامعة بأعمال العنف ، وصرح العالم بالحرب الأهلية ، وأسمعه القبيح . وتقول : نددت بالرجل تنديداً إذا أسمعته القبيح ، وشتّمته وشهّرتّه ، وسمعت به .

٩٢- تعود ، اعتاد ، وعود :

تقول : تعوّدتُ على الاستيقاظ باكراً ، وتقول : عوّدت ابني على القراءة والمطالعة ، وتقول : اعتدّدتُ على عمل الخير ، فتعدّى الفعل (تعود) و(عود) و(اعتاد) بحرف الجرّ (على) ، وهذا خطأ ، لأن هذه الأفعال تتعدى إلى معناها بنفسها لا بحرف الجر ، تقول : تعوّدت الاستيقاظ باكراً ، وعوّدت ابني القراءة والمطالعة ، واعتدّدتُ عمل الخير ، قال أبو تمام (مستعملاً تعود) :

تعودُ بسطّ الكفّ حتى لو أنه
وقال يزيد بن الحكم الثقفي (مستعملاً اعتاد) :

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا
إذا أقول صبحاً يعتاده عيدا
والعيد هنا ما يعود الإنسان من همّ أو حزن أو غير ذلك .
وقديماً قالت العرب : «عود كلبه الصيد فتعوده» .

٩٣- المعوّق والمعاق :

كثيراً ما نسمع هاتين الكلمتين المعاق والمعوّق فنسمع مثلاً : وصل عدد المعاقين في العالم حداً كبيراً ، أو يقولون : وصل عدد المعوّقين ، ونقول أيضاً : قام فريق من

المعاقين بمباراة رياضية ، وقدّم فريق المعاقين درع ناديه لأطفال الانتفاضة . أو تقول :
تقدّم الدولة مساعدات كثيرة للجمعيات الخيرية التي تساعد المعوقين ، والكلمتان
(المعاق) و(المعوق) صحيحتان ، وهذا تفصيل :

تقول : عاقني عن فعل الفعل عائق ، وكلمة عائق معروفة نستعملها بكثرة ،
وجمعها العوائق ، تقول : عاقني العوائق عن النجاح ، وهو من الفعل عاق ، بمعنى
صَرَفَ وَحَبَسَ ، والمصدر منه العَوَقُ والتَّعْوِيقُ هما بمعنى التَّشْيِيط ، كما تقول : عَوَّقني
فلان عن الموعد ، وهذا أيضاً ليس من لفظ العامة بل من الصحيح ، واسمُ الفاعل منه
معوِّق ، قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿قد يعلمُ اللهَ المعوِّقينَ منكم﴾ .
والمعوِّقون في قوله تعالى هم قومٌ من المنافقين كانوا يشبطون أنصار النبي صلى الله
عليه وسلم قال رؤبة :

فَتَسْكُنُ اللهَ الْقُلُوبَ الْحَقُّقَا واعتاق عنه الجاهلين العَوَّقا

من العدا والأقربين العُقَّقا

فالعَوِّقُ أيضاً بمعنى المعاقين أو المعوِّقين ، فالمعوِّق هو اسم المفعول من الفعل عَوَّق .
أما كلمة المُعاق والمعوِّقين فهما من الفعل أعاق ، وهذا الفعل تعدَّى إلى المفعول عندما
أدخلنا عليه همزة التعدية ، تقول : أعاقني فلان عن الحضور ، فاسم المفعول من الفعل
أعاق هو مُعاق .. وتقول : أعاقني العوائق عن عمل كذا كذا ، قال أبو ذؤيب الهذلي :
ألا هل أتى أم الحُوَيْرِثِ مُرْسَلٌ نَعَمْ خَالِدٌ إِنْ لَمْ تَعْقُهْ الْعَوَائِقُ
وقال أمية بن أبي الصلت :

تعرفُ هذي القلوبُ حقاً إذا هُمَّتْ بخير عاقت عوائقها

ويتصل بما تقدّم قولهم : هذا رجلٌ عَوَّق ، أو عَيَّق أو عَيَّق ، وهو الرجل الذي
يعوِّق الناس عن الخير ، أو الذي يُشَبِّطهم عن أمورهم ، قال الأخطل :

مَوْطَأُ الْبَيْتِ مُحَمَّدٌ شَمَالُهُ عِنْدَ الْحِمَالَةِ لَا كَرْزُ عَوَّقُ

ومثل الكلمات السابقة قولنا : (عُوق) بلفظ الجمع التي وردت قبل قليل وتعني أيضاً معنى العُوق بالتخفيف ، قال الشاعر :

فِدَى لِسِنِي لِحْيَانِ أُمِّي فِلَانِهِمْ أطاعوا رئيساً فهم غيرُ عُوقٍ

٩٤ - الغلط والخطأ :

ميز كثيرون بين الغلط والخطأ ، وقالوا : الغلط للوقوع في الغلط أيّاً كان أما الخطأ فهو للوقوع في الخطأ اللغوي أو النحوي ، فهل هذا التمييز صحيح أم أنه خطأ؟ لنقرأ ما في الكلمتين ، ومن ثمة نحكم على الصواب ونعرف الجواب ١١ .

● الغلط : هو أن تعيا بالشئ فلا تعرف وجه الصواب فيه .

تقول : غَلَطَ فلانٌ في الحساب وغيره ، أي أنه يَسْتَعْمَلُ في أي غَلَطَ كان ، وَمَنْ يُكْثِرُ الوقوع في الغلط يُسَمَّى المِغْلَاطُ — وهو من ألفاظ المبالغة — قال الشاعر :

فَبِئْسَ عَضُّ الْخَرَفِ الْمِغْلَاطِ وَالْوَغْلِ ذِي النَّمِيمَةِ الْمِخْلَاطِ

وتغليطُ الآخر : أن تقول له : وقعت في الغلط ، أو تقول غَلَطْتَ ، وَغَلَطَ فلانٌ فلاناً أو غالطه إذا أوقعه في الغلط .

وَجَمْعُ الغلطِ أَمْلَاطٌ ، تقول : وقع فلانٌ في أَمْلَاطٍ كثيرة ، وتقول : هذا الحسابُ فيه أَمْلَاطٌ كثيرة ، فهو حسابٌ مغلوطٌ وهو صحيح .

● أما الخطأ : فهو ضدّ الصواب ، وتقول : أخطأ الطالبُ في إعراب الكلمة أو أخطأ في حلّ مسألة الرياضيات إذا لم يصب جواباً صحيحاً ، قال تعالى في سورة الأحزاب : «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ» أي غلطتم ، فكاننا نقول : الغلط والخطأ واحدٌ وقال الشاعر :

يَا رَبِّ إِنِّي أَخْطَأْتُ أَوْ لَسَيْتُ فَأَنْتَ لَا تَنْسَى وَلَا تَنْسَوْتُ

وقال الآخر :

وَلَا يَسْبِقُ الْمَضْمَارَ فِي كَلِّ مَوْطِنٍ مِنَ الْخِيَلِ عِنْدَ الْجَدِّ إِلَّا عَرَابُهَا

لكل امرئ ما قدمت لنفسه له
وتقول : خطأ فلان فلاناً إذا قال له أخطأت سواء أخطأته في الحساب أم في
شعره ، وكأنه أيضاً مثل غلطت .

وقد استعمل الفعل مجازاً وكثر استعماله ، فقالوا : أخطأ فلان الطريق إذا عدل
عنه ، وأخطأ الرامي الهدف إذا لم يصبه ، والذي يُكثر الوقوع في الخطأ يقال له خطأ .
● أما الخطيئة : فهي الذنب الذي يقع فيه الإنسان .

إذا نستنتج مما تقدم :

أن استعمال الغلط والخطأ واحد ، ولكن ما نرجوه أن نخفف من الوقوع في
الخطأ في لغتنا ، وفي حياتنا ، فكل ابن آدم خطاء .

٩٥- الفارزة والفاصلة :

كثيراً ما نستعمل كلمة فاصلة ، ولا سيما في الحساب والرياضيات ، فنقول :
خمسة فاصلة ستة ، وثلاثة عشر فاصلة سبعة ، إلى آخر هذه الجمل ، ولكثرة ما
استعملنا هذا اللفظ ظننا أنه غير صحيح ، فاستعملنا كلمة فارزة ، فأيهما الصواب ؟
الفاصلة في الأصل الخرزة التي تفصل بين الخرزتين أو بين أواخر آيات القرآن
الكريم ، وكأما شيء ما يفصل بين أي شيئين أو أكثر ، وهذا واضح من خلال
استعمال الفاصلة المعروفة بين الجملتين أو أكثر ومنها الفاصلة المنقوطة ، ونحن نستعمل
هذا الرمز في الرياضيات أيضاً ، أي أن كلمة الفاصلة صحيحة .

أما الفارزة فالصواب أن نقول فارز بالتذكير ، فالفارز هو الفاصل بين الشيئين ،
تقول : فرزت الشيء من الشيء إذا فصلته ، والفرز معروف ، الفصل أو عزل الشيء
من الشيء الآخر .

فاللفظان صحيحان كما نلاحظ ، وعند العودة إلى المعجم ، نجد أن اللفظين
صحيحان ..

٩٦- فزّورة :

يكثُر استعمال كلمة فزّورة ، أو حزّورة في شهر رمضان المبارك ، بل لا تكاد تستعمل واحدة من الكلمتين إلا في شهر رمضان ، فنسمع مثلاً : حزّورة رمضان أو فزّورة رمضان ، ويقصدون مسابقة ما ، ولكن هل لهاتين الكلمتين معنى صحيح ؟ .
بجيب فنقول :

أولاً : لا وجود لمعنى كلمة فزّورة (بالفاء) ولا ندرى من أين جيء بها ، ولكن يبدو أن لفظها يطابق ما يعرض علينا فيها ، أمّا كلمة (حزّورة) بالحاء فهي مقبولة الاستعمال إذا أخذنا المعنى المجازي لها ، جاء في المعجم : الحَزْرُ بفتح الحاء وتسكين الزاي التقدير ، والفعل فيه حَزَرَه ، تقول : حَزَرَ فلان الشيء إذا قَدَّرَه بالحدس ، وجاء من المعاني الكلمة المجازية قول العرب : حَزَرْتُ قدومه يوم كذا إذا قَدَّرْتَه وعرفته بالحدس ، وقولهم : حَزَرْتُ قراءته عشرين آية أي قَدَّرْتَهَا .. فما نتمناه أن تحذف كلمة فزّورة من معجمنا الإعلامي ، ونبقى على (حزّورة) هذا إذا أردنا التغيير ، ولكن ثمة كلمة تحل محلّ الكلمتين هي : مسابقة ، فلم لا نبقى عليها ١٢ .

٩٧- الفقرة والمادة لا البند :

تقول : صدر قرار فيه عددٌ من الفقرات و المواد أو البنود ، وتقول : يتألف هذا البحث من عدد من الفقرات أو المواد أو البنود ، وغير هذا مما صرنا نسميه ونستعمله كثيراً ، لكنّ كلمة بنود ، ومفردها البند خطأ ، كقولنا : البند الأول ، والبند الثاني ، وهكذا .. والسبب هو أن لا معنى لهذه الكلمة في هذا الباب ، فالبند كلمة فارسية تعني : العلم الكبير الذي يحمله قائد الجيش ، ويكون تحته عشرة آلاف رجل ، قال الشاعر :

جاؤوا يجرّون البُـنود جـراً

فالكلمة — كما قلنا — غير صحيحة ، والصواب أن نستعمل بدلاً منها كلمة

الفقرة ، تقول : في هذا القرار عدد من الفقرات هو الفقر ، ثم إننا نحار في لفظ الكلمة مفردة الفقرة ، أو الفقرة ، بكسر الفاء وفتحها ، وأحياناً الفقرة بفتح الفاء والقاف ، وكذلك نحار في الجمع : الفقر أو الفقرات وهذا توضيح :

الفقرة ، والفقرة تلفظ بكسر الفاء وفتحها ، وهي في الأصل واحدة من فقر الظهر ، وتجمع على فقر ، وهو مما يستعمل صحيحاً ، كما تجمع على فقرات وفقرات ، وهما لا يستعملان ، ولكن نستعمل خطأ فقرات .

وقد تطور معنى الكلمة وأخذت معنى ما نستعمله في هذا الباب كقولنا : قرأت فقرة من فقرات البحث ، وقد عرفها المعجم الوسيط فقال : هي جملة من كلام أو جزء من موضوع أو شطر من بيت شعر ، تقول : زدت في كلامه أو شعره فقرة ، وما أحسن فقر كلامه ، وقال (محدثه) أي أنها من الألفاظ الحديثة التي صارت مستعملة في وقتنا هذا .

أما الكلمة الثانية التي يمكن أن نستعملها في هذا أيضاً فهي كلمة المادة ، تقول : يتألف هذا البحث أو القرار من عدد من المواد ، المادة الأولى تتضمن كذا وكذا ، والمادة الثانية كذا وكذا .. وهذه من المستعمل بكثرة ، وتقول : إن هذه الكلمة من المحدث الحديد الذي له جذر في العربية ، ولكن كلمة مادة بمعناها التي نقف عليه الآن لم يكن ، وإنما تطوّر معناها فصرنا نستعملها كما نريد الآن ، أي هي من المولد فنقول : مادة الفيزياء ومادة الكيمياء .

فالمادة هي كل شيء يكون مدداً لغيره ، أو هي كل جسم ذي امتداد ووزن ، ومادة الشيء أصوله وعناصره التي يتكون منها سواء كانت حسية أم معنوية مثل مادة الخشب ومادة الحديد .

ومواد اللغة ألفاظها ، ومواد العلم أبحاثه ، ومواد القانون الجمل التي تتضمن أحكامه ، ويبدو المعنى الأخير هو الأقرب إلى ما نحن فيه .

٩٨- القَدَر والقَدْر :

لكلمة القَدْر أو القَدَر معانٍ كثيرة لكننا نستعمل معنيين اثنين أكثر من غيرهما هما :
القَدْر بفتح الدال كما في قولنا : القضاء والقدر ، والقَدْر بتسكين الدال نقصد بهما :
المقدار والطاقة ، ونظن أن القَدْر غير القَدَر في المعنى الثاني ونميز بينهما ، ولكن لا صحة
لهذا التمييز فالقَدْر والقَدَر بمعنى واحد ، وهذا توضيح لهما .

أما القدر بفتح الدال القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم
به من الأمور ، والقَدْر بفتح الدال أيضاً هو مبلغ الشيء كالمقدار ، وهو الطاقة كالقَدْر
بتسكين الدال ، وهذا يعني أنهما بمعنى واحد ، فقَدَرُ الله وقدره واحد ، وقد قرئ بهما قوله
تعالى في سورة البقرة : ﴿على الموسعِ قدره وعلى المقتر قدره﴾ .
فقرئت الآية : قدره وقَدَرُه ، أما القَدْر بتسكين الدال بمعنى الحكم ، فقد فسر
قوله تعالى في سورة القدر : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القَدَر﴾ .

أي في ليلة الحكم ، قال الشاعر :

ألا يا قومى للنوائب والقَدَر
وقال الآخر :

قَدَرٌ أو قَدَرٌ أحلك ذا النخيل وقد أرى
وأبيك مالك ذو النخيل بسدار

قلنا : إن للقَدْر معاني عديدة منها ما هو مستعمل ومنها لا ، فهو يأتي بمعنى الغنى
واليسار ، وهما مأخوذان من معنى القوة ، كالقُدرة والمقدار والمقدرة ، قالت العرب :
«المقدرة تُذهب الحفيظة» .

ومنها : التضيق كالتقدير ، وقال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿فظن أن لن نقدر
عليه﴾ .

أي فظن أن لن تضيق عليه ، ومثله أيضاً قوله تعالى في سورة الطلاق : ﴿ومن قَدِرَ
عليه رزقه﴾ .

ومن معاني القَدْر أيضاً : التعظيم ، وهذا مما يستعمل بكثرة ، نقول : قَدَرُ فلان عندي عظيم أو كبير ، قال تعالى في سورة طه : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

وأما القدر المقصود به القياس فهو من قولك : قَدَر فلان الشيء إذا قاسه ، أو قَدَر فلان الشيء جعله بقَدَر ، وقَدَر الإنسان الشيء حَزَره ليعرف مبلغه فالقَدْر قياس الشيء بالشيء .

وأما المقدار : معروف هو قياس ، فمقدار كل شيء قياسه كالمقدّر ، والتقدير ، فنقول : تقدير فلان كبير أو صغير ، ونقول تقديره كان جيداً ..

٩٩ - القسطرة :

في هذه الكلمة أشياء أولها أننا نظن أن الكلمة غير عربية لأننا عرفناها في هذا العصر ، ولأن التطور الطبي والحضاري انتشر الآن أكثر ، ونقول : لا ، فالكلمة قديمة جداً ، ثانياً أن هذه الكلمة تلفظ بشكليين بالثاء والسين لأننا نلغ بحرف الثاء ونلفظه سيناً ، فصرنا لا نميز بين الحرفين ، ومعظمنا يلفظ هذه الكلمة بالسين ، وهذا الصواب لا بالثاء ، لكن من يتابع لفظ العامة يظن أنها من لفظ العامة ، ويظن أن لفظ الثاء القليل الاستعمال هو الصواب ونصح هو ، لكنه لم يصحح بل وقع في الخطأ ، والعجيب أن تثبت كلمة القسطرة بالثاء في مواضع كثيرة من مشافينا ، إن القسطرة تُلفظ بالسين ومعناها : أنبوبة من المطاط تدخل في جسم الإنسان يُفحص ، وقد وردت في المعجم القديم : قسطر فلان الدراهم ، أي نقدها أي ميزها بعد أن فحصها .

١٠٠ - التقويم :

تسمع كثيراً العبارات التالية : وقد قِيم فلان أعمال المؤتمر ، أو قيم المجتمعون ورقة العمل ، أو قيم الأستاذ الإنتاج العلمي لفلان .. وتسمع أيضاً : وقد قَوّم فلان أعمال المؤتمر ، أو قوم عمل فلان .. وتجار أي الفعلين تستعمل قِيم أو قَوّم .. هذا أيضاً من مواضع الخلاف التي لما تنته ، علماً بأن المعجم العربي يعطينا

الجواب، لكن بعضنا يصرّ على اللفظ الذي لفظه ، ولا يعود عنه وإن كان خطأ ..
يدور حول الجواب فيتكلف جواباً آخر ..

ومن هنا قال : مَنْ يريد استعمال (قَوْم) و(قِيم) إنما نقول : (قَوْم) إذا كان المقصود التصويب والتصحيح ، فنقول : قَوْم الأستاذ هذا البحث أو المقال .. وإذا أردنا الثمين فعلياً أن نقول : قِيم فهو من القيمة .. وهذا غير صحيح ، والسبب أن لا جذر في اللغة العربية فيه (القاف والياء والميم) بل الصواب (قوم) .
إذاً علينا أن نستعمل (قَوْم) بالواو المضعفة في جميع الحالات ولحمل استعمال (قِيم) لأنه غير صحيح البته .

تقول : قَوْم فلان السلعة أي قدرها ، وقَوْم فلان قطعة الثياب أي قدر ثمنها ، وقَوْم المتاع أي قدره .. وهكذا .

جاء في الحديث : «قالوا : يا رسول الله لو قَوْمْت لنا ، فقال : الله هو المقوم» ، أي لو تسعرت لنا . وهو من قيمة الشيء أي حددت لنا قيمتها ، فإذا كان هذا ما جاء في المعاجم ، وإذا كان التحديد في السعر أي الثمين قد استعمل فيه قَوْم ، فلسنا بحاجة إلى التأويل ، والتفريق ..

ثم إن القيمة ثمن الشيء بالتقوم .. وقولنا : أصله السواو أي جذره (ق - و - م) ومثله القِيم ، نقول : هذا قِيم الأمر .

جاء في الحديث : «ذلك الدين القِيم» ، وقال تعالى في سورة البينة (١٣/٩٨) : «وفيها كتب قِيمَة» ، وقال أيضاً (٥/٩٨) : «وذلك دين القِيمَة» .

أي دين الأمة القِيمَة بالحق أو الملة المستقيمة .

وكذلك كلمة القيامة أصلها الواو ، وهي في الأصل القِوامة انكسر ما قبلها، أي ما قبل الواو فقلبت ياء فصارت القيامة ، مثلها كلمة الصياغة وأصلها الصواغة .. إنَّ كلَّ ما تقدّم يؤكد أن جذر الكلمات السابقة كلها هو القاف والواو والميم لا القاف والياء والميم .

فلا حجة لأن نكتب أو نلفظ قِيم ، بل قَوْم ، ونرجو أن يصيب التصويب كتبنا قبل صحفنا ، ومجلاتنا وإعلامنا .

١٠١ - أَكْفَاء :

يقولون : وقد نَفَسَدَ العمل عمَّال أَكْفَاء ، أو أشرف على هذا العمل مهندسون أَكْفَاء ، فيشدّدون الفاء ، وهذا خطأ ، وقد استعمل هذا اللفظ كثيراً أو بُنِيَ إلى أنه خطأ ، فحاول من يريد التصحيح والتصويب أن يغير اللفظ ، فقال : نَفَدَ هذا العمل عمال أَكْفِيَاء ، أو أشرف على هذا المشروع مهندسون أَكْفِيَاء ظناً منه أنه الصواب ، ونقول أيضاً : إن هذا اللفظ غير صحيح بل لم يُسمع به ، ولا وجود له .

أما اللفظ الصحيح فهو : أَكْفَاء بتسكين الكاف ، مثل أَقْفَال وأَحْمَال وهو جمع لعدد من الكلمات هي (كُفُو) و(كُفَاء) و(كِفَاء) ، تقول : فلان كفيء فلان وكفاؤه ، وكلها بمعنى واحد .

وقد استعمل لفظ كِفَاء يفيد الجمع ، فتقول : هؤلاء كِفَاء أولئك .

١٠٢ - كَافَة :

يكثُر استعمال هذا اللفظ ولكن على غير وجهه الصحيح ، وكثيراً ما نقع في الخطأ في استعماله ، وثمة ملاحظات ثلاث يجب الانتباه إليها في هذا اللفظ تُصحح فيها الأخطاء التي نقع بها .

١ - هذا اللفظ لا يأتي إلا نكرة ، ويُعرب حالاً فلا يُضاف إلى ما بعده ولا يُعرف بـ (الـ) فلا تقول : وصل كافة الطلاب ، ولا تقول : وصل الكافة ، بل تقول : وصل الطلاب كافة ، ورأيت الطلاب كافة ، ومررت بالطلاب كافة .

٢ - إن هذا اللفظ (كافة) يستعمل لجماعة الناس ، فلا يستعمل للأدوات ، فلا يجوز أن نقول : قرأت المحاضرات كافة ، وحضرت المباريات كافة ، ولا يجوز أن تقول : أنفقت كافة أموالى .. ولا يجوز أن تقول : استخدمت كافة الوسائل

المستاحة لي ، ولا يجوز أن أقول : على كافة الطلاب ، أو على كافة السيارات ،
أو على كافة المتقدمين .. والصواب أن نقول : يُطلب من الطلاب كافة حضور
الاجتماع ، ونقول : على الموظفين كافة حضور الاجتماع المقرر ، وهكذا ..
أما قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ .
فإن (كافة) تفيد معنى الجميع والإحاطة ، ويجوز أن يكون معناه ادخلوا في السلم
كلّسه ، أي في جميع شرائعه ، ويكون معنى الآية : ابلغوا في الإسلام إلى حيث تنتهي
شرائعه وادخلوا كلكم حتى يُكفَّ عن عدد واحد لم يدخل فيه .

وقد وردت كافة أيضاً في قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ .
٣- والملاحظة الثالثة في هذه الكلمة أن الكلمة تأتي بصيغة المفرد فلا تثني ولا تجمع ،
وأما ما ورد من قول بعضهم كقول عمر (رضي الله عنه) : «على كافة بيت المسلمين» ،
فقد نُزِّج أنه من القليل والأكثر على استعماله الأصح ، وهو التفكير ، وبحيثه
للحال وبلا تعريف .

٣٠١ - كل عام وأنتم بخير :

ورد في قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة «يخطئ بعض النقاد ما يشيع من قول
الناس في أعيادهم (كل عام وأنتم بخير) ، بناء على أنه لا موضع للواو هنا ، والصحيح
عندهم أن يقال : كل عام وأنتم بخير» .

وقد درست اللجنة هذا التعبير ، وانتهت إلى أنه جائز من وجهين : أحدهما أن
تكون «كل» فاعلاً حذف فعله لكثرة الاستعمال ، والتقدير : يُقبلُ كلُّ عامٍ وأنتم بخير .
والآخر : أن تكون «كل» مبتدأً حذف خبره ، والتقدير حينئذ : كل عام مُقبلٌ
وأنتم بخير . وفي كلتا الحالتين تكون الواو حالية ، والجملة بعدها حالاً .
وانتهى المؤتمرون بعد مناقشة قرار اللجنة إلى الموافقة عليه .

١٠٤ - كَلِّمَا :

يشيع في اللغة المعاصرة استعمال «كلما» مكررة ، فيقولون : كلِّما قرأت كلما استوعبت متأثرين بما يرد في اللغات الأجنبية ، وهذا الاستعمال غير صحيح وصحة العبارة : كلما قرأت استوعبت .

قال تعالى : ﴿يَكَادُ الْبَرَقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَ فِيهِ﴾ ، لأن (كلما) في الاستعمال تشبه الشرط في احتياجها إلى فعلين بعدها ، مرتب أحدهما على الآخر ، يشبه أولهما فعل الشرط ، ويشبه ثانيهما جواب الشرط ، ويقع ثانيهما عند وقوع أولهما دائماً . وعلى هذا لا يجوز تكرار (كلما) مع جوابها .

١٠٥ - كَادَ الْأَمْرَ لَا يَتَمُّ :

ورد في قرارات مجمع اللغة العربية : «يشيع هذا الأسلوب في لغة المعاصرين، وقد يظن أنسه مخالف لما تعرفه العربية من أن أداة النفي تتقدم (كاد) ولا تتأخر عنها» ، وترى اللجنة أن هذا صحيح مقبول لما يأتي :

أولاً : الجملة من أقوال العلماء ، منهم ابن يعيش إذ قال في قوله تعالى : ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرَاهَا﴾ ، فإذا أدخل النفي على «كاد» قبلها أو بعدها ، لم يكن إلا لنفي الخبر ، كأنك قلت : يكاد لا يراها .

ومثله ما جاء في (كليات) أبي البقاء حيث قال : «ولا فرق بين أن يكون حرف النفي متقدماً عليه» أو متأخراً عنه ، ونحو «وما كادوا يفعلون» وكذلك ما جاء في تفسير الطبري للآية الكريمة السابقة ، حيث قال أيضاً : معناه «كادوا لا يفعلون» .

ثانياً : لوروده في إحدى روايتين لبنت زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَلَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو
وَأَقْفَرُ مِنْ سَلْمَى الثَّعَالِيْقُ وَالْفُلُ

وقد أقر المؤتمر قرار اللجنة بالإجماع .

١٠٦ - ملاحظة وملحوظة وملحظ :

يستعمل المعاصرون كلمة ملحظ ، وملحوظة ، وملاحظة بمعنى الاستدراك على رأي أدلي به ، أو على الشيء المستدرك نفسه .
وقد يؤخذ على هذا الاستعمال أن المعاجم جاءت بحلولاً من هذا المعنى حيث تعرضت للفظي ملحوظة وملاحظة .

والاستعمال اللغوي الذي نصبت عليه المعاجم هو إطلاق لفظي «لحظه ولاحظه» بمعنى النظر إلى الشيء باللاحظ ، أي مؤخر العين ، مما يلي الصدغ .
وفي الحديث النبوي كان (ﷺ) «جُلْ نَظَرُهُ الْمُلَاحَظَةُ» ويزيد صاحب اللسان على ذلك فينصّ على أن «لاحظه» تهيء أيضاً بمعنى راعاه ، على المجاز وترى اللجنة جواز استعمال الكلمات الثلاث بمعنى الاستدراك على رأي أدلي به ، أو الشيء المستدرك نفسه ، على أساس من المشاهدة بين الاستدراك على الشيء ، ومراعاته ، وبمجرد النظر إليه .
أي تشبيه الاستدراك على الرأي بالنظر إليه بلحظ العين ، لما في كل من النظر والتأمل رغبة في إدراك حقيقة الشيء .

هذا من أن لفظ ملحوظة أدق وأصل في اللغة ، لما في لفظ ملاحظة من حصول المفاعلة من جانب واحد مما يخرجها عن حقيقتها ، وقد جاء استعمال ملحوظة كثيراً ، ومسنه قول النحاة : التمييز إما ملفوظ أو ملحوظ . وأما ملحظ فوجهها أنه مصدر ميمي قياسي من لحظ ، أو اسم مكان بحسب مواقع الاستعمال .

١٠٧ - لعب دوراً :

إننا في كل يوم نسمع هذه العبارة مرات عديدة ، وأظن أنه من الصعوبة أن نستخرجها من عباراتنا في الوقت الحاضر ما دامت انتشرت هذا الانتشار الواسع ، بل إن كثيرين يرون أنها صحيحة ، أو صارت كالصحيح لأنها استعملت بكثرة ، ويقولون : خطئاً شائع خيراً من صحيح مهجور ، ولا أعرف من أين جئنا بهذا التسويغ ١٩ ، ومن

قال لنا إن البديل الصحيح هو من المهجور ، وهذه بعض الجمل فيها الخطأ ، وستجد الصواب غير المهجور ..

تقول : يلعب الاتحاد الأوروبي دوراً بارزاً في عملية السلام .. فما المانع من قولنا للاتحاد الأوروبي دور في عملية السلام ؟ .

وإن شئت قلت : يؤدي الاتحاد الأوروبي دوراً بارزاً .. وتقول : لعب الأدب العربي دوراً في تحرير المرأة .. فما المانع من قولنا : للأدب العربي دور كبير في تحرير المرأة ، وما المانع من قولنا : أدى الأدب العربي دوراً في تحرير المرأة .. لا ضرورة لاستعمال هذه العبارة المستحدثة لأننا نستطيع أن نأتي بجملة عربية صحيحة مستندة إلى ضابط اللغة .

ومن الخطأ الناتج عن الترجمة فهو في مثل قولنا : تشارك في الدورة الرياضية الإمارات العربية المتحدة ، البحرين ، لبنان ، مصر ، الكويت ، فلسطين ، وسورية ، والخطأ هو : أننا أثبتنا حرف العطف (الواو) قبل الاسم الأخير من الأسماء التي عدناها ، وهذا ليس بصحيح ، إذ لا وجه إعراب صحيحاً للكلمات الثانية فالثالثة فالرابعة .. فالتصويب سهل وواضح وهو أن نثبت حرف العطف بين كل اسم والاسم الذي يليه ، فنقول : تشارك في الدورة الرياضية الإمارات ، والبحرين ، ولبنان ، ومصر ، والكويت ، وفلسطين ، وسورية .

ومنه قولنا لا يُعرف ما إذا كان الصَّاروخ قد سَقَطَ في مكان أهل بالسكان أم لا .. ونقول :

ولا يُعرف عما إذا كان الأمر صحيحاً أو لا .. ونقول : ولا يعرف عما إذا كان .. فليس في العربية تركيب من هذه التراكيب ، لأن (ما) و(إذا) في الجمل السابقة وأمثالها لا إعراب لها ، والخطأ وإن كان من الترجمة إنما يُصحح بتعبير صحيح فصيح ، أي بترجمة العبارة إلى عبارة عربية سليمة ، وهذا ما نأمله من المترجمين ، إذ

لا ترجمة صحيحة ، ولا مترجماً دقيقاً إذا لم يكن متقناً للغتين العربية وللغة التي يترجم عنها ، ويمكن أن نصح فنقول : ولا نعلم هل وقع الصاروخ في مكان أهل بالسكان .. أو نقول : ولا يعلم هل كان الأمر صحيحاً أم لا ..

١٠٨ - مئة :

يستعمل الواحد منا كلمة (مئة) منذ المراحل الأولى لدراسته ، ثم يسمع حولها كلاماً كثيراً ، يتصل بكتابتها ولفظها ، فينبه إلى هذا وذاك ، ولكن لم يسأل مل واحد منا عن سبب كتابتها بهذا الشكل أو ذاك ، أو عن سبب لفظها بلفظين ، إن لفظ (مئة) من الألفاظ المستعملة بكثرة ، وقد قالوا لنا منذ المرحلة الابتدائية تكتب ألفها ولا تلفظ ، ولكن لم يقولوا ما السبب في ذلك ؟ وربما لم يعلم عند كثيرين حتى الآن ، وقد جرّ هذا الخطأ إلى خطأ آخر سنراه بعد قليل ، أما سبب كتابة الألف فهو أن هذه الألف تميز كلمة (منه) عن كلمة (مئة) عندما لم يكن التنقيط والضبط ، فأثبتوا هذه الألف للتمييز بين الكلمتين ، ومثل هذا كثير في كلمات عديدة ، أما الآن فقد أصبح التنقيط موجوداً ، وأصبحت الهمزة مثبتة في قواعد محددة ، فنسأل ويسأل كثيرون لماذا لا تُحذف هذه الألف بعد أن عُرف السبب ؟ وبعد أن صار الأمر سهلاً ؟ .

ونجيب فنقول : إن هذا يقع على عاتق مجامعنا اللغوية فهي التي تقرر هذا الأمر وربما يقول لك قائل : وما المانع من تركها وعدم لفظها ؟ فنجيب ونقول : يفضل أن تحذف هذه الألف لأن إثباتها قد جرّ إلى أخطاء أخرى ، فالطفل الذي أثبت له الألف في كتب المرحلة الابتدائية لا يعرف هذا الأمر ، بل يعرف أن تكون أمامه كلمة مضبوطة ليعرف قراءتها ، ثم إن عدداً من الكتب قد أثبتت له الكسرة تحت الميم وأثبتت الألف ، فبالله كيف سيستطيع الطفل لفظ الكلمة ؟ ونحن نعلم أن ما يحفظه الطفل يبقى عالماً في ذهنه ألم يقولوا لنا : العلم في الصغر كالنقش على الحجر ؟ ثم إن من يتابع القراءة ومن يستمع إلى هذا اللفظ يجد أن معظم الناس يفتح الميم فيقول :

(مائة) ، فإذا ما حاول أحدنا أن يطبق قاعدة الهمزة في هذه الكلمة بهذا اللفظ فإنه يجد أن الهمزة يجب أن تكتب على السطر لأنها مفتوحة وما قبلها ألف ساكنة مثلها مثل كلمة قراءة وغيرها . فهل كتبت همزة قراءة على نبرة ؟ ومن يتابع المذيعين والمذيعات وهم يقرؤون هذا اللفظ يجد أن عدداً منهم جَوَزَ لنفسه تخفيف الهمزة فيلفظها مائة ظناً منه أنها الأجل والأكثر رقة . بل إنها كتبت مائة .

نعود لنقول : إن كتابة كلمة (مئة) بميم فهمزة يخفف عنا وعن طلابنا الوقوع في الخطأ ، ولا أظن أن أحداً إذا ما رآها بهذا الشكل سيلفظها خطأً ١٩ إنما نرجو ممن يكتبون أو يقدمون مادة للقراءة أن يكتبوها بالشكل السليم للقراءة ، ولا سيما عند من يكتب للأطفال .

١٠٩ - حضر ما يقرب من عشرين - وتختلف ما يزيد على أربعين :

كان قرار لجنة الألفاظ والأساليب الحال على المؤتمر من قبل مجلس الجمع يتضمن إشيع هذا الأسلوب في كتابات المعاصرين ، وهو ما يعترض عليه بأن «ما» فيهما للعاقل، على حين أن الشائع في استعمال «ما» أن تكون لغير العاقل.

وقد درست اللجنة هذا ، وانتهت إلى قبول الأسلوب بالأدلة الآتية :

● الأول : أن النحاة يميزون استعمال «ما» للعاقل على سبيل الندرة .

● الثاني : «وهو أفضل الوجهين في رأي اللجنة» أن «ما» في التعبيرين نكرة موصوفة ومعناها هنا «عائد» ويكون المعنى حينئذ : حضر عدد يقرب من كذا أو يزيد عليه . ومثله ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى : «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم» سورة الأنعام ٦/٦ . إذ يرى جمهور من المفسرين أن «ما» في الآية نكرة موصوفة ، أي : مكناهم تمكيناً لم نمكّنكم لكم .

● الثالث : أن تكون «ما» موصولة صفة لغير عاقل ، والتقدير : حضر العدد الذي يقرب أو يزيد على كذا .

ولهذا كله ترى اللجنة إجازة هذا الأسلوب في المعنى الذي يستعمله المعاصرون .

١١٠ - أمسية :

تسمع كثيراً : أقام الشاعر فلان أمسية شعرية ، وهي من الأمسيات الشعرية الرائعة ، وتسمع أيضاً : حضرت أمس أمسية شعرية في المركز الثقافي ، والخطأ في هذا اللفظ يظهر في السماع ، لأن لفظ (الأمسية) لا يكون بتخفيف الياء بل بتشديدها (أمسية) فتقول : أقام الشاعر الكبير أمسية شعرية ، و حضرت أمس أمسية شعرية ، تقول : أتيت أمسية صبحوحة كل يوم ، وأمسية كل يوم ، أي كل يوم عند الصباح أو المساء ...

وثمة خطأ آخر يتصل بهذا اللفظ وهو جمع اللفظ المفرد ، فتسمع أمسيات وأمسيات ، بتخفيف الياء وتضعيفها ، ولكن لو عدنا إلى معاجمنا لما وجدنا جمعاً لهذا المفرد ، لا أمسيات ولا أمسيات ، وقد انفرد المعجم الوسيط (وهو معجم حديث) بذكر جمع لها ، وهو الأماسي ، مثل : أمنية وأماني .

فإذا كانت كلمة (أمسية) لا تظهر خطأ إلا في اللفظ فإن كلمة الأماسي لا تظهر في الكتابة ، ولا في اللفظ ، لأننا نستعملها ولكن يستعملها مقدمو البرامج الثقافية ، فما رأيهم وقد كثر عدد الشعراء وزاد ، كما كثر عدد الأماسي الشعرية وازداد ١٢ نرجو أن نسمعها صحيحة في البرامج الثقافية قبل البرامج الأخرى كاللقاءات .

١١١ - مَيّت ومَيّت :

ميّز عدد من اللغويين القدامى بين مَيّت بالتخفيف ومَيّت بالتشديد وتبعهم محدثون ، ومن يقرأ المعاجم يرى أن لا فرق بين اللفظين منذ القدم وسندل على هذا بعدد من الآراء التي وقف عندها القدماء .

ومن هذا ما جاء عند الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أنشده أحد العلماء اللغويين فقال :

أيما سألني تفسير مَيّت ومَيّت فدونك قد فسرت إن كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك مَيِّت وما المَيِّت إلا من إلى القبر يُحملُ
فكأنه يريد أن يقول : إن من لم يمِت مائت ومَيِّت ، ولكن رُدَّ هذا فقيل : وهذا
خطأ ، وإنما مَيِّت يصلح لمن قد مات وسيموت ، قال تعالى في سورة الزمر : «إِنَّكَ
مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» .

وقد جمع بين اللغتين الشاعر في قوله :

ليس من مات فاستراح مَيِّت إلهما المَيِّت مَيِّتُ الأحياء
إلهما المَيِّت من يعيش شقياً كاسفاً بالله قليل الرجاء
فجعل المَيِّت كالمَيِّت .

ومن الأدلة الأخر قول عالم لغوي آخر هو الزجاج ، قال :
المَيِّتُ المَيِّت بالتشديد إلا أنه يخفف ، يقال : مَيِّت ومَيِّت . والمعنى واحد ،
ويستوي فيه التذكير والتأنيث ، قال تعالى في سورة الفرقان الآية (٤٩) : «لِيُحْيِي بِهِ
بَلَدَهُ مَيِّتًا» .

وأيد هذا ما قاله الآخر : إن (مَيِّت) بالتخفيف إنما أصله (مَيِّت) بالتشديد
فِيُخَفَّف وتُخَفِّفُه لم يحدث فيه معنى مخالفاً لمعناه في حال التشديد . ويؤيد هذا أيضاً
قول الشاعر :

ألا ياليتني والمرء مَيِّت وما يُفنى عن الحدَّانِ كمَيِّت
فقد جعل الميت المخفف كالمَيِّت الذي لم يمِت ، ألا ترى أن معناه : والمرء
سيموت . وتعليقاً على قولنا السابق : يجوز فيه التذكير والتأنيث ، نقول : يجوز تأنيث
الكلمة فيقال هي مَيِّتة ومَيِّتة .

ويتصل بهذا لفظ المَتَمَات وهو لفظ صحيح — كما نعلم — هو من يتظاهر
بالموت وأصل الكلمة للناسك المراتي الذي يُظهر أنه كالميت في عباداته رياء وسُمعة ،
وكانه يتزَيَّاً بزِيِّ العُباد ، جاء في حديث أبي سَلَمَةَ «لم يكن أصحابُ محمد صلى الله

عليه وسلم مُتَحَرِّقِينَ وَلَا مَتَمَاوَتِينَ» ، يقال : حَرَّبْتُهُ فَمَتَمَاوَتْ إِذَا أَرَى أَنَّهُ مَيِّتٌ
وهو حيٌّ .

١١٢ - الميزة :

تقول : إِنَّ فِي الْعِلْمِ مِيزَاتٍ كَثِيرَةً فَتَضَعُفُ الْبَاءُ ، وَمِفْرَدُهَا الْمِيزَةُ بِالتَّضْعِيفِ أَيْضاً ،
وهذا خطأ ، والصواب بتخفيف الباء ، فتقول : لِلْعِلْمِ مِيزَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَمِفْرَدُهَا مِيزَةٌ
بِالتَّخْفِيفِ أَيْضاً ، وَالْفِعْلُ مِنْهَا : مَازَ يَمِيزُ ، وَأَمَازَ وَمِيزَ وَكَذَا امْتَازَ ، وَانْمَازَ ، وَتَمِيزَ ،
قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى
يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ ، وَمَعْنَى مَازَ الشَّيْءُ — وَهُوَ كَمَا وَاضَحَ فِي الْآيَةِ — عَزَلَهُ
وَفَرَزَهُ ، أَوْ فَضَّلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَمَعْنَى امْتَازَ الْقَوْمُ تَمِيزَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَانْمَازَ
مَعْنَى الْفِعْلُ اسْتِمَازَ فَهُوَ تَنَحَّى ، قَالَ الْأَخْطَلُ :

فَإِنْ لَا تَمِيزُهَا قَرِيشٌ بِمُلْكِهَا يَكُنْ عَنْ قَرِيشٍ مُسْتِمَازٌ وَمَزْحَلٌ

وَمِنْ الْجَمَازِ تَمِيزُ الرَّجُلُ مِنَ الْغَيْظِ تَقْطَعُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَلِكِ : ﴿تَكَادُّ
تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ .

١١٣ - نَبَّهَ عَلَى الْأَمْرِ / إِلَى الْأَمْرِ :

يَكْثُرُ — أَيْضاً — اسْتِعْمَالُ الْفِعْلِ نَبَّهَ مُتَعَدِّياً مَرَّةً بِحَرْفِ الْجَرِّ (إِلَى) وَمَرَّةً
بـ (عَلَى) فَهَلْ تَقُولُ : نَبَّهْتَ الطَّالِبَ إِلَى كَذَا ، أَمْ نَبَّهْتَهُ عَلَى كَذَا ؟ .

قَالَتِ الْمَعَاجِمُ : تَقُولُ : نَبَّهْتَ لِلْأَمْرِ إِذَا فَطَنْتَ ، وَنَقُولُ : نَبَّهْتَ عَلَى الْأَمْرِ بِمَعْنَى
شَعَرْتَ بِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ : نَبَّهْتَ فَلَاناً عَلَى الشَّيْءِ ، إِذَا وَقَفْتَهُ عَلَى الشَّيْءِ
فَتَنَّبَّهَ عَلَيْهِ ..

وَكَمْ مِنْ كِتَابٍ صَحَّحَ هَذَا الْخَطَأَ ، وَصَوَّبَ هَذَا اللفظَ ، أَوْ الاسْتِعْمَالَ ، وَرَجَّحَ
وَاحِداً عَلَى آخَرَ ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ هَؤُلَاءِ الْاسْتِعْمَالَيْنِ صَحَّةٌ ، وَإِنْ شِئْنَا الْجَمَازَ فَلْنَقْرَأْ مَا
أُورِدَتْهُ الْمَعَاجِمُ وَتَرَكْ لَكَ حُرِيَّةَ الْإِخْتِيَارِ .

١١٤ - مندوب :

تقول : فلان مندوبٌ إلى وزارة كذا ، وفلانة مندوبة إلى مديرية كذا ، وتسمع :
فلان مندوب سورية في الأمم المتحدة ، وغير هذا كثير ...
وكلمة (مندوب) صحيحة فهي من الفعل (نَدَبَ) ، ولكن ما يُلاحظ أن بعضنا
يستعمل مُنْدَب ، وهذا غير صحيح ، وقد انتشر في بعض المخططات ووسائل الإعلام
الأعصرى ، وهو — كما قلنا — من الفعل نَدَبَ ، والنَّدَبُ أن يَنْدُبَ إنسان قوماً إلى
أمرٍ أو عملٍ أو حربٍ أو معونة ، أي يدعوهم إلى هذا فيندبوا له أي يجيبوا أو
يسارعوا ، وندبه إلى الأمر وجهه .

١١٥ - نَزَر ونَزِير (بالزاي) :

ولكن كثيرين يلفظون هاتين الكلمتين بالذال ، نذر ونذير ظناً أن من يلفظ
بالزاي يلغ بالذال ، تقول : وهذا نزر يسير ، أي قليل . ثمة فرق واضح بين النذير
وبين النُّزير ، ومعروف أن النُّزَر هو القليل من كل شيء ، ومثله النُّزير والنُّزور ،
تقول : طعام نزير ، ومال نزير ، قال الشاعر :

بطيء من الشيء القليل احتفاظه عليك ومنزور الرضا يغيبُ

والفعل من هذا اللفظ هو نَزَر بضم الزاي ، نَزَر الطعام إذ قلَّ .

١١٦ - أُنعم النَّظَر وأمعن النَّظَر :

تقول : أمعن الطالب النَّظَر في مسألة الرياضيات ، وتقول : أمعن فلان النظر في الأمر
إذا تمادى ، وبالغ فيه ، وكذلك تقول : أُنعم الطالب النظر في مسألة الرياضيات ، وأُنعم
فلان النظر في الأمر إذا تمادى ، وبالغ فيه ، ونظن أن واحداً صحيح والآخر خطأ ، ونقول :
الكلمتان صحيحتان أو التعبيران صحيحان ، وكذا نقول أُنعم فلان النظر في كذا إذا تأمله
وفكر به بدقّة ، وتقول : إذا أُنعمت النَّظَرَ في الكون أدركتَ عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

١١٧- النمط :

تقول : هذا نمط من الخطوط ، وهذا نمط من الكتابة جيد ، أو نوع ، وهذا اللفظ فصيح صحيح ، من معانيه الطريفة ، والنوع ، والضرب ، والمذهب ، والفن ، فتقول : هذه طريقة ، وهذا نوع أو ضرب ... أي نمط ...

ومن معاني النمط أيضاً جماعة من الناس الذين أمرهم واحد ، جاء في الحديث : خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ، ويرجع إليهم الغالي» ... ومن معانيه أيضاً :

أنه نوع من الثياب المصبوغة ، وجمعه أنماط ، جاء في حديث ابن عمر : «أنه كان يحمل بدنه الأنماط» .

١١٨- نوّه :

نقول : نوّه فلان إلى كذا ، ونقصد أشار فلان إلى كذا ، وكثيراً ما تقرأ في الصحف عنوان «تنويه» ، ويريدون منه الإشارة إلى خطأ وقع سابقاً ، ويريدون تصحيحه .. ولكن لا صحة لهذا الفعل بهذا المعنى ، أما المعنى الصحيح فهو رفع قدره ، نقول : نوّهت بفلان إذا رفعت من قدره شأنه ، ونوّهت باسم فلان إذا رفعت ذكره ، قال عمر (رضي الله عنه) : «أنا أوّل من نوّه بالعرب» . وفي حديث الزبير : «أنه نوّه به علي أي شّهّره وعرفه» ونقول : نوّه فلان باسم فلان إذا رفعه وطير به وقوّاه وعلى من شأنه . قال الشاعر :

ونوّهت لي ذكرى وما كان خاملاً ولكنّ بعض الذكر أنبه من بعض

١١٩- نيف :

من الكلمات الكثيرة الاستعمال ولا سيما مع الأعداد والأرقام كلمة نيف ، لكننا

لا نقرؤها صحيحة ، أي أننا نستعملها خطأ ، فنقول مثلاً : استمرّ هطول الأمطار شهراً ونيفاً ، أو نقول : زادت سماكة الثلوج على سبعة أمتار ونيف ، ونقول : ما زالت الحربُ مشتعلة منذ خمس سنوات ونيف ..

ونحن نقصد باستعمال كلمة (نيف) زيادة على الشهر ، أو زيادة على سبعة الأمتار أو زيادة على خمس السنوات .. وفي هذا كله خطأ في إثبات كلمة نيف أو في استعمالها ، والسبب أن كلمة (نيف) تستعمل بعد العقد والعقد — كما تعلم — هو عشر سنوات ، فنقول : استمرّ هطول الأمطار عشرة أيام ونيفاً ، أو عشرين يوماً ونيفاً ، أو ثلاثين ونيفاً .

ونقول : ظلت الحربُ قائمة مئة يوم ونيفاً ، أو ألف يوم ونيفاً ...
ونضيف فنقول :

إن كلمة النيف تفيد الزيادة ، فهل يصحّ أن أستخدم هذه الكلمة كيف كان؟ أي أن تكون صالحة لكل زيادة ؟ نحبب فنقول : لا .

إن الزيادة المقصودة من كلمة نيف على الأغلب الأعم ، تفيد من واحد إلى ثلاثة فقط ، فإذا ما قلت : زرت ثلاثين موقعاً أثرياً ونيفاً فإني أقصد واحداً أو اثنين أو ثلاثة زيادة على الثلاثين ، ولا يجوز أن تكون الزيادة أربعة أو خمسة ... إلى التسعة.

١٢٠- ما هي الأسباب — ما هو رأيك — من هو مؤسس الدولة ؟ :

جاء في قرارات مجمع اللغة العربية : «يخطئ بعض نقاد اللغة ما تحري به الأعلام في اللغة المعاصرة من أمثال هذه التعبيرات التي يستعمل فيها الضمير بعد «ما» أو «من» الاستفهاميتين ، وحتّهم في ذلك أن الضمير لا مرجع له هنا بحسب الظاهر .
وقد انتهت اللجنة بعد دراسة المسألة إلى أنه يمكن تخريج هذه التعبيرات ونحوه بأحد الأوجه الآتية :

- ١- أن يكون الضمير ضمير فصل ليبدل على أن ما بعده خير عما قبله .
 - ٢- أن يكون الاسم الظاهر بدلاً من الضمير قبله .
 - ٣- أن يكون الضمير مبتدأ ثانياً ، وما بعده خير ، والجملة خبر المبتدأ الأول .
ولهذا ترى اللجنة أن هذه التعبيرات المذكورة فيما يستعمله المعاصرون صحيحة .
غير أن هذا القرار يحتاج إلى إعادة نظر في استعماله ، وذلك على النحو الآتي :
 - ١- يغلب على استعمال هذا الضمير أنه لا يقع مسنداً إليه ، بل يقع بين المبتدأ والخبر أو بين ما أصلهما مبتدأ وخبر ، ليفيد معنى التوكيد ، أي توكيد الإسناد .
قال تعالى : «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» .
وقال تعالى : «لا علمَ لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليمُ الحكيم» .
فضمير الفصل وقع بين المبتدأ والخبر ، وبين اسم حرف مشبه بالفعل وخبره .
 - ٢- ذهب أكثر النحاة إلى أن ضمير الفصل لا محل له من الإعراب ، قال تعالى :
«اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء» .
وقال تعالى : «فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم» .
وقال تعالى : «إن ترني أنا أقل منك مالا وولداً» .
والشواهد التي وردت على أن لضمير الفصل محلاً من الإعراب كانت قليلة جداً ،
من ذلك ما جاء في بعض القراءات القرآنية : «وما ظلمناهم ، ولكن كانوا هم
الظالمون» ، وجاء في الحديث النبوي قوله (ﷺ) : «كل مولود يولد على الفطرة حتى
يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه» .
ومما يستأنس به قول الشاعر :
- دَعُ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ وداوِي بِالسَّيِّئِ كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
- ولهذا يفضل ألا نقول : ما هي الأسباب — ما هو رأيك — من هو مؤسس
الدولة. والصحيح : ما الأسباب ؟ ما رأيك ؟ من مؤسس الدولة ؟

وقال تعالى : « ادْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا » البقرة ٦٩ .

١٢١ - متوفرة ومتوافرة :

يكثر استعمال هاتين الكلمتين ، تقول : إن المواد التموينية متوفرة في هذا المحل أو متوافرة ، وتقول : إن لديه أموالاً متوفرة أو متوافرة ونسمع هاتين الكلمتين ونستعملهما كثيراً ، وكذلك نستعمل منهما الفعل ، فنقول : توفر الطعام للفقراء ، أو توافر الطعام لهم ، فما الصواب ؟ .

التوفر : هو الغنى من المال والمتاع الكثير الواسع الذي لم ينقص منه شيء ، أو هو العناء من كل شيء ، تقول : أرض وفراء ، إذا كان فيها خير كثير ، وتقول : وفرة توفيراً إذا كثره أي جمعه كثيراً ، والتوافر الكثير أيضاً ، ومثله الموفور والوافرة هي الدنيا ، قال الشاعر :

وعلمنا الضُّحَى أباً لنا
وخط لنا الرمي في الوافرة

ويقال : هم متوافرون أي هم كثير ، ومن هنا صح استعمال شروط متوافرة وأحكام متوافرة وأهداف متوافرة ، وحظوظ متوافرة ، والفعل من هذا هو توافر ، فنقول : توافر الطعام ، وتوافر الماء ، وتوافر المال ، وتوافرت الأحكام والشروط والحظوظ .. ولا يجوز لنا أن نقول : توفر الطعام أو المال أو الحياة وهذا يجعلنا لا نقول : متوفرة .

١٢٢ - مدحه مدحاً لا يفیه حقه :

ورد في قرارات مجمع اللغة العربية : « يخطئ بعض اللغويين ما تجري به أقلام المعاصرين من نحو قولهم (مدحه مدحاً لا يفیه حقه) ، على أساس أن المدح (وفي) هنا تعدى إلى مفعولين ، على حين أنه لم يرد في المعجمات لا لازماً أو مستنداً إلى واحد في مثل : وفي الدرهم المثقال : عدله ، وفي فلان نذره : أداه » .

درست اللجنة هذا ، وانتهت إلى أن الأسلوب ممكن إجازته على أساس أن الأصل في قولهم «لا يفيه حقّه» : لا يفِي حقَّ فلان ، وعلى هذا تكون (حقّه) بدل اشتغال من الاسم السابق الواقع مفعولاً به في الأسلوب المعاصر .
ولهذا ترى اللجنة إجازة قول القائل : «مدحه مدحاً لا يفيه حقّه» في المعنى الذي يقال فيه .

٢٥٣



الملحق رقم (١) الجديد في دلالة التعبير

جاء في قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة : «يجري على أقلام الكتاب ، وعلى الألسن مثل قولهم (صورة معبرة ، وسلوك تعبيرى ، ورقص تعبيرى ، وعبر بصمته عن رضاه ، بمعنى الإبانة بالحركة أو العمل أو التصرف ، وفي هذا إطلاق التعبير بصور مختلفة» .

أما الذي ورد في معجمات اللغة فهو أن التعبير بمعنى التفسير والإبانة بالقول ، بيد أنه ورد في بعضها : عبّر عما في نفسه : أعرب ويّين ، ثم توسعنا في إجازة إطلاق التعبير لمجرد الدلالة ، سواء كانت بالحركة أو الإشارة أو السكون ، كما يجري في الاستعمال الحديث ، ويشهد بذلك ما نصّ عليه صاحب المقاييس ، في أصل معنى عبّر عن أنه يحمل دلالة الانتقال والنفوذ أو التفسير والإبانة : وعلى هذا ترى اللجنة إجازة ما يجري على الألسن والأقلام .

● جواز تسكين الأعلام المتتابعة مع حذف ابن :

هذه المسألة من الموضوعات المزمّنة في مجمع اللغة العربية ، فقد عرضت عليه غير مرة دون أن يتخذ قراراً فيها ، واستطاعت لجنة الأصول أن تتخذ القرار الآتي :
بعد مناقشة الموضوع وما قدّم فيه من مذكرات ، انتهت اللجنة إلى :
ترى اللجنة إجازة ما يجري على الألسنة من حذف ابن في الأعلام المتتابعة في مثل : سافر محمد علي حسن ، وتضبط هذه الأعلام على أحد الوجوه الآتية :

١- يُعرب العلم الأول بحسب موقعه ، ويُجرّ ما يليه بالإضافة .

٢- تُسبّكن الأعلام كلها إجراءً للوصول بحرى الوقف .

● التغطية بمعنى الاستيعاب :

ورد في قرارات مجمع اللغة العربية : «يستعمل المعاصرون كلمة (التغطية) بمعنى الإحاطة والشمول والاحتواء ، في مثل قولهم : غطّى الصحفيون أنباء المؤتمر، بمعنى استوعبوها وأحاطوا بها . واللجنة مع علمها بأنه غير مسوغ في اللغة، وأنه منقول بطريق الترجمة من لغة أجنبية ، فإنها تميزه على أساس أن التغطية بهذه الدلالة استعبرت للاستيعاب على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية» .

● صاروخ أرض جو أو جو أرض :

ورد في قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة : «يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : صاروخ أرض أرض ، أو أرض جو ، أو جو جو ، أو جو أرض» ، وهو تركيب يخفي وجه ضبطه وتخريجه .

درست اللجنة هذا التركيب وانتهت إلى أن لمعنى فيه : أنه صاروخ ينطلق من الأرض إلى الجو ، أو من الجو إلى الأرض ...

كما انتهت إلى أنه من أساليب الإضافة : فالكلمة الأولى هي صاروخ تضبط على حسب موقعها في الجملة ، وهي مضافة إلى كلمة جو أو أرض التي هي أيضاً مضافة إلى ما بعدها .

لهذا ترى اللجنة إجازة هذا التعبير في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه» .

وافق المؤتمر على هذا القرار مع ملاحظة أن الإضافة في التعليل على معنى اللام أي صاروخ أرض أرض .

ملحق (٢)

تعايير أوروبية في العربية الحديثة^(١)

بدأ الغرب يقترب من الشرق العربي في بداية هذا القرن ، وكان الناس قبل ذلك في معزل عن هذه الحضارة الوافدة ، وفي مأمن من هذا الغزو الذي جر عليهم الوبال . غير أن الغزو لم يقتصر على الميدان السياسي فحسب ، بل تعدى ذلك إلى غيره من الميادين ، فقد أخذ هذا الشرق العربي رضي أم كره هذه الحضارة التي تعتمد في جوانب متعددة منها على الخير ، فهي ليست شرّاً يتعافاه الناس أبداً .

وكان من نتيجة هذه الحضارة أن تأثر العربي وهو في بيئته بها ، تأثر في أفكاره ، وتأثر في طريقة عيشه ، وتأثر في جوانب كثيرة من جوانب حياته اليومية ، وصار العربي يقرأ لمرات الفكر الأوروبي في اللغات التي كتبت بها . وكان من جراء ذلك أن اللغة العربية الحديثة استفادت شيئاً جديداً أو قل أشياء جديدة ، أقول استفادت بمعناها الواسع الشامل ، فقد وجدت فيها أساليب كثيرة لم تكن إلا وليدة الترجمة ، هذه الأساليب غريبة عن العربية ، فهي بنت ظروف وأحوال اجتماعية لم توجد في هذا الشرق العربي . غير أن العربية وهي السمحة السهلة ، اللينة ، الطيعة ، لم تنكر لهذه الأساليب فقد قبلها الاستعمال وراضها حتى توهم القارئ وهو يقرأ صحيفته اليومية أن السدي يقرؤه عربي لم يعتوره الدخيل ، ولم يقتصر الأمر على القارئ الذي لا يعنيه

(١) هذا البحث مقتبس من كتاب فقه اللغة المقارن : للدكتور . هشام السامرائي .

أمر العربية وأطوارها ، وموضوع اللغات وأسرارها ، بل نحفي ذلك على القارئ
القطن المختص ، فقد تجاوزت هذه الأساليب لغة الصحف السائرة إلى المقالة الأدبية
الحديثة .

ولتوضيح ما ذهبنا إليه سنستوفي ما أمكن استيفاؤه من هذه الأساليب ليقف عليها
القارئ ويرى ويحكم على العربية وقدرها على النماء والتوسع وعلى قدر ما تأثرت به
سلباً وإيجاباً ، أقول سلباً وإيجاباً ، لأن طائفة من هذه الأساليب لم تستفد منها العربية
غنى وثروة لغوية ، فقد ترجمت وحشرت في العربية ، وكان سبب ذلك كله جهل من
تصدى للترجمة بأصول العربية وفنون القول فيها فلم يتيسر لهم نقل الأفكار الغربية
بأسلوب عربي . ولو عرف هؤلاء بلاغة العرب ، وعرفوا أسرارها لما اندست في العربية
أساليب غريبة عنها بحيث لا تعد من طائفة المصطلح الفني «Terme Technique» الذي
نجتهد في أن يتوافر لدينا .

ولا ضرر على العربية من دخول طائفة من هذه الأساليب ، بل ربما أفادت منها
وأثرت ونمت ، وقد علمنا أن لغتنا قبلت من الدخيل الغريب شيئاً كثيراً على مر
العصور ، ومن صفات اللغة الحية أن تقبل من غيرها فتزدهر وتنمو . وإذا علمنا أن
اللغة ظاهرة اجتماعية ، فقد قبلنا أنها متطورة متجددة يؤثر فيها الزمان والمكان ، وقد
خضعت العربية لسنة التطور ، فتنوعت أساليبها ، فماتت فيها ألفاظ وحدثت أخرى .
ودونك الكثير من ألفاظ الشعر الجاهلي التي أصبحت «متحجرات لغوية» إن جاز هذا
التعبير ، والتي لا نجد لها في لغة القرآن والحديث ولغة الأدب في صدر الإسلام .

وقد حدثني بعضهم أن العربية اعتمدت على المجاز والاستعارة والكناية ، وكانت
هذه وسائل لزيادة ثروة اللغة ، فلم نعد طائفة كبيرة من الأساليب الحديثة التي دخلت
في لغة الصحف اليومية ولغة الكتابة السائرة مترجمة دخيلة ؟ وأقول رداً على هذا
الاستفهام : إن المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التي أمدت العربية بأساليب

كثيرة وأفادت منها فائدة عظيمة . بحيث لم نستطع الآن أن نحصى هذه الأساليب وأن نتبينها ، وذلك بأن جزءاً كبيراً من هذه المجازات مثلاً صار ملتبساً بالحقيقة أو كأنه استعمال حقيقي لشيوعه وذيوعه ، ولأن الاستعمال الحقيقي بالأصالة صار منسياً ، فاحسب أثره ولم يعد مستعملاً أبداً .

على أن هذه الوسائل وهي المجاز والاستعارة والكناية لم تكن مقتصرة على العربية فهي في كل اللغات ، واللغات مختلفة فيها ، فقد نجد استعمالاً مجازياً في لغة مودياً معنى من المعاني ، يختلف عن مجاز آخر في لغة أخرى مود للمعنى نفسه . وعلى هذا فالمجازات التي ذكرناها في هذه المقالة واعتبرناها من الدخيل الطارئ في العربية هي من هذا الباب ، أي مما لم تألفه العربية في أساليبها فهي مترجمات من لغة أخرى . وعمر هذه الأساليب ربما لم يتجاوز نصف القرن الماضي .

وسواء رضينا أم لم نرض فقد اندس هذا الدخيل الوافد فتعرب . ولا بأس من ذلك كما أسلفنا ، ذلك أن طائفة كبيرة منها مما تدعو إليه الضرورة ، وأن ألفاظها عربية فصيحة ، وأن باب التوسع والمجاز بعد كل ذلك مفتوح . ودونك شيئاً من مقررات المجمع اللغوي المصري في هذا الموضوع : (فالباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخله بسلام ، إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي ، وإنما هي كلمات عربية محضة ، ركبت تركيباً خالصاً ، لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفاده بتلك الكلمات) .

وعلى هذا فلا ينبغي أن يفهم القارئ أي في معرض تخطئة الكتاب ، أو أنني من أولئك الذين ييغون الحفاظ على العتيق البالي ، ولكني أسجل هذه الأساليب أحياناً بالمنهج العلمي وخدمة للعربية وإظهاراً للأطوار التي تحتازها الكلمة عبر العصور وما يجد ويستحدث فيها .

وأنا أعرض الآن من هذه الأساليب ما انتهى إليه استقرارني لنصوص العربية الحديثة

كما هي مثبتة في الصحف والمجلات والكتب الحديثة :

استعمال الفعل (عاد) في تركيب لم يعرف في العربية ، وإنما حدث ذلك عن طريق الترجمة كأن نقول : (لم يعد فلان قادراً) وهذا ترجمة لاستعمال أوربي كما في الفرنسية :

Il n'est pas capable.

Il pleure amèrement

ونقول : يبكي فلان بكاءً مرّاً ، وهو من :

وسا دمنا بصدد البكاء فلا بد أن نشير إلى الجملة الآتية والتي تتردد في الصحف

والكتابات الحديثة ، وهي : هو يبكي بدموع التماسيح ^(١) . ومعناها معروف ، وهي

Il pleure aux Larmes de crocodile

من التعبير الفرنسي :

To shed crocodiles tear

وفي الإنكليزية :

Surire calme

ونقول : ابتسامة هادئة ، وهذا من الفرنسية :

Calm smile

وفي الإنكليزية :

ونقول : هو يمثل الرأي العام ^(٢) ، وهو من قولهم في الفرنسية :

Il represente l'opinion publique

وفي الإنكليزية :

He represents public opinion

ونقول : هو يسهر على المصلحة العامة ، وهذا من الفرنسية :

Il veille sur le bien commun

^(١) من المفيد أن نشير إلى أن شيئاً من هذا التعبير قد جاء في أرجوزة ابن المعتز في البيت الذي نثبتته ، غير أننا لا بد أن نؤكد أن التعبير الشائع لم يكن عربي الأصل كما استعمل عند ابن المعتز ، وإنما جاء عن طريق الترجمة من اللغات الأوروبية .

البيت : ثم بكوا من بعده وناحوا كذباً كذاك يفعل التماسيح

^(٢) تحصيل كلمة (الرأي العام) هذا المعنى هو من الباب الذي نسجله في هذه الصفحات ، وكذلك استعمال الفعل (مثل) هذا الاستعمال ، داخل في هذا الباب أيضاً .

ونقول : هذه القضية مطروحة على بساط البحث ، وهذا كما في العبارة

Cette cause est mise sur le tapis الفرنسية :

ونقول : ذر الرماد في العيون ، وهو في الفرنسية :

Il jett de la poudre aux yeux

وفي الإنكليزية :

To throw dust in the eye

ونقول : لقتل الوقت ، وهو في الفرنسية :

Pour tuer le temps

وفي الإنكليزية :

To kill the time

ونقول : هو يلعب دوره ، وهو في الفرنسية :

Il joue son rôle

وفي الإنكليزية :

He plays his part

ونقول : بدوره ، وهو في الفرنسية :

À son tour

وفي الإنكليزية :

In his turn

ونقول : أعطى وعداً ، وهو في الفرنسية :

Il a donné rendez-vous

وفي الإنكليزية :

To give a promise

ونقول : هو أعطى صوته ، وهو في الفرنسية :

Il a donné sa voix

وفي الإنكليزية :

To give one's vote to

ونقول : هو يكسب بعرق جبينه ، وهو في الفرنسية :

Il gagne à la sueur de son front

ونقول : هو مع رفيقه على قدم المساواة ، وهو في الفرنسية :
Il est sur pied d'égalité avec son ami
وفي الإنكليزية :

He is on equal footing with his friend
ونقول : حجر عثرة ، وهو في الفرنسية :
Pierre d'achoppement
وفي الإنكليزية :

A stumping block
ونقول : لعب ورقته الأخيرة ، وهو في الفرنسية :
Il a joué sa dernière carte
وفي الإنكليزية :

He played his last card
ونقول : أعطاه ورقة بيضاء ، وهو في الفرنسية :
Il lui a donné une carte blanche
وفي الإنكليزية :

To give a blank cheque
ونقول : هو يلعب بالنار ، وهو في الفرنسية :
Il joue avec le feu
وفي الإنكليزية :

To play with fire
ونقول : هو يصطاد في الماء العكر ، وهو في الفرنسية :
Il pêche en eau trouble
وفي الإنكليزية :

To fish in troubled water
ونقول : على شرف فلان ، وهي في الفرنسية :
En son honneur
وفي الإنكليزية :

On his honor

ونقول : توترت العلاقات ، وهي في الفرنسية :

Les reports sont tendus

ونقول : الأوساط المطلعة ^(١) ، وهو في الفرنسية :

Les milieux les bien informés

وفي الإنكليزية :

Well-informed quarters

ونقول : الأوساط الجديرة بالثقة ، وهي في الفرنسية :

Les milieux dignes de foi

وفي الإنكليزية :

Trust worthy circles

ونقول : الدوائر العليا ، وهو في الفرنسية :

Les hauts cercles

وفي الإنكليزية :

The higher circles

ونقول : دفع الثمن غالياً (بالاستعمال المجازي بمعنى لقي الصعاب من جراء أمر

من الأمور ، أو عمل من غير تفكير) وهو في الفرنسية :

Il a payé cher

وفي الإنكليزية :

He paid dear

ونقول : ركّز ^(٢) البحث على نقاط معينة ، وهو في الفرنسية :

Il a concentré sa recherche sur certains points

وفي الإنكليزية :

He concentrated on certain points

^(١) إن من يترجم العبارة الأجنبية باستعمال (المحافل المطلعة) يكون الصق بالعربية وفصاحتها ،

لأن الأوساط جمع وسط ، ولم يعرف عن الوسط في العربية هذا الانتقال المجازي .

^(٢) التركيز بهذا المعنى دُخِل استعماله المشتغلون بالكيمياء .

ونقول : أكد على ^(١) نقاط معينة ، وهو في الفرنسية :

Il a insisté sur certains points

وفي الإنكليزية :

Strained relations

ونقول : ضحكة صفراء ، أو ابتسامة صفراء ، وهو في الفرنسية :

Rire jaune

ونقول : كرّس ^(٢) حياته ، وهو في الفرنسية :

Il a consacré sa vie

وفي الإنكليزية :

To sacrifice one's life

ونقول : المصائب محك الصداقة ، وهو في الفرنسية :

Les malheurs sont le Pierre de touché de l'amitié

ونقول : نزولاً عند رغبته ، وهو في الفرنسية :

Cedant à son desir

وفي الإنكليزية :

At his own request

ونقول : الضرورة الملحة ، وهو في الفرنسية :

Nécessité insistante

وفي الإنكليزية :

Insisting needs

ونقول : بكل معنى الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Dans tout le sens du mot

وفي الإنكليزية :

(١) تعدية الفعل (أكد) يعطى بسبب التركيب الأجنبي فالفعل الأجنبي في هذا المعنى يتعدى بهذا الحرف، والصواب أن الفعل العربي يتعدى بنفسه .

(٢) الفعل كرس من الألفاظ المسيحية الكنسية ، وهو من أصل سرياني آرامي على أن التركيب كله دخيل في العربية ، وهو مترجم عن العبارة الفرنسية .

In the full sense of the word

ونقول : وضع النقاط على الحروف ، وهو في الفرنسية :

Il a mis les points sur les ii

ونقول : أجاب بالحرف الواحد ، وهو في الفرنسية :

Il a répondu à la letter

وفي الإنكليزية :

He emphasized certain points

ونقول : أثر عليه ^(١) ، وهو في الفرنسية :

Influer sur lui

ونقول : يبلور الفكرة ، وهو في الفرنسية :

Il cristalisé son idée

ونقول : يسمم الرأي العام ، وهو في الفرنسية :

Il empoisonne l'opinion publique

وفي الإنكليزية :

To poison the public opinion

ونقول : نحقق الحريات ، وهو في الفرنسية :

Etranglement de libertiés

وفي الإنكليزية :

To strangle the liberties

ونقول : الضمير العالمي ، وهو في الفرنسية :

La conscience mondiale

وفي الإنكليزية :

The world conscience

ونقول : مؤتمر المائدة المستديرة ، وهو في الفرنسية :

Congrès de table ronde

^(١) وتعديّة الفعل (أثر) يعلى بسبب نظيره الفعل الأجنبي الذي يتعدى يعلى ، أما الفعل العربي فالفصيح أن يتعدى بحرف الجر (في) .

وفي الإنكليزية :

Round table conference

ونقول : طبقه على مقياس واسع ، وهو في الفرنسية :

Il l'a pratiqué en large mesure

وفي الإنكليزية :

He applied it on a wide scale

ونقول : هو يعمل في إطار ضيق ، وهو في الفرنسية :

Il travaille dans un cadre très restreint

وفي الإنكليزية :

He works in a narrow circle

ونقول : إطارات الجيش ^(١) ، وهو في الفرنسية :

Les cadres e l'armée

ونقول : العين الجردة ، وهو في الفرنسية :

Un œil nu

وفي الإنكليزية :

Naked eye

ونقول : إن لم تخني الذاكرة ، وهو في الفرنسية :

Si la mémoire ne m'a pas trahi

ونقول : حرق البخور ^(٢) لسيده ، وهو في الفرنسية :

Il a brûlé de l'encense pour son maître

وفي الإنكليزية :

He burnt the incense for his sir

^(١) دلالة الإطار في العربية معروفة ، ولم يستعمل هذا الاستعمال المجازي ، واستعماله هذا على طريقة المجاز نقل للاستعمال الفرنسي الذي أشرنا إليه . ومن أجل ذلك كثر هذا الاستعمال في الصحف العربية في الشمالي الإفريقي بصورة خاصة ، أما أهل المشرق العربي فيستعملون في هذا المقام ألفاظاً عربية مثل (الملاك ، والتنظيمات وما أشبه ذلك) وربما وجدنا لفظ (الكوادر) مستعملة على صورة جمع للكلمة الأجنبية ، كما يحدث في الصحف اللبنانية والمصرية .

^(٢) تعبير ذو أصل ديني مسيحي متصل بالبخور الذي يحرق في الكنائس .

ونقول : الأكثرية الساحقة ^(١) ، وهو في الفرنسية :

La majorité écrasante

وفي الإنكليزية :

Overwhelming majority

ونقول : على هامش السياسية ^(٢) ، وهو في الفرنسية :

En marge de la politique

وفي الإنكليزية :

On the margin of the policy

ونقول : التراب الوطني ^(٣) ، وهو في الفرنسية :

Le territoire national

وفي الإنكليزية :

National territory, dominion

ونقول : جرح شعوره ، وهو في الفرنسية :

Il a blessé son amour

وفي الإنكليزية :

He wounded his feeling

ونقول : أخذ بنظر الاعتبار ، وهو في الفرنسية :

Il a pris en consideration

وفي الإنكليزية :

He took in consideration

ونقول : أخذ مكانه بين رفاقه ، وهو في الفرنسية :

Il a pris sa place parmi ses camarades

وفي الإنكليزية :

He took his seat between his comrades

(١) تعبير متصل بالتقاليد (البرلمانية) .

(٢) الهامش كلمة دخيلة قديمة ولكنها لم تستعمل هذا الاستعمال المجازي .

(٣) تعبير شائع في العربية في الشمال الأفريقي .

ونقول : التيارات الأدبية ، وهو في الفرنسية :

Les courants littéraire

وفي الإنكليزية :

The literary currents

ونقول : مع الأسف ، وهو في الفرنسية :

Avec mes regrets

وفي الإنكليزية :

With regrets

ونقول : مع تمنياتي ، وهو في الفرنسية :

Avec mes souhaits

وفي الإنكليزية :

With my best wishes

ونقول : النجاحات ^(١) جمعاً لنجاح ، ونشاطات جمعاً لنشاط ، وهذه شائعة في الفرنسية :

Succès. Activités.

وفي الإنكليزية :

Successes. Activities

ونقول : اتبعوا سياسة إلقاء القفاز ^(٢) ، وهو في الفرنسية :

Ils ont pratiqué la politique de mettre les gants

وفي الإنكليزية :

They practiced the policy of throwing down the gauntlet

ونقول : على حساب الرأي العام ، وهو في الفرنسية :

Su le compte de l'opinion publique

(١) أجاز الأقدمون جمع المصدر إذا أفاد النوعية المختلفة ، وإذا انتقل من العدد إلى الاسمية ، كما نجده في مقررات المجمع اللغوي في القاهرة ، وهو منشور في مجلة المجمع العلمي بدمشق الجزء الخاص بمؤتمر المجامع العلمية اللغوية لسنة ١٩٥٧ .

(٢) تعبير يتصل بالبيئة التي استخدم فيها وهي البيئة الرياضية .

وفي الإنكليزية :

At the expense of public opinion

ونقول : الحياة الأدبية ^(١) ، وهو في الفرنسية :

La vie littéraire

وفي الإنكليزية :

The literary life

ونقول : يشل الأعمال ، وهو في الفرنسية :

Il paralyse les affaires

ونقول : ضرب الرقم القياسي أو كسره ، وهو في الفرنسية :

Il a battu le record

وفي الإنكليزية :

He beats the record

ونقول : أعمال الكاتب الكاملة ^(٢) ، وهو في الفرنسية :

Les œuvres complètes de l'écrivain

وفي الإنكليزية :

The complete works of the writer

ونقول : لا يرقى إليه الشك ، وهو في الفرنسية :

Le doute ne remonte à lui

ونقول : تحت تأثير ، وهو في الفرنسية :

Il est sous l'influence

وفي الإنكليزية :

It is under the influence

ونقول : البرج العاجي ^(٣) ، وهو في الفرنسية :

La tour d'ivoire

(١) تعبير شائع في الصحف والمجلات في عصرنا الحاضر حتى خيل للمهتمين بمسائل اللغة أنه

تعبير عربي في الأصل ، وليس الأمر كذلك .

(٢) لم يعرف في العربية في هذا الأسلوب وإنما يقال مؤلفاته أو كتبه أو آثاره أو مصنّفاته .

(٣) والفصحى أن يقال : البرج العاجي .

وفي الإنكليزية :

Ivory tower

ونقول : يلقي الضوء على هذه المسألة ، وهو في الفرنسية :

Il jette une lumière

وفي الإنكليزية :

To throw light on

ونقول : على ضوء الأحداث ، وهو في الفرنسية :

A la lumière des événements

وفي الإنكليزية :

At the light of the events

ونقول : يلقي نظرة ، وهو في الفرنسية :

Il jette un coup d'œil

ونقول : يمر بتجربة قاسية ^(١) وهو في الفرنسية :

Il passé une epreuve dure

وفي الإنكليزية :

He goes through difficulties

ونقول : عاش التجربة ، وهو في الفرنسية :

Il a vecu l'épreuve

نقول : ولنقلب صفحة ^(٢) ، وهو في الفرنسية :

Qu'on tourne la page

وفي الإنكليزية :

Turn a new page

ونقول : المعطيات ^(٣) ، وهو ترجمة للكلمة :

Les données

^(١) تحميل التجربة معلى الحادثة أو المحنة دخیل أجنبي ، وهو من باب التضمين في اللغة .

^(٢) الأسلوب أجنبي ، ولعل ما يقابله في الأساليب العربية قولهم : ولنضرب صفحاً .

^(٣) يراد بالكلمة الفرنسية الأفكار والمعاني ، أما (المعطيات) فهي من ابتداعات السوريين واللبنانيين.

ونقول : هو خارج إمكانياتي ، وهو في الفرنسية :

Il est en dehors de mes possibilités

ونقول : الشخصية ^(١) ونريد بها صاحب الشخصية رجلاً أو امرأة ، وهو

في الفرنسية :

Personalité

ونقول : الشخصية البارزة ، وهو في الفرنسية :

Personalite marquante

وفي الإنكليزية :

A marked personality

ونقول : يعلق أهمية خاصة ، وهو في الفرنسية :

Il attaché une certaine importance

وفي الإنكليزية :

To attach importance

ونقول : يعلق أملاً كبيراً ، وهو في الفرنسية :

Il attaché une grande sepoire

وفي الإنكليزية :

To attach great hope

ونقول : أحاب في شيء من الدهشة ، وهو في الفرنسية :

Il a repondu avec un peu d'étonnement

ونقول : وهو يجذب الانتباه ، وهو في الفرنسية :

Il tire l'attention

وفي الإنكليزية :

It attracts attention

ونقول : هو يعكس الحالة الاجتماعية ، وهو في الفرنسية :

Il reflète la situation socile

(١) تدل الشخصية على الحالة أو الهيئة التي يكون فيها الشخص ، وهي من اصطلاحات علم النفس ، ولها مدلول فلسفي ، والمصدر الصناعي مفيد في باب المصطلحات العلمية .

وفي الإنكليزية :

It reflects the social back-ground

ونقول : الجنس اللطيف ، وهو في الفرنسية :

La belle sexe

وفي الإنكليزية :

The fair sex

ونقول : وجهات النظر ^(١) ، وهو في الفرنسية :

Les points de vue

وفي الإنكليزية :

The points of view

وهو في الفرنسية :

Prêtez-moi les oreils

وفي الإنكليزية :

Lend me your ear

ونقول : غطاء النفقات ، وهو في الفرنسية :

La couverture de frais

وفي الإنكليزية :

To cover the expenses

ونقول : الجهاز الحكومي ، وهو في الفرنسية :

L'organ gouvernemental

وفي الإنكليزية :

The official organ

ونقول : الماكينة الحكومية ، وهو في الفرنسية :

La machine gouvernemental

ونقول : يحمل على الاعتقاد ، وهو في الفرنسية :

^(١) دلالة (وجهات النظر) على الرأي والفكرة والنظر العقلي ، غير عربية أصلية وإنما دخلت العربية عن طريق الترجمة كما بينا .

Il porte à croire

وفي الإنكليزية :

He looks from one angle

ونقول : حجر الزاوية ، وهو في الفرنسية :

La Pierre angulaire

وفي الإنكليزية :

Corner stone

ونقول : يحتضن الفكرة ، وهو الفرنسية :

Il couve l'idée

ونقول : يتبنى الفكرة ، وهو في الفرنسية :

Il adopte l'idée

وفي الإنكليزية :

He adopts the idea

ونقول : اعتنق الفكرة ^(١) ، وهو في الفرنسية :

Il a embrace l'idée

وفي الإنكليزية :

He embraced the idea

ونكرر الطرف الشرطي «كلما» في استعمالنا فنقول : كلما عمل كلما

ربح ^(٢) وهو في الفرنسية :

Plus il travaille, plus il gagne

وفي الإنكليزية :

The more he works, The more he earns

ونقول : تناول الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Il a pris la parole

^(١) وفي العربية شيء ربما أشبه هذا ، فقد ذكر الزمخشري في أساس البلاغة ما نصه : واعتنق الأمر لزمه ، انظر مادة (ع ن ق) .

^(٢) نبيه اللغويون على هذا الخطأ فقل وردده ، على أنه ما زال موجوداً في لغة الجرائد .

ونقول : أعطى الكلمة ، وهو في الفرنسية :

Il a donné la parole

وفي الإنكليزية :

He gave a speech

ونقول : عنده حق ، وهو في الفرنسية :

Il a raison

وفي الإنكليزية :

He has the right

ونقول : سابقة خطيرة ، وهو في الفرنسية :

Precedent dangereux

وفي الإنكليزية :

A dangerous precedent

ونقول : أزمة نفسية ، وهو في الفرنسية :

Crise psychologique

وفي الإنكليزية :

Psychological crisis

ونقول : بوصفه أو بصفته ، وهو في الفرنسية :

En sa qualité

وفي الإنكليزية :

In his capacity

ونقول : هو جاهل لغاية أن يكون بدائياً ، وهو في الفرنسية :

Il est ignorant à tel point qu'il soit primitif

ونقول : حمامة سلام ، وهو في الفرنسية :

La colombe de paix

ونقول : وإذا ارتقينا «أو صعدنا أو ارتفعنا» إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو

في الفرنسية :

Si nous remontons au cinquième siècle avant J.C

ونقول : يهضم الأفكار ، وهو في الفرنسية :

Il digère les idées

وفي الإنكليزية :

To digest ideas

ونقول : هو مرن ^(١) ، وهو في الفرنسية :

Il est souple ou flexible

وفي الإنكليزية :

He is flexible

ونقول : هو موضوع على طاولة البحث ^(٢) ، وهو في الفرنسية :

Il est mis sur la table de travail

ونقول : الأنواع الأدبية ^(٣) ، وهو في الفرنسية :

Les genres littéraires

ونقول : عاصفة من التصريح ، وهو في الفرنسية :

Une tempête d'applaudissement

وفي الإنكليزية :

A storm of applause

ونقول : نقطة انطلاق ، وهو في الفرنسية :

Le point de depart

وفي الإنكليزية :

Point of departure

ونقول : طلب يدها ، وهو في الفرنسية :

Il a demandé sa main

وفي الإنكليزية :

To ask the hand of

(١) لم يعرف هذا الاستعمال المجازي في العربية ، وإنما يعتبر عن ذلك بعبارات أخرى ، كأن يقال : هو لين أو طيع أو ما في هذا المعنى .

(٢) الطاولة دخيلة وهي تعريب .

(٣) تعبير جديد مترجم ، وربما قيل في العربية : الفنون الأدبية .

ونقول : إصلاح جذري ، وهو في الفرنسية :

Reforme radicale

وفي الإنكليزية :

Radical reform

ونقول : تمتد جذور المسألة ، وهو في الفرنسية :

Les raciness de la question étendent

وفي الإنكليزية :

The root of the problem go deep

ونقول : وموقفه أمام ^(١) هذه القضية ، وهو في الفرنسية :

Sa situation devant cette question

ونقول : وهذه القضية من طرف ^(٢) السلطات الحاكمة ، وهو في الفرنسية :

Cette problème est de la part de gouvrenement

ونقول : تبادلا الشتائم ^(٣) ، وهو الفرنسية :

Il ont échangéls injures

ونقول : تبادلا التحيات ، وهو في الفرنسية :

Il ont échangéls les salutations

وفي الإنكليزية :

They exchanged greetings

ونقول : تحت الدرس ، وهو في الفرنسية :

Il est sous l'étude

وفي الإنكليزية :

It is under study

ونقول : يسهر على المصلحة العامة ، وهو في الفرنسية :

^(١) يقال في الأسلوب الفصيح : إزاء بدلاً من أمام ، لأن الإمام ما كان في المقدمة ومنه سمي الإمام الذي يأتي الناس به .

^(٢) هذا التعبير شائع في بلدان الشمال الأفريقي .

^(٣) يقال مثل هذا في الأسلوب الفصيح : تكايلا الشتائم .

Il veille sur le bien commun

ونقول : لا جديد تحت الشمس ، وهو في الفرنسية :

Rien de nouveau sous le soleil

وفي الإنكليزية :

Nothing new under the sun

ونقول : هو رجل الساعة ، وهو في الفرنسية :

Il est l'homme de l'heure

وفي الإنكليزية :

The man of the hour

ونقول : كلمه بطرف شفثيه ^(١) ، وهو في الفرنسية :

Il lui a parlé de bout de levers

ونقول : إلى الملتقى ، وهو في الفرنسية :

Au revoir

ونقول : إلى الغد ، وهو في الفرنسية :

A demain

ونقول : شرب على صحته ، وهو في الفرنسية :

Il a bu à sa santé

وفي الإنكليزية :

He drank his health

ونقول : مسألة بسيطة ^(٢) ، وهو في الفرنسية :

Une question superficiële

وفي الإنكليزية :

A simple question

ونقول : مسألة سطحية ^(٣) ، وهو في الفرنسية :

(١) هذا التعبير شائع في بلدان الشمال الأفريقي .

(٢) شاع الوصف بالبساطة في العربية ، وهو أسلوب مترجم .

(٣) والوصف بـ (سطحية) أسلوب مترجم أيضاً للدلالة على أن المسألة ليست متعمقة .

Une question superficiële

ونقول : تصفية القضية الفلسطينية ، وهو في الفرنسية :

La liquidation de la Palestine question

ونقول : تحت رعاية ، وهو في الفرنسية :

Sous l'égide ou le haut patronage

وفي الإنكليزية :

Under the patronage of

ونقول : هو متأثر إلى درجة أنه فاقد أعصابه ^(١) ، وهو في الفرنسية :

Il était ému jusqu'à ce qu'il perdu ses nerfs

وفي الإنكليزية :

He was so excited that he lost his self-control

ونقول : الجيل الصاعد ، وهو في الفرنسية :

La generation montante

وفي الإنكليزية :

The rising generation

ونقول : يضحك على الذقون ، وهو في الفرنسية :

Il rit dans sa barbe

ونقول : ألوان صارخة ، وهو في الفرنسية :

Des couleus criardes

ونقول : نقد مرّ ، وهو في الفرنسية :

Critique amère

وفي الإنكليزية :

Bitter criticism



(١) التعبير (إلى درجة) ، وكذلك التعبير (فقدان الأعصاب) كلمات مترجم كما بينا .



القسم الثالث

التطبيق النحوي



مُقَدِّمَةٌ . . .

إن أهم ما ينظر إليه الطالب في أي مادة نحوية هو الإعراب ، ولا سيما أنه صار في مرحلته الجامعية الأخيرة ، وهي المرحلة التي تسبق دخول ميدان التعليم لمن يرغب ، ولذلك يجب على الطالب أن يبقى على صلة بالنحو التطبيقي الذي لم يكن في المنهاج قبل هذا العام ، وقد رأى قسم اللغة العربية أن يطلع الطالب في سنته الدراسية الأخيرة على النحو ، ليظلّ على صلة ، فكان أن خصّص من منهاج السنة الرابعة قسماً للتطبيق النحوي ، وقد تختلف طريقة عرض المادة عما ألف سابقاً .

والسبب أن الطالب سيطلع على الأساليب اللغوية المعاصرة ، ولا نستطيع — ألبتة — أن تكون نصوص التطبيق من الشعر المعاصر لا لأنه لا يحتاج به ، ولا لأنه كما يوصف سهلاً لا يصلح لتطبيق النحو ، إنما لأن القاعدة النحوية التي يحفظها الطالب لا يجدها في معظم الشعر الحديث والمعاصر ، وهذا ليس تصغيراً ولا خطأ من شأن الشعر العربي المعاصر ، فالقدماء لم يحتاجوا بشعر المتنبي ، وهو من هو !!

إننا لا نريد أن نعيد من النصوص المعاصرة ما كان وقف عليه الطالب في مراحل دراسته الإعدادية والثانوية ، لذلك عمدنا إلى طريقة اختيار النصوص بدءاً من الجاهلية، وانتهاءً بنزار قباني ، مروراً بالعصور الأدبية كلّها بما فيها الأدب الأندلسي ، ليطلع الطالب على الأدب في العصور متسلسلة وليطلع على التطور الذي أصاب هذا الشعر حتى وصل إلى عصرنا ، ويطلع على تركيب الجملة ، واستعمال اللفظ ويقارن بينها ، لأنه إذا ما دخل ميدان التدريب وجد أمامه نصوصاً من كل العصور ، وأردفنا هذه

النصوص بعدد من النصوص الشعرية المختارة .
وقد وقع اختيارنا على النصوص المشهورة وأصحابها ، وكان بعضها مطولاً
نسبياً، وأعرينا عدداً من الألفاظ من بداية كل قصيدة وتركنا للمحاضرات إعراب ما
بقي من النص .



النص الفوق

■ قال امرؤ القيس ^(١) :

- ١- سَمَّاكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا
- ٢- كِنَانِيَّةً بَالَتْ فِي الصَّدْرِ وَدَهَا
- ٣- بَعِثَنِي ظَفْنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا
- ٤- فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا
- ٥- أَوِ الْمَكْرَعَاتِ مِنْ لَحْصِلِ ابْنِ يَامِنْ
- ٦- سَوَامِيَّ جَبَّارِ أَيْسَ فَرُوعُهُ
- ٧- حَمَّشَتْهُ نَسُو الرُّبْدَاءِ مِنْ آلِ يَامِنْ
- ٨- وَأَرْضِي بَنِي الرُّبْدَاءِ وَاعْتَمَ زَهْوُهُ
- ٩- أَطَافَتْ بِهِ جَيْلَانٌ عِنْدَ قِطَاعِهِ
- ١٠- كَأَنَّ دُمَى سَقْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ
- ١١- غَرَالِرِي كَيْنَ وَصَوْنٍ وَلَعْمَةٍ
- ١٢- وَرَيْحَ سَنَا فِي حُقَّةٍ حَمِيرَةٍ
- ١٣- أَسْمَاءُ أَمْسَى وَدَهَا قَدْ تَغَيَّرَا
- ١٤- تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَنْتَ
- ١٥- فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ فِي الْآلِ دَوْمَا
- ١٦- تَقَطَّعَ أَسْبَابُ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى
- ١٧- بِسَسِيرٍ يَضِجُ الْعَوْدُ مِنْهُ يَمُتُهُ
- ١٨- وَلَمْ يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعَانِنَا

وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنِ قَوْ ، فَعَرَعَرَا
مَجَاوِرَةً غَسَّانَ وَالْحَيَّ يَغْمُرَا
لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تيمرا
خَدَائِقِ دَوْمٍ أَوْ سَهْبِنَا مُقَيَّرَا
دُوَيْنَ الصُّفَا اللَّائِسِي يَلِينِ الْمَشْقَرَا
وَعَالَيْنِ قِنَوَانًا مِنَ الْبُشْرِ أَخْمَرَا
بِاسْمَائِهِمْ حَتَّى أَقْسَرُوا وَأَوْقِرَا
وَإِكْمَامِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَهَضَّرَا
تَرَدَّدُ فِيهِ الْعَيْنُ حَتَّى تَحِيرَا
كَسَا مُزَبَدَ السَّاجُومِ وَشَيْئًا مُصَوَّرَا
يُخَلِّسِينَ يَاقُولَا وَشَذَرَا مُفَقَّرَا
تُحَضُّ بِغَفْرِكَ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفَرَا
سَتَيْدِلُ إِنْ أَبْدَلْتَ بِالْوَدِّ آخَرَا
عَلَى حَمَلِي خَوْصُ الرِّكَابِ وَأَوْجَرَا
نَظَرْتُ فَلَمْ تُنْظَرْ بِعَيْنَيْكَ مَنظَرَا
عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا خِمَاةً وَشَيْزَرَا
أَخُو الْجَهْدِ لَا يُلَوِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا
وَعَمَلَا لَهَا كَالْقَرِّ يَوْمًا مُخَذَّرَا

^(١) ديوانه : ٥٦ - ٧٠ .

١٩- كَأَلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ مِنْ دُونِ بَيْثَةٍ
 ٢٠- فَدَغْ ذَا وَسِلَ الْأَمِّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ
 ٢١- ثَقُطَّخْ عَیْطَانًا كَانَ مُتَوَلَّيَا
 ٢٢- بَعِيدَةً بَيْنَ الْمُنْكَبِينَ كَأَلِهَا
 ٢٣- تُطَايَرُ طُرَّانَ الْحَصَى بِمَنَاسِمِ
 ٢٤- كَانَ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَامَامِهَا
 ٢٥- كَانَ صَلِيلَ الْمَرِّ حِينَ تُطِيرُهُ
 ٢٦- عَلَيْهَا لَقِيَ لَمْ تَحْمِلِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ
 ٢٧- هُوَ الْمُنْزَلُ الْأَلْفِ مِنْ جَوْ نَاعِطٍ
 ٢٨- وَلَوْ شَاءَ كَانَ الْغُرُ مِنْ أَرْضِ حَمِيرٍ
 ٢٩- بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دَوْلَهُ
 ٣٠- فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكُ عَيْتُكَ إِلَّا
 ٣١- وَإِلَيَّ رَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتَ مُمْلِكًا
 ٣٢- عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْدَى بِمَنَارِهِ
 ٣٣- عَلَى كُلِّ مَتَّصُوصٍ الدُّكَّانِي مُعَاوِدٍ
 ٣٤- أَقْبَى كَسِيرُحَانَ الْقُصَى مُتَمَطِّرٍ
 ٣٥- إِذَا زُغْتَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ كِلَاهِمَا
 ٣٦- لَقَدْ أَنْكَرْتُ بَغْلَبَكَ وَأَهْلَهَا
 ٣٧- نَشِيمٌ بُرُوقَ الْمَزْنِ أَيْنَ مَصَابِهِ
 ٣٨- مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطُّرْفِ لَوْ دَبَّ مُنْخُولٌ
 ٣٩- لَهُ الْوَيْلُ إِنْ أَمْسَى وَلَا أُمُّ هَاشِمٍ
 ٤٠- أَرَى أُمَّ عَمْرٍو ذَمُّهَا قَدْ تَحَدَّرَا
 ٤١- إِذَا لَحْنٌ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً
 ٤٢- إِذْ قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ
 ٤٣- كَذَلِكَ جَدِّي ، مَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا

وَدُونَ الْقَمِيرِ عَامِدَاتٍ لِقَضَوَرَا
 ذُمُولٍ إِذَا صَامَ السَّهَارُ وَهَجَّرَا
 إِذَا أَظْهَرْتَ تُكْسَى مُلَاءٌ مُنْشَرَا
 تَرَى عِنْدَ مَجْرَى الضُّفْرِ هَرًّا مُشْجَرَا
 صِلَابِ الْعُجَى مَلْثُومُهَا غَيْرُ أَمْعَرَا
 إِذَا كَجَلَفَهُ رَجُلُهَا خَذَفُ أَغْشَرَا
 صَلِيلَ زَيْوَفٍ يُنْتَقِذْنَ بِعَنْقَرَا
 أَبْرَ بِمِشَاقٍ وَأَوْقَى وَأَصْبَرَا
 بَنِي أَسَدٍ حَزْنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا
 وَلَكِنَّهُ عَمْدًا إِلَى الرُّومِ الْفَرَا
 وَانْقَنَ الْإِلَاحُ قَانِ بِقَيْصَرَا
 لِحَاوِلِ مُلْكًا أَوْ لَمُوتٍ فَتُغْدَرَا
 بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْفَرَارِقُ أَزُورَا
 إِذَا سَافَهُ الْقَوْدُ الثَّابِطِي جَرْجَرَا
 بِرَيْدِ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلٍ تَبْرَرَا
 تَرَى الْمَاءَ مِنْ أَعْطَافِهِ قَدْ تَحَدَّرَا
 مَشَى الْمُهَيْتَبَى فِي ذَفِّهِ ثُمَّ فَرَفَرَا
 وَلَا بَنَ جُرْنِجٍ فِي قُرَى حِمَصٍ الْكَرَا
 وَلَا شَيْءَ يَشْفِي مِنْكَ يَا بَنَةَ عَفْزَرَا
 مِنَ الدَّرِّ فَوْقَ الْإِثْبِ مِنْهَا لِأَثَرَا
 قَرِيبٌ وَلَا التَّسْبَاسَةُ ابْنَةُ يَشْكُرَا
 بِكَاءٍ عَلَى عَمْرٍو وَكَانَ أَصْبَرَا
 وَرَاءَ الْحِسَاءِ مِنْ مَاءٍ بَعِ قَيْصَرَا
 وَقُرْتُ بِهِ الْمَاءَ بِدَلَّتْ آخَرَا
 مَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا

- ٤٤- وَكُنَّا أَنَاسًا قَبْلَ غَزْوَةِ قَوْمِ
٤٥- أَلَا رَبُّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتَهُ
٤٦- وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُدَارَانِ ظَلَمْتَهُ
٤٧- وَلَشَرُّ حَتَّى لِحَسْبِ الْخَيْلِ حَوْلَنَا
وَرَبَّنَا الْعِشَى وَالْمَجْدُ أَكْبَرُ
بِتَأْذِنِ ذَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ قَوْفِ طَرْطَرَا
كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنِ أَغْفَرَا
نَقَادًا وَحَتَّى لِحَسْبِ الْجَوْنِ أَشْقَرَا

● شرح المفردات :

وقو وعرععر : موضعان . بانت : ذهبت وانقطعت عنك وجاورت حياً غير
حيك، وودها مع ذلك باق في صدرك . تيمر : موضع . والأفلاج : الأنهار ، واحدها
فَلَج . الدَّوْمُ : يطول باليمن ويرتفع في السماء كالنخيل ، وشبههم أيضاً بالسفين
لمسيرهم في السراب كسير السفين في الماء . المكروعات : النخيل المغروسات في الماء .
وآل يامن : قوم من هَجَرَ لهم نخيل وسُفْن ، وهَجَرَ أكثر البلاد نخلاً . والصففا
والمشقر : قصران بناحية اليمامة . سوامق : المرتفعات الطول . والجبار : الذي قد فات
اليدَ لطلوه . والأثيث : الغزير . وقوله : «وعالين قنوانا» ، أي قد أدرك هذا النخل
وأينع فتمايلت عروقه ، والقنوانا : العذوق . والبسر : ما احمر من التمر . اعتم :
كامل وتم . والزهو : الأحمر والأصفر من البُسر . والأكمام في هذا الموضع : أقماع
البُسر . جيلان : قوم اتخذهم كسرى عمالاً بجانب البحرين ليصرموا له النخل .
الدمى : الصور . وسقف : موضع فيه صور . والساجوم : وادٍ بعينه . والمزبد : ذو
الزبد . والمصور : الذي فيه تصاوير . والعقاب لا تكون بيضاء . الغرائر : الغوافل عن
الدهر لصيانتهم وتنعمهم . والكن : ما يكتن به عن الحر والبرد . والشذر : قطع
الذهب . والمفقر : المصوغ على هيئة فقار الجرادة ، وهو مربع . السنن : ضرب من
الطيب . والفروك : المسك الذي فتقت نافحته فانتشرت رائحته وقويت . الأذفر :
القوي الرائحة . الألوى : أجود العود وأطيبه . والرند : شجر طيب الرائحة . واللبني :
ضرب من الطيب . والكباء : كل ما يتبخر به . والمقتر : المدخن عند مباشرة النار

له . غَلَقْن برهن : أي ذهبن بقلبه واستولين عليه . تَبَثَّر : تقطَّع . الحَلَّة ها هنا :
 الخليل ، وهو الحبيب ، وهي الصداقة أيضاً . ويسارق : من وصف الخليل . والمستَرَّ :
 الكثير الأسرار . يقول : كان ذلك الحبيب لسليمي فيما خلا الدهر خليلاً ، يعني
 نفسه . ريع : فرع قلبه وخفق . ثم شَبَّه المخمَّر : الثمل . التَّزيف : السكران الذي قد
 نَزَف السكر عقله . والوجه : ما يتوجَّه لها أن تفعله من الأمور . ومعنى ثُرَاشي : تعطيه
 الرشوة . نَحَمَلَى وأوجر : موضعان قبل الشام . والخص : غائرات العيون ، واحدها
 أخوص أو خوصاء . الآل : منتصف النهار . القرَّ : من مراكب النساء على الإبل .
 وقوله : مخدَّراً : أي جعل في هيئة الخدر . والخدَّر : الهودج . ومخدَّر : من وصف له
 الحَمَل . الأثل : شجر يشبه الطرفاء ، إلا أنه أعظم منها . والأعراض : جمع عَرَض ،
 وهو الوادي . وبيشة والغمير وغضبور : مواضع فيها ماء يقام عليها . الجَسرة : الناقة
 النشيطة . والذمول : التي تسير سيراً سريعاً . ومعنى صام النهار : قام واعتدل .
 وهَجَّر : من الهاجرة وشدة الحر . الغيطان : واحدها غائط ، ما انخفض من الأرض
 واطمأن ، ما يبدو عليها من السراب وقت الظهيرة وتوهج الحر بالملاحف البيض
 المنشورة . بعيدة بين المنكبين : كأنه أشار إلى سعة صدرها وتباعد ما بين عضديها .
 والضفَّير : حبل مفتول يُشدُّ به البطان . والمشجر : المربوط إليها . واحد الظَّران ظُرَّر :
 وهو الطويل من الحصى ، العريض المحدد ، وإنما خصَّه للصوق بالأرض ، فإذا كانت
 تطيره فهي لما استدار من الحصى وارتفع أشدُّ تطيراً . والعُجى : عصب في اليدين
 والسرجلين . غير أمعرا : الذي قد ذهب شعره . نجلته : فرقته ورمته به . والحَدَف :
 الرمي بالحصى ونحوها . شبه صوت الحجارة إذا رمت بها وقوع بعضها على بعض
 بصوت الدراهم الزيوف إذا انتقلها الصَّيرف وقلبها . والزيوف : الرديئة . والصليل :
 الصوت . والمَرُو : الحجارة . ومعنى تطيره : تفرقه . وعبقر : موضع باليمن ، وكانت
 دراهمه زيوفا . قوله : عليها فتى : يعني نفسه . ناعط : حصن بأرض همدان . وجوَّ :
 أرض باليمامة . صاحبه هذا هو الشاعر عمر بن قميئة اليشكري في إلى قيصر .

فسألهم: هل فيهم شاعر؟ فذكروا له عمرو . الزعيم : الكفيل الضامن . والأزور :
المائل الذي يسير في جانب من شدة السير . إذ ساقه العود : أي إذا شمه المسن من
الإبل صوت ورغا لبعده وما يلقي من مَشَقَّتِهِ . والنباطي : منسوب إلى النبط ، أشد
الإبل وأصبرها ، وقيل : هو الضخم . واللاحب : الطريق البين الذي لحبته الخوافر ،
أي أثرت فسيه فصارت فيه طرائق وآثار بينة . ومعنى جرجر : صوت . خص خيل
بربر ، لأنها كانت أصلب الخيل عندهم وأجودها . قوله «أقب كسرحان القضي» :
أي هو حميص البطن كالذئب . والغضي : شجر . والمتمطر : السابق الماضي على
وجهه . بالدال : مشية فيها تبخر . ومعنى فرفر : حرك اللجام في فمه . والزوع :
الجذب باللجام . والدف : الجنب . قوله : «نشم بروق المزن» : أي ننظر إليها لنعلم
أين مصاب المطر . قوله : «من القاصرات الطرف» : يعني المتحبيبات إلى أزواجهن
اللاتسي يقصرن نظرهنّ عليهم . والمحوّل : الذي أتى عليه الحول ، وهو كناية عن
الصغير . والإتب : ثوب رقيق له حبيب وليس له كتمان . قوله «له الويل» : يعني
لنفسه الويل . «له الويل إن أمسى» ، فأتى بحرف الشرط ، وهو يقتضي الاستقبال ،
وهو قد أمسى نائياً عن أم هاشم اتساعاً وبجازاً وإيهاماً للمبالغة . قوله «وراء الحساء» :
هو جمع حسي ، والحسي : ماء يغور في الرمل فيوافق تحته صلابة . ومدافع قيصر : أعماله
وما اتصل ببلاده مما يدفع عنه ويحميه . قرمل : وهو ملك ملوك اليمن ، وكان غزا قوم
امريئ القيس ، أو غزوه . تأذف ، ذات التل ، طرطر : مواضع . قدران : موضع .
الظباء : الأبيض يخالط بياضه حمرة . والتقاد : غنم صغار . والجون : الفرس الأسود .

التطبيق

- ١- بعدما : بعد مفعول فيه ظرف زمان متعلق بالفعل سما .
ما : مصدرية ، والمصدر المؤول من (ما) وما بعدها في محل جر
بالإضافة.

فعرعرا : الفاء حرف عطف ، عرعا : اسم معطوف على بطن منصوب مثله
وعامة نصبه الفتحة الظاهرة ، والألف للإطلاق .

٢- كناية : خبر لمبتدأ محذوف مرفوع .

جملة (ولي الصدر وذوها) : جملة اسمية من المبتدأ (ودّ) والخبر شبه الجملة في محل
نصب حال

مجاورة : حال منصوب

غسان : مفعول به لاسم الفاعل (مجاورة) منصوب .

يعمرا : بدل من (الحسي) منه . وعامة نصبه الفتحة الظاهرة
والألف للإطلاق .

هذا الاسم ممنوع من الصرف لأنه على وزن الفعل .

٣- بعني : جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف للمبتدأ (ظعن) .

٤- لما : ظرفية شرطية غير جازمة متعلقة بجواها . وجواها محذوف دلّ عليه
الكلام السابق .

حدائق : اسم منصوب بترع الخافض ، . والتقدير : شبهه بحدائق .

اللاتي : اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة (نخيل) .

يلين : فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ، والنون
ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل .

٧- حتى : حرف غاية وجر بمعنى إلى أن ، أو حرف ابتداء .

٨- حتى : حرف ابتداء .

٩- (أطافت) : جواب إذا في البيت السابق .

١١- غرائر : خبر كائنه في البيت السابق .

١٢- أذفرا : صفة مفروك مجرور مثله وعامة جره الفتحة عوضاً عن الكسرة لأنه
ممنوع من الصرف ، والألف للإطلاق .

النص الثاني

■ قال كعب بن سعد الغنوي :

- ١- تقول سُليمى ما لجِسْمِكَ شاحِباً
 - ٢- فقلْتُ ولم أعِني الجِوابَ
 - ٣- لعمري لئنْ كالتِ أَصَابَتُ مَصِيبَةً
 - ٤- لقد عَجَمْتُ مَتَى الحِوَادِثُ مَا جَدَا
 - ٥- فقلْ لا يُسَالِي أنْ يَكُونَ بِجِسْمِهِ
 - ٦- غَيْبٌ يَخْشَعُ حَقِيبَةً ثُمَّ جَلَّجَتْ
 - ٧- فَاهَبَتْ قَالِيلاً ذَاهِباً وَتَجَهَّزَتْ
 - ٨- وَأَعْلَمُ أَنَّ السَّافِيَّ الحَسْبَى مِنْهُمَا
 - ٩- فَلَوْ كَانَ مَيِّتٌ يُفْتَدَى لَفَدَيْتُهُ
 - ١٠- بَعِيفٍ أَوْ يُمَتَّى يَدَيَّ ، وَقِيلَ لِي
 - ١١- لَبَانَ تَكُنِ الأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
 - ١٢- كَثِيرٌ رَمَادِ القَدْرِ رَحْبٌ هَنَؤُهُ
 - ١٣- قَرِيبٌ ثَرَاءٌ لَا يَسَالُ عَدْوُهُ
 - ١٤- لقد أَفْسَدَ المَوْتُ الحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى
 - ١٥- حَلِيمٌ إِذَا مَا الحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ
 - ١٦- [إِذَا مَا ثَرَاءُ الرِّجَالِ تَحَفَّظُوا
- كَأَلْكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابُ طَيِّبٌ
وَاللَّذْهَرُ فِي صُغْمِ السَّلَامِ نَصِيبُ
أَخِي ، وَالْمَنَانَا لِلرِّجَالِ شُعُوبُ
عَرُوفاً لَرَيْبِ الذَّهْرِ حِينَ يَرْتَبُ
إِذَا نَالَ خَلَاتِ الكِرَامِ ، شُحُوبُ
عَلَيْنَا السَّيِّئُ كُلُّ الرِّجَالِ تَصِيبُ
لَا خَيْرَ ، وَالرَّاجِي الحَيَاةَ كَذُوبُ
إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَسَدَاهُ قَرِيبُ
بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النُّفُوسُ تَطِيبُ
هُوَ الْفَانِمُ الْجَذْلَانُ حِينَ يُزُوبُ
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْنُ ذُنُوبُ
إِلَى سَنَدٍ لَمْ تَحْتَفِظْهُ غُيُوبُ
لَهُ لَبَطٌ ، عِنْدَ الهَوَانِ قَطُوبُ
عَلَى يَوْمِهِ عَلِقَ إِلَيَّ حَيْبُ
مَعَ الحِلْمِ فِي عَيْنِ القَدْرِ مَهِيبُ
فَلَمْ تُنْطِقِ العَوْرَاءُ وَهُوَ قَرِيبُ]

التطبيق

- ما : اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .
- لجسمك : اللام حرف جر . جسمك : اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة ،
والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف ، تقديره (كائن) . والكاف
ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر بالإضافة .
- شاحباً : حال منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة .
- الطعام : مفعول به ثان أو اسم منصوب بنزع الخافض ، وعلامة نصبه الفتحة
الظاهرة .
- طبيب : فاعل (يحميك) مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .
- وللدهر : الواو استئنافية . للدهر : جار ومجرور متعلقان بخبر مقدم محذوف تقديره
(كائن) .
- في صمّ : جار ومجرور متعلقان بحال محذوفة من (نصيب) ، (أي : وللدهر نصيب
كائن من صمّ السلام ، فلما تقدمت الصفة على الموصوف صارت
حالاً) . وهو مضاف .
- السلام : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة .
- نصيب : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .
- لعمري : اللام لام الابتداء . عمري : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة
على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة
للياء ، والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة ،
والخبر محذوف وجوباً تقديره (قسمي) .

- لثن : اللام موطئة للقسم . إن : حرف شرط مجازم .
- أصابت : فعل ماض مبني على الفتح الظاهر ، وتاء التانيث الساكنة لا محل لها من الإعراب .
- مصيبة : فاعل (أصابت) على رأي البصريين ، أو اسم (كانت) مؤخر على رأي الكوفيين .
- أخني : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة للياء ، والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل جرّ بالإضافة .
- والمنايا : السواو اعتراضية . المنايا : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف للتعذر .
- للرجال : جار ومجرور متعلقان بالخبر (شعوب) .
- شعوب : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .
- لقد : اللام واقعة في جواب القسم . قد : حرف تحقيق .
- فقي : خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره (هو) ، أو (هذا) ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف المحذوفة نطقاً المثبتة شكلاً .
- يكون : فعل مضارع تام منصوب بـ (أن) وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .
- شعوب : فاعل كان مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .
- التي : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعلاً للفعل (جَلَّحَتْ) .
- كلّ : مفعول به مقدّم للفعل (تصيب) منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة . وهو مضاف .

● إعراب الجمل :

جملة المبتدأ المحذوف (هو) مع خبره (فقي) : استئنافية لا محل لها من الإعراب .

جملة الفعل (لا يباي) مع فاعله : في محل رفع صفة لـ (فتى) .

جملة الفعل الناقص (يكون) مع اسمه وخبره : صلة الموصول الحرفي لا محل لها من الإعراب .

إذا أناك : في محل نصب حال .

جملة الفعل (نال) مع فاعله ومفعوله (خلات) : في محل جر بالإضافة .

جملة (غنيما بخير) الفعل وفاعله : استئنافية لا محل لها من الإعراب .

جملة (جلّجت علينا التي..) الفعل وفاعله : معطوفة على الجملة السابقة فهي

مثلا لا محل لها من الإعراب .

جملة (تصيب كل الأنام) الفعل وفاعله ومفعوله : صلة الموصول الاسمي لا محل لها من

الإعراب .



النص الثالث

قال جرير^(١) :

- ١- بان الخليط ولو طُوِّعَتْ ما بانا
 - ٢- حيّ المنازل إذ لا يبتغي بدلاً
 - ٣- قد كنت في أثر الأظعان ذا طرب
 - ٤- يا زُبّ مكتتب لو قد لُعِيتُ له
 - ٥- لو تعلمين الذي تلقى أوتيت لنا
 - ٦- كصاحب الموج إذا مالت سفينته
 - ٧- يا أيها الراكب المَزْجِي مَطِيَّتَه
 - ٨- بَلِّغْ رسائلنا عنا خف محملها
 - ٩- كيما نقول إذا بُلِّغَتْ حاجتنا
 - ١٠- لهدى السلام لأهل الغور من مَلَح
 - ١١- أحِبِّبْ إليّ بذلك الجزع مَنَزِلَه
 - ١٢- يا ليت ذا القلب لاقى مَنْ يعلله
 - ١٣- أو ليستها لم تُعَلِّقْنا عَلاقَتَها
 - ١٤- هلا تَحَوَّجَتْ بما قد فعلت بنا
 - ١٥- قالت : أَلَمْ بنا إن كنت مُنْطَلِقاً
 - ١٦- يا طَيِّبَ هل من متاع تُمْنِعِين به
 - ١٧- ما كنت أول مشتاق أخِي طرب
 - ١٨- يا أمَّ عمرو جزاك الله مَغْفِرَه
 - ١٩- أَلَسْتُ أَحْسَنَ مَنْ يَعْشِي على قدم
- وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
بالدار داراً ولا الجيران جيرانا
مُروَّعاً من حِذارِ البين محزانا
باكٍ وآخر مسرور بمنعانا
أو تسمعين إلى ذي العرش شكوانا
يدعو إلى الله إسراراً وإعلانا
بَلِّغْ تحيتنا لَقِيَتْ حُمَلاناً
على قلائصٍ لم يحملن حيرانا
أنت الأمين إذا مُسْتَأْمَنَ خالنا
هيهات من مَلَحٍ بالغور مُهدانا
بالطليح طلحاً وبالأعطان أعطانا
أو ساقياً فسقاه اليوم سُلوانا
ولم يكن داغِل الحُب الذي كانا
يا أطيب الناس يوم الدُّجْن أردانا
ولا إخالك بعد اليوم تلقانا
ضيافاً لكم باكرأ يا طَيِّبَ عجلانا
هاجت له غدوات البين أحزانا
رُذِي عليّ فؤادي كالذي كانا
يا أملح الناس كل الناس إنسانا

(١) ديوانه ١٦٠/١-١٦٧ .

٢٠- يلقى غريمكم من غير غريكم
 ٢١- لا تأمنن فاني غيّر آمنه
 ٢٢- قد خنت من لم يكن يخشى خيانتكم
 ٢٣- لقد كتبت الهوى حتى قيمني
 ٢٤- كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني
 ٢٥- وكاد يوم لوى حواء يقتلني
 ٢٦- لا بارك الله فيمن كان يحسبكم
 ٢٧- من حبكم فاعلمي للحب منزلة
 ٢٨- لا بارك الله في الدنيا إذا القطعت
 ٢٩- يا أم عثمان إن الحب عن عرض
 ٣٠- ضئت بموردة كالت لنا شرعاً
 ٣١- كيف التاقي ولا في القبط محضركم
 ٣٢- لهوى ترى العرق إذ لم نلق بعدكم
 ٣٣- ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم
 ٣٤- أبذل الليل لا تسري كواكبه
 ٣٥- يا رب عائدة بالقور لو شهدت
 ٣٦- إن العيون التي في طرفها حور
 ٣٧- يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
 ٣٨- يا رب غابطنا لو كان يطلبكم
 ٣٩- أزيه الموت حتى لا حياة به
 ٤٠- طار الفؤاد مع الخود التي طرقت
 ٤١- مقلوجة الرقيق بعد الثوم واضعة
 ٤٢- مساهة بالعبر الهندي قاطعة
 ٤٣- ظني بكم حسن من عبرة بكم
 ٤٤- يما لراها كالأمالكون لها

بالبذل بخلا وبالإحسان حرمانا
 غادر الخليل إذا ما كان ألوانا
 ما كنت أول موثوق به خانا
 لا أستطيع لهذا الحب كتماناً
 وكاد يقتلني يوماً بهيدانا
 لو كنت من زفرات البين قرحانا
 إلا على العهد حتى كان ما كالنا
 هوى أميركم لو كان يهوانا
 أسباب دلياك من أسباب دليانا
 يضيي الخليم ويهكي العين أحياناً
 تشفي صدى مستهام القلب صديانا
 منا قريب ولا مبداك مبدانا
 كالعرق عرقاً ولا السلان سلاناً
 للحبل صرماً ولا للعهد نسياناً
 أم طال حتى حسبت النجم خيرانا
 عزت عليها بدير اللجج شكوانا
 قتلنا ثم لم يحيين قتلاتنا
 وهن أضعف خلق الله أركاننا
 لاقى مباحدة منكم وحرمانا
 قد كن ذلك قبل اليوم أديانا
 في النوم طيبة الأعطاف مبدانا
 عن ذي مثان ثجج المسك والباننا
 هم الضجيع فلا دنيا كدنيانا
 فلا تكونوا كمن قد كان ألوانا
 يا ليتها صدقت بالحق رؤيانا

٤٥- قالت تعزُّ فإن القوم قد جعلوا

٤٦- لما تبينت أن قد حيل ذولهم

٤٧- ماذا لقيت من الأظعان يوم قنا

٤٨- أبتهم مقلعة إنساها غرق

٤٩- كان أحداجهم تُخذي مَقْفِيَّة

٥٠- يا أم عثمان ما تلقى رواحنا

٥١- تُخذي بنا لُجْب دُمي مناسمها

٥٢- ترمي بأعينها لُجْداً وقد قطعت

٥٣- يا حُبدا جبل الرِّيان من جبل

٥٤- وحبدا نفحات من يمانية

٥٥- هُبَّت شِمالاً فذكرى ما ذكرتم

٥٦- هل يرجعن وليس الدهر مرتجعاً

٥٧- أزمان يدعوني الشيطان من غزلي

٥٨- من ذا الذي ظلّ يغلي أن أزوركُم

٥٩- ما يدري شعراء الناس ويْلهم

٦٠- جهلاً تمثوا خُدائي من ضلالم

٦١- غادرهم من حسير مات في قرن

٦٢- ما زال حبلى في أعناقهم مرساً

٦٣- مَنْ يَدْعُنِي مِنْهُمْ يبغي محاربي

٦٤- ما عَضَّ نابي قوماً أو أقول لهم

٦٥- إني امرؤ لم أرذ ليمن أناويله

٦٦- أحمى حمائي بأعلى الحمد منزلي

٦٧- قال الخليفة والخزير مُنهزم

٦٨- لاقى الأحيطل بالجلولان فاقرة

٦٩- يا خُزُر تغلب ماذا بال نسوتكم

دون الزيارة أبواباً وخُزانا

ظلت عساكرُ مثل الموت تغمسانا

يتبعن مغمراً للبين ظفاننا

هل ما ترى تارك للعين إنسانا

لخُلِّ بملهم أو لخل بقرانا

لو قست مُصْبَحنا من حيث مُمَسنا

لقل الحزاني حزاناً فحزاناً

بين السُلُوطِج والروُحان صوانا

وحبدا ساكن الريان من كانا

تأتك من قبل الريان أحياناً

عند الصفاة التي شرقي حوزانا

عيشن بها طال ما اخلولكي وما لانا

فكن يهوتيني إذ كنت شيطاناً

أمسى عليه ملك الناس غضباناً

من صولة المُخْذِر العادي بحفاناً

فقد حدوئهم مُنّى ووحداناً

وأخسرين نسوا الشهدار خصياناً

حقى اشتفت وحق دان من دانا

فاستقين أجبة غير وسنانا

إياكم ثم إياكم وإيالنا

للناس ظلماً ولا للحرب إدهانا

من خندف والذرا من قيس عيلانا

ما كنت أول عبد مُحلب خاناً

مثل اجتداع القوافي وبُر هزاناً

لا يستفقدن إلى الدّيرين تحناناً

● شرح المفردات :

أويت : رَقَّتْ . (البيت ٨) : يريد أهن حَوْلَ لم يلقح . والخيران : جمع حُور .
 مَلَحَ : ماء لبني العدوية . الأعطان : مبارك الإبل ، واحدها عطن . السلوان : ما
 يسليه ، وكل ما سلى عن شيء فهو سلوان ، ويقال هو حجر كانوا يطرحونه في الماء
 ثم يسقونه العاشق فيسلو . يوم الدجن : يوم إلياس غيم ومطر ، وإنما خصّه بذلك لأنه
 يوم إقامة وأكل وشرب . والأردان : جماعة رُذُن : وهو القنن والكم أيضاً . إنسانا :
 يريد إنسان العين . الرجل القرحان : الخلي ، من ذاك يقال : رجل قرحان وقُراحي :
 إذا لم يُحصَّب ويُحَدَّرْ وكذلك إذا لم يشهد حرباً فيجرح فيها . أميرها : قيمها .
 يروي : مزلة بالرفع ، جعلها اعتراضاً لا يعلمها . الصدي : العطش والصدبان :
 العطشان . العرق : واد لبني حنظلة بن مالك . والسلان : واد لبني عمرو بن تميم .
 دِنَك : عَوْدَتِكَ . والدين : العادة . والدين : الجزاء . والدين : الطاعة . مثنائها :
 قسروها يتثنى بعضها على بعض . الأحدج : مراكب النساء واحدها حدج . ومَلْهم
 وقران : قرينان باليمامة . الحَدْيُ : ضرب من السير فوق العنق . ومناسمها : أظفارها .
 والسقل والنقلان : واحد هو العدو . والحزاي : النشوز واحدها حزباء . والحزان :
 جمع حزير : وهو ما انقاد وغلظ من الأرض . السلوطج : بالجزيرة . والروحان :
 أقصى بلاد بني سعد . والصوان : جُمَاع صوة : وهي الاعلام ، إذا كانت فوق قعدة .
 الرجل فهي ثاوية ، وفوق ذلك أَمْرَة ، وفوق ذلك الإرمي . الأدرَاء : الختل . والمُخْدَرُ :
 المستواري في أحتمه ، أسد خادر ومخدر وقد خَدَّرَ وأخدر . وخَقَّان : موضع في طريق
 الكوفة . المَرَسُ : الملتوي وقد مَرَسَ الحبلُ يَمْرَس مرساً إذا التوى . وَسِنَ يَوْسَن سِنَة
 ووسنا والوَسَن : النعاس . المنواة : المساورة والمناهضة . والإدهان : التصنع والمداواة .
 الحلب : المعين . والفاقرة : القاطعة ، فقرت ظهره . والاجتداع : جدع الأنف

والأذن. ووهر هزان : حفنة و الهزاني : أحد عترة ، وكان هاجي جريراً فرد عليه جرير
فجعله كالوبر .

التطبيق

- ٣- ١٥ : خبر كان منصوب وعلامة نصبه الألف لأنه من الأسماء الخمسة .
مروءاً : خبر ثان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .
محزناً : خبر ثالث منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .
٤- يا ربُّ : يا : أداة نداء . ربُّ : حرف جرّ شبيه بالزائد .
مكتئب : اسم محرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ .
لو : للتمني .
جملة (لو قد نعت له) : اعتراضية بين مكتئب وباك .
٦- إسراراً : حال .
٧- الراكب : صفة (أي) لأنه مشتق .
المرجي : صفة للراكب .
مطيته : مفعول به لاسم الفاعل المرحي منصوب والهاء مضاف إليه .
حلالاً : مفعول به ثان للفعل لقيت ، ونائب الفاعل هو المفعول الأول .
جملة (لقيت) : حالية .
٩- كيما نقول : يضبط الفعل ، تقول : بالرفع ، وبالنصب .
بالرفع : كيما : كافة ومكفوفة ، والفعل مضارع مرفوع .
بالنصب : كيما : حرف ناصب ، وما زائدة .
(أنت الأمين) : مقول القول ، ولا يجوز أن تكون جواب شرط لأنها لو كانت

كذلك لاقتربت بالفاء الرابطة لأنها جملة اسمية .

مستأنس

: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور .

١٠ - هيهات

: اسم فعل ماض بعني بعد ، مبني على الفتح .

مهلهلانا

: فاعل لاسم الفعل ، ونا : مضاف إليه .

١١ - أحجب

: فعل ماض جامد جاء على صيغة الأمر لإنشاء التعجب .

بذاك

: الباء زائدة ، ذا : اسم إشارة مجرور لفظاً مرفوع محلاً فاعل للفعل

أحجب ، والكاف : للخطاب .

منزلة

: تمييز منصوب .

١٢ - سلوانا

: مفعول به ثان للفعل (مسقى) منصوب ... ونا : مضاف إليه.

١٣ - كان

: فعل ماض تام ، والألف للإطلاق .

١٤ - أردانا

: تمييز منصوب .



جامعة دمشق
Damascus University

النص الرابع

قال ابن الدمينه (١) :

وهَيْفَ بَحُولَانِ التَّرَابِ لِقُوبُ
بِهَا بَعْدَ جِدِّ الْبَيْنِ مِنْكَ غَرِيبُ
كَمَا رَجَعْتَ جُوفَ هُنَّ ثُقُوبُ
بَغْرَتَيْنِ مِنْ خَزَزِ الْقِرَاقِ شَعِيبُ
بَلَسِي إِلَيْهَا قَائِدَ وَمُهَيْبُ
صَدَى هَامِسِي عَمَّا إِلَيْهِ قُلُوبُ
لَصَّرِي إِذَا غَالَتْهُ لَقْلُوبُ
لَهُمْ حِينَ يَتَابَوْنَهَا لَذْبُوبُ
وَأَنْتَ لَهَا - لَوْ تَعْلَمِينَ - طَيْبُ
بِدَائِعِ أَخْلَاقِ لَهُنَّ ضُرُوبُ
عَلَى كَيْدِي مَاضِي الشَّبَا ذَرِيبُ
وَذُو الشُّوقِ لِلطَّيْفِ الْمَلَمِّ طُرُوبُ
وَمَا فِي الْبُكَاءِ لِلْوَجْدَيْنِ كَصِيبُ
مَنَاكِبُ مِنْ شَمِّ الدُّرَا وَلَهُوبُ
بِهِ فُرْطُ يَقْعَاذُهُنَّ صَبُوبُ
صَبَاً بَعْدَ مَا هَبَّتْ لَهُنَّ جُنُوبُ
بِشْئِي إِذَا أَبْصَرْتَهُ لَطِيبُ
عَلَى خَصِيرَاتِ رَيْفُهُنَّ عَذُوبُ
عَوَارِضُ لَيْلٍ نَسْنَبَةُ وَغُرُوبُ

١- أَمِنْكَ - أَمِيمٌ - الدَّارُ غَيْرُهَا الْبَلَى
٢- بَسَابِسُ لَمْ يُصْبِحْ وَلَمْ يَمْسِ ثَاوِيًا
٣- سَوَى عَازِلَاتٍ يَنْتَحِبْنَ مَعَ الصَّدَى
٤- ظَلَلْتُ بِهَا أَذْرِي الدُّمُوعَ كَمَا صَرَى
٥- دِيَارُ الَّتِي هَاجَرْتُ غَضْرًا وَلِلْهَوَى
٦- أَذُودُ ارْتِدَاعِ الْوُذِّ لَا خَشْيَةَ الرَّدَى
٧- لِيَغْلِبَ حُبُّهَا عَزَالِي وَالسَّيْفِ
٨- وَتَسْلِمَ مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ وَالنَّيْ
٩- أَمِيمٌ لِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ ضِمَالَةٌ
١٠- أَمِيمٌ لِقَلْبِي عَنِّي وَأَرِيتَنِي
١١- فَارْتَاخْ أَحْيَانًا وَحِينًا كَالْمَا
١٢- فَقُلْتُ : غَيَالٌ مِنْ أَمِيمَةٍ هَاجَنِي
١٣- فَقَالُوا : تَجَلَّدُ إِنَّ ذَلِكَ عَرَامَةٌ
١٤- وَمَا مَاءُ مُزْنٍ فِي حُجْبِلَاءِ ذُوكِهَا
١٥- صَفَا فِي ظِلَالٍ ، بَارِدٌ ، وَتَطْلَعْتُ
١٦- مُعْتَكِرٌ دَلَّاحٌ مَرَّتْ وَذَقَاتِهِ
١٧- بِطَائِبٍ مَنْ فِيهَا مَذَاقًا وَالنَّيْ
١٨- هَنِيئًا لِعُودِ الضَّرْوِ شَهْدٌ يَنَالُهُ
١٩- وَمَنْصِبُهَا حَفَشٌ أَحْمَرٌ يَزِينُهُ

(١) ديوانه ٩٨ - ١١٨ .

٢٠- بما قد تسقى من سلاف وضمة
 ٢١- أحب هبوط الوادين وإلي
 ٢٢- وقالت أما والله لولا اشتهاؤكم
 ٢٣- لما شمل الأحشاء منك غلاظة
 ٢٤- أحقا - عباد الله - أن كنت صادراً
 ٢٥- ولا ناظراً إلا وطرفي ذولة
 ٢٦- ولا ماشياً وخدي ولا في جماعة
 ٢٧- وهل ربة في أن تحن لجمبة
 ٢٨- لك الله ، إلي واصل ما وصلني
 ٢٩- وأخذ ما أعطيت عفواً وإلي
 ٣٠- فلا تتركني نفسي شعاعاً لئلا
 ٣١- أحب أطراف النهار بشاشة
 ٣٢- ولما رأيت الحجر أنقى مودة
 ٣٣- هجرت اجتناباً غير بفض ولا قلى
 ٣٤- وبئسها قالت وبئني وبئسها
 ٣٥- عذرتك من هذا الذي مر لم ينج
 ٣٦- فقلت له : لا تال هلاً عذرتي
 ٣٧- أميم أهون بي عليك وقد بدا
 ٣٨- فقال لها : يا أملح الناس راكب
 ٣٩- صدوداً وإعراضاً كالي مذنب
 ٤٠- لعمري لئن أوليتني منك جفوة
 ٤١- وطاوعت بي قوماً عدى أن تظاهروا
 ٤٢- لبئس إذن عون الخليل اعنني
 ٤٣- فإن لم تري مني عليك فتحمدي
 ٤٤- ذماماً إذا طاوعت (بي) قول كاشح
 ٤٥- وإلي لاستحيك حتى كالمما

بنان كهذاب الدمقس خضيب
 لستتهن بالوادي من غريب
 وجئني عليك الذلب حين تليب
 ولا زرقنا إلا وأنت تطيب
 ولا وارداً إلا علي رقيب
 بعيد المراقبي في السماء مهيب
 من الناس إلا قيل : أنت مرب
 إلى الفها أو أن يحن لجمب
 ومبني بما أوليتني ومب
 لأزور عما تكرهين هيب
 من الوجع قد كادت عليك قدوب
 وفي الليل يدعوني الهوى فأحب
 وطارت لأضغان علي قلوب
 أميمة منهجور إلي حبيب
 مهامه غير ما بهن غريب
 علينا فجزينا ونحن قريب
 إليها فقد حلت علي ذلوب
 بجسمي ثم أزدرين شحوب
 به شعث باد به وشحوب
 وما كان لي إلا هواك ذنوب
 وشب هوى قلبي إليك شوب
 علي بقول السوء حين أغيب
 على نائبات الدهر حين تنوب
 وفي الله قاضي بيننا وخسب
 من القبط يفري كذبته ويعب
 علي يظهر الغيب منك رقيب

٤٦- حَذَارَ الْقَلْبِ وَالصُّرْمِ مِنْكَ فَإِنِّي
 ٤٧- لَمَّا حَسَرَاتِ النَّفْسِ مِنْ غُرْبَةِ الْهَوَى
 ٤٨- وَمِنْ غَطَرَاتِ لَعَنَتِي وَزَفَرَةِ
 ٤٩- أَصْدُ وَيِ مِثْلُ الْجُنُونِ مِنَ الْهَوَى
 ٥٠- إِذَا أَكْفَرَ الْكُفْرَةَ الْمَحَبُّ وَلَمْ يَكُنْ
 ٥١- وَقَدْ جَعَلْتُ رِيَا الْجَنُوبِ إِذَا جَرَتْ
 ٥٢- جَنُوبٌ بَرِيًّا مِنْ أَمِيمَةٍ تَغْتَدِي
 ٥٣- تَهَيَّجُ عَلَيَّ الشُّوقُ بَعْدَ الدِّمَالِ
 ٥٤- أَحِنُّ إِلَى الرَّمْلِ السِّمَانِيِّ صَبَابَةً
 ٥٥- فَايْنِ الْأَرَاكِ الدُّوْحُ وَالسَّنْدُ وَالْقَضَى
 ٥٦- وَإِنَّ النَّسِيمَ الْعَذْبَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا
 ٥٧- وَالسِّيَّحَ لِأَرْضِ السَّجْمِ حَتَّى كَأَنِّي
 ٥٨- وَأَشْتَاقُ لِلْبَرْقِ السِّمَانِيِّ إِذَا غَدَا
 ٥٩- وَبِالْحَقْلِ مِنْ صَنْعَاءَ كَانَ مَطَافُهَا
 ٦٠- أَلَمْتُ وَأَيْدِي الثَّجَمِ خُوصَ عَلَى الشُّفَا
 ٦١- وَرَبْدَةُ ذَاتِ الْحَقْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 ٦٢- فَتَبَهْتُ مَطْوِيَّ اللَّذِينَ كِلَاهُمَا
 ٦٣- جَفَّتْهُ الْقَوَالِي بَعْدَ حِينٍ وَلَا حَةَ
 ٦٤- وَطُولُ اخْتِضَانِ السَّيْفِ حَتَّى يَمْتَكِي
 ٦٥- وَارْجَافُ جَمْعٍ بَعْدَ جَمْعٍ وَغَايَةِ
 ٦٦- وَقَدْ جَعَلَ الْوَاشُونَ غَمْدًا لِيَعْلَمُوا
 ٦٧- أَمِيمَ الصَّبِيِّ عَيْنَتِكَ لَخَوِي تَبْنِي
 ٦٨- أَذَاهِبَةً لِبَلِي شِعَاعًا وَلَمْ يَكُنْ
 ٦٩- فَإِنَّ الْكُتَيْبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى
 ٧٠- وَالسِّيَّحَ عَلَى رَغَمِ الْفِدَاةِ بِالْقَعِ
 ٧١- غُلُوبٌ هَا مِنْهَا لَهَوْلٌ وَالسِّيَّحَ

عَلَى الْقَهْدِ - مَا دَارَمْتَنِي - لَعَنَتِي
 إِذَا التَّقْسَمَتْنَا لَيْتَةً وَشَهْوَةً
 لَهَا بَيْنَ لَحْمِي وَالْعِظَامِ شَهْوَةً
 وَأَهْجَرُ لِيَلِي الْقَضَرُ ثُمَّ الْيَبْسُ
 لَهُ عَلَّلَ كَادَ الْمَحَبِّ يَرِيْبُ
 عَلَى طَيْبِهَا تَنْدَى لَنَا وَطَيْبِهَا
 حِجَارُ لَيْتَةً غُلُوبَةً وَكُسُوفُ
 يَمَانِيَّةَ غُلُوبَةً وَجَنُوبُ
 وَهَذَا لَعْمَرِي - لَوْ رَضَيْتُ - كَثِيبُ
 وَمُسْتَخْبَرٌ مِّنْ لِّحَبِّ قَرِيبُ
 يَجْهِيءُ مَرِيضًا صَوْبُهُ فَيَطْلُبُ
 عَلَى كُلِّ لَحْمٍ فِي السَّمَاءِ رَقِيبُ
 وَأَزْدَاذُ شَوْقًا أَنْ تَهْبُ جَنُوبُ
 كَذُوبًا وَأَهْوَالُ الْمَنَامِ كَذُوبُ
 وَقَدْ كَانَ مِنْ سُلَافِهِنَّ غُرُوبُ
 سَرَى لَيْلَةً سَارَ إِلَى حَيْبُ
 يُلْبِسِينَ عِنْدَ الْمُنْظَعَاتِ مُجَسَّبُ
 شُمُوسٍ لِأَلْوَانِ الرِّجَالِ صَهُوبُ
 أَخَادِيدُ مِنْ آثَارِهِ وَلَذُوبُ
 صَبَاحَ مَسَاءٍ لِلجَنَانِ رَغُوبُ
 أَلِي مِثْلِكَ أُمُّ - يَا أَمِيمَ - لَصِيبُ
 بِجَسْنِي هُمَا تَفْعَلِينَ شُحُوبُ
 لَهَا مِنْ ظِلِّهَا الْوَادِيَيْنِ لَصِيبُ
 إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحْيَبُ
 شِفَاءَ لَحُومَاتِ الصَّدَى لَشُرُوبُ
 بِنَفْسِي عَنْ مَطَرِ وَقِهَا لِرَغُوبُ

٧٢- مُجِيبٌ لِدَّاعٍ مِنْ أُمَمَةٍ إِنْ دَعَا
 ٧٣- تَلَجَّيْنِ حَتَّى يَزْرِي الْهَجْرُ بِالْهَوَى
 ٧٤- يَحْمُنُ حَيَّامٌ أَهْلِيهِمْ لَمْ تَلْقَ شَأْئاً
 ٧٥- وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى قَلِقَ الْحَصَى
 ٧٦- وَلَوْ أَنَّي اسْتَعْفَرُ اللَّهَ كَلَمَّا
 ٧٧- اُمْتُكِرَ مِمَّسَايَ إِنْ جِئْتُ زَائِراً
 ٧٨- دَعَوْنِي أَرِذْ حَسْبِي ابْنُ زَيْدٍ فَإِنَّهُ
 ٧٩- أُمَمٌ أَحْذَرِي لِقَظِ الْقَوَى لَا يَزُلْ لَنَا
 ٨٠- وَكُونِي عَلَى الْوَاشِينَ لِلدَّاءِ شُعْبَةً
 ٨١- أَلَا يَا أُمَمِ الْقَلْبِ دَامَ لَكَ الْغَى
 ٨٢- أَسِيرٌ صَغِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ مُجَسَّرٌ
 ٨٣- فَلَا تَمْتَحِنِي الْبُخْلُ مِنْكَ وَتَفْجَاجِي
 ٨٤- أَمَا وَالَّذِي يَنْجُو السَّرَائِرَ كَأَنَّهَا
 ٨٥- لَقَدْ كُنْتُ مِمَّنْ تَضْطَلِّي النَّفْسُ مَخْلَةً
 ٨٦- وَلَكِنْ تَجَنَّبْتَ الدُّلُوبَ وَمَنْ يُرِدْ
 ٨٧- بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا غَرَضُوا لَهُ
 ٨٨- وَلَمْ يَفْتَدِرْ غُلْدَرُ الْبَرِيءِ وَلَمْ يَزَلْ
 ٨٩- لَقَدْ ظَلَمُوا ذَاتَ الْوُشَاحِ وَلَمْ يَكُنْ
 ٩٠- يَقُولُونَ : لَا يُمَسِّي الْقَرِيبُ بَارِضَنَا
 ٩١- هَرِيبٌ دَعَاهُ الشُّوقُ فَالْتَاذَةُ الْهَوَى
 ٩٢- فَانْتَ أَلَسْتَ ذَلَّتْ لِلنَّاسِ صَعْبَتِي
 ٩٣- وَإِنْ أَسْمَعَنِي دَعْوَةٌ لِأَجْبَتُهَا
 ٩٤- أَلَا لَا أَبَالِي مَا أَجِئْتُ صُدُورُهُمْ
 ٩٥- فَإِنْ تَعَمَّلُوا حِفْظاً عَلَيَّ فَإِنِّي
 ٩٦- يُثَابُ ذَوُو الْأَهْوَاءِ غَيْرِي وَلَا أَرَى
 ٩٧- يَقُولُونَ أَقْصِرْ عَنْ هَوَاهَا فَقَدْ وَغَتْ

سِوَاهَا بِقَوْلِ السَّالِبِينَ ذُهِبْتُ
 وَحَتَّى تُكَادَ السُّنُفُ عَنْكَ تَطْبُتُ
 أَلَا ابْنَ الْنُفُوسِ الْهَالِمَاتِ مُهَيَّبُ
 وَبِالرَّيْحِ لَمْ يُسْمَعْ لَهْنُ هُبُوبِ
 ذَكَرْتُكَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيَّ ذُكُوبُ
 إِلَيْكُمْ وَمَعْقُودٌ عَلَيَّ ذُنُوبُ
 هُوَ الْقَذْبُ يَحْلُسُ لِي لَنَا وَيَطْبُتُ
 عَلَى النَّيِّ وَالْهَجْرَانِ مِنْكَ لَصِيبُ
 كَمَا أَنَا لِلْوَأْسَى الدُّ شُغُوبُ
 فَمَا سَاعَةً إِلَّا عَلَيَّ رَقِيبُ
 أَمْ أَهْزُرُ يَرْمِي بِالظُّلُونِ مُرِيبُ
 عَلَيَّ بِأَمْسِرٍ لَمْ يَكُنْ بِذُنُوبِ
 فَيَقْلَمُ مَا يَبْدُو لَهُ وَيَغِيبُ
 لَهَا ذُونَ خِلَاطِ الصُّلَاءِ لَصِيبُ
 يَجِدُ الْقَوَى تُفَادِرُ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
 بِسَمْعِي الْأَذَى لَمْ يَدْرُ كَيْفَ يُجِيبُ
 بِهِ صَعْقَةٌ حَتَّى يُقَالَ : مُرِيبُ
 لَنَا فِي هَوَى ذَاتِ الْوُشَاحِ لَصِيبُ
 وَإِنِّي الْهَدَايَا إِلَيْنِي لَقَرِيبُ
 كَمَا قَبِلَ عَوْدَ بِالزَّمَامِ أَدِيبُ
 وَقَرَّبْتَ لِي مَا لَمْ يَكُنْ بِقَرِيبِ
 أَلَسْتُ سُلَيْمِي قَبْلَ كُلِّ مُجِيبِ
 إِذَا لَصَحْتُ مِمَّنْ أَوْدُ جُيُوبُ
 لَقَذْبُ الْمِيَاهِ نَعْوَاكُمْ لِشُرُوبِ
 أُمَمَةٍ ثَمَّا لَقَدْ لَقِيتُ مُنِيبُ
 ضَاهَانِ شَبَابٍ عَلَيْكَ وَشَيْبُ

٩٨- ألْهَفِي لِمَا ضَيَّعْتُ وَدِّي وَمَا هَلَا
 ٩٩- وَإِنْ طَيِّباً يَشْعَبُ الْقَلْبَ بَعْدَمَا
 ١٠٠- رَأَيْتُ لَهَا نَاراً وَبَيْتِي وَبَيْتَهَا
 ١٠١- إِذَا جَنَّتْهَا وَهَنًا مِنَ اللَّيْلِ شَبَّهَا
 ١٠٢- وَقَدْ وَعَدْتُ لَيْلَى وَمَنْتَ وَلَمْ يَكُنْ
 ١٠٣- مُحِبًّا أَكُنَّ الْوَجْدَ حَتَّى كَالَهُ
 ١٠٤- أَلَا لَا أَرَى وَاْدِي الْمِيَاهِ يُثِيبُ
 ١٠٥- يَقْرُ بَعْثِي أَنْ أَرَى ضَوْءَ مَرْلَةٍ
 ١٠٦- فَإِنْ خَفْتُ أَلَّا تُحْكِمِي مِرَّةً الْهَوَى
 ١٠٧- أَكُنْ أَحْوَذِي الصَّرْمَ إِمَّا لِخَلَّةٍ
 ١٠٨- تَفِثُكَ عَاماً ثُمَّ عَامَيْنِ بَعْدَهُ
 ١٠٩- فَأَبْلَسْتُ إِبْلَاسَ الدُّنْيَى وَمَا عَدْتُ
 ١١٠- رَجَاةَ كَوَالٍ مِنْ أَمِيمَةٍ إِلَيْهَا
 ١١١- وَقَدْ قُلْتُ يَوْمًا لِأَبْنِ عَمْرٍو وَقَدْ غَلَّتْ
 ١١٢- وَأَيْدِي الْأَعَادِي مُشْرِعَاتٍ فَطَرَفْنَا
 ١١٣- ثُمَّعْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ بِنَظَرَةٍ
 ١١٤- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ هَلْ تَذَكَّرْتَنِي
 ١١٥- وَهَلْ لِي نَصِيبٌ فِي فُؤَادِكَ ثَابِتٌ
 ١١٦- فَلَسْتُ بِمُتْرُوكٍ فَاشْرَبْ شَرِبَةً
 ١١٧- رَأَيْتُ لِفُوسًا كَيْتَلِي طَالَ حَبْسُهَا
 ١١٨- فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْزُرْ
 ١١٩- سَقَيْتُ دَمَ الْحَيَاتِ إِنْ كُنْتُ بَعْدَهَا
 ١٢٠- وَإِلَى لِقَائِي وَقَدْ نَامَ صُحْبَتِي

فُؤَادِي لِمَنْ لَسَمَ يَدِي كَيْفَ يُثِيبُ
 تَصَدَّعَ مِنْ وَجْدٍ هَا لِكَذُوبٍ
 مِنَ الْعَرَضِ أَوْ وَاْدِي الْمِيَاهِ سُهَوٍ
 مِنَ الْمُنْذَلِي الْمُسْتَعْجِلِ ثَقُوبٍ
 لِرَاجِي الْمُنَى مِنْ وَدَّهِ نَصِيبٍ
 مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ التَّلَادِ سَلِيبٍ
 وَلَا النَّفْسُ غَمًّا لَا تَنَالُ طَلِيبٍ
 يَمَالِيَةِ أَوْ تَهْهِبُ جَنُوبٍ
 فَرُدِّي فُؤَادِي وَالْمَزَارَ قَرِيبٍ
 سِوَاكَ وَإِمَّا ارْغُصِي فَاثُوبٍ
 كَمَا تَبِيعَ الْمُسْتَعْفِينَ جَنِيبٍ
 لَكَ النَّفْسُ حَاجَاتٍ وَهْنٌ قَرِيبٍ
 إِذَا وَعَدْتَنَا نَائِلًا لَكُذُوبٍ
 قَوْنِقَ الثَّرَاقِي الْفُسْ وَقُلُوبٍ
 إِلَى طَرَفِهِمْ لَسَمَ بِهِ فَتُصِيبُ
 وَقَدْ قِيلَ : مَا بَعْدَ الْكُتُبِ كُتِيبُ
 فَذَكَّرَكَ فِي الدُّنْيَا إِلَى حَبِيبٍ
 كَمَا لَكَ عِنْدِي فِي الْفُؤَادِ نَصِيبُ
 وَلَا النَّفْسُ غَمًّا لَا تَنَالُ طَلِيبُ
 عَلَى غَيْرِ جُحْرٍ مَا هُنَّ ذُنُوبُ
 حَبِيبًا وَلَسَمَ يَطْرُبُ إِلَيْكَ حَبِيبُ
 مُحِبًّا وَلَا عَنَقْتُ حِينَ يَحُوبُ
 رَوَائِعُ حَتَّى لِلْفُؤَادِ وَحَبِيبُ

● شرح المفردات :

الْهَفِي : الريح الحارة . بسباس ، وسباسب : الأرض الخالية من النبات المستوية

والثاوي : المقيم . والبين : التفرق . عازفات : يعني الجن تغزف في الدار . والصدى : ما سمعته إذا أنت صحت كالنجيب لك وليس بذلك . الجوف : يعني القصب الأجوف الذي يزمر فيه . هن ثقوب : يعني القصبات ، وكذلك يكون قصب الزامر . كما صرى : أي كما سأل . الغرب : الدلو العظيمة . خرز : جمع خرزة . العراق : عراق الدلو . أذود : أمتع . الردى : الهلاك . الصدى : العطش . واللواب : العطش أيضاً . شبة كل شيء : حده . الذريب : المحدث . المزن : الغيم الأبيض ، واحده مزنة . الشم : الأعالي . ذروة كل شيء : أعلاه . اللهوب : جمع لهب ، وهو أصل الجبل ، وهو شق فيه ، وكذلك السفح والجرف . السفح : الجانب . حجيلاء : اسم جبل . تطلعت به فرطاً : يعني بالماء . الفرط : المواضع الملوئة بالماء . الصبوب : الموضع الذي يشرب منه ثم ينصب . المعسكر : يعني مجمع المطر . الدلاح : الغيم الكثير الماء ، الذي قد ثقل بمائه . الودق : المطر . وقوله : «مرت» : أي استخرجت ماء الصبا بعدما هبت له الجنوب . الشيم : النظر إلى الغيم والمطر . فيقول : إن فاهاً أطيب من هذا الكلس . عود الضرو : يعني المسواك . نحصرات : باردات . الدمسق : الحرير . هذاب : الشوب : طرفه . الواديان : بلدة في جبا السراة . المهامة : جمع مهمه ، وهو المقازة والسرية القفر . وما هن غريب : أي ما هن أحد . والنهاويل : جمع هويل وهوال ، وأصله ما هلك من شيء ، أراد بها هنا الفياق المخوفة . الهون : الهواند . تزدرين : تحقرين . الشحوب : التغير . شب النار يشبها شياً : إذا أشعلها . الشعث : بالستحريك تلبد الشعر واغبراره . تظاهروا : تعاونوا ، يقال : ظاهره على الأمر ، أي عاونه . يفري : يقول : يعمل ، وكل من عم عملاً بالغ فيه قيل له : فري يفري . يقال «صلب» و«صليب» ، و«جلد» و«جليد» . والقلى : البغض . الصرم : القطع . يقال : «شعبتهم شعوب» ، ويقال للمنية : «شعوب» لأنها تشعب من أخذته ، ويقال «شت شعبي الحي» : أي التثامهم واجتماعهم . الزفرة : في القلب . والشهقة : في

الحلق . أناب : تاب ورجع . حجازية : تأتي من نحو الحجاز ، وسميت الحجاز حجازاً لاحتجازها بالجبال . تووب : ترجع . الاندمال : البرء . الأراك : ضرب من الشجر يتخذ من عيدانه السواك . والدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة المتسعة من أي أنواع الشجر كانت . السدر : شجر النبق ، واحده سدره . والغضى : شجر ينبت في الرمل . يقول : رأيتها في المنام فكانت تلك الزيارة باطلة . ذهب — «النجم» إلى الجمع . يقال : «تخاوصت النجوم» : إذا غارت وتضاءلت . يقول : نبهت رفيقي وصاحبي اللذين يجيباني بالتلبية . الفوالي : النساء اللاتي يقلينه . لاهه : غيَّره . ويقال : صهبت النار والشمس ، وصحبته ، ولاحته بمعنى واحد . الأحاديث : الشقوق . الدوب : الآثار . «إرجاف جمع بعد جمع» : يعني المساكر . الغابة : الأجمة . النبل : جمع نبالة ، وهي السهم ، وخص بعضهم النبل بالسهام العربية . وشجاع : متفرق . الحومات : جمع حومة ، وهي مصدر مرة من حام ، إذا دار حول الماء من شدة العطش ، وكان عطشان حائم ، ويقال : إبل حوام وحوم ، أي عطاش جداً . علول : فعول من العلل ، وهو الشرب الثاني ، ونحول : فعول من النهل ، وهو الشرب الأول . رغب بنفسه عن الأمر : عافه وارتفع بنفسه عن مقارفته . المهيم : العطاش . الحسى — ها هنا — : كناية عن المرأة . الألد : الشديد الخصومة . يقال : قد لددت تلذ : العود : المسن من الجمال . الجيوب : جمع جيب ، وهو طوق القميص ، ويقال : فلان ناصح الجيب ، أي القلب والصدر . شعب — ها هنا — : بمعنى جمع ، ويطلق أيضاً على التفريق — ضد . السهوب : جمع سهب ، وهو المستوي في سهولة الأرض . الوهن والموهن : منتصف الليل . المندي : العود . الثقوب : من قلوهم أثقبت النار يقال «رجل أحوذني» : أي ماض في الأمور . الأرعواء : الانتباه . المال التلاد : القديم المتوارث . المزنة : السحابة البيضاء . المرة : طاقة الجبل . الجنيب : البعير الضائع النقاد أبلس : سكت . التراقي : جمع ترقوة ، وهي عظم يصل بين ثغرة النحر والعاتق من

الجانبيين . مشروعات : مسددات . حاب : ألم وحزن ، من الخوبة ، وهي الوجع
والوهن والحزن . وجيب القلب : خفقانه واضطرابه .

التطبيق

- ١- أميم : بالفتح : منادى مرفوع مفرد علم مبني على الفتح على لغة من ينتظر .
بالضم : منادى مرفوع مفرد علم مبني على الضم على لغة من لا ينتظر .
والجملة (أميم) : اعتراضية بين المبدأ والدار وخبره شبه الجملة أمنك .
- ٢- بسابس : خبر لمبتدأ محذوف ، مرفوع ..
غريب : اسم يصحح .. ، وثاويًا : الخبر . وقد تنازع الفعلان لم يصبح ولم
يمس .
- ٣- سوى : صفة غريب في البيت السابق .
مع : مفعول فيه ظرف زمان منصوب متعلق بالفعل ينتحين .
كما : الكاف : حرف جر ، ما : مصدرية ، والمصدر المؤول من (ما) وما
بعدها في محل جر بحرف الجر ، والجار والمجرور متعلقان بصفته نائب
مفعول مطلق .
- ٤- جملة (ظلت) : في محل رفع خبر بسابس في البيت الثاني .
كما = كما في البيت السابق .
- ٥- فاقد : مبتدأ مؤخر مرفوع وخبره شبه الجملة (للهمي) .
- ٦- ارتداع : مفعول لأجله منصوب ..
لا خشية : لا : حرف عطف ، خشية : اسم معطوف على ارتداع .
صدى : مفعول به للفعل أذود .

- إليه : جار ومجرور متعلقان بالفعل (تلوب) .
- ٧- حبيبها : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ،
والسياء ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة ، وهما : ضمير متصل
مبني في محل نصب مفعول به للمصدر .
- لصبري : جار ومجرور متعلقان بـ (غلوب) .
- لغلوب : اللام مزحلقة ، غلوب : خبر إن مرفوع ..
- ٩- ضمانه : مبتدأ مؤخر مرفوع خبره شبه الجملة (لقلبي) .
- من هواك : متعلقان بضمانة ، أو بحال منها ، لأن شبه الجملة تقدمت على النكرة .
- لو : حرف للتمني .
- ١٠- بدائع : مفعول به ثان للفعل (أريتني) .
- لهن : جار ومجرور متعلقان بخبر مقدم للمبتدأ ضروب .
- ١١- ماضي : مبتدأ ، وخبره : ذريب .
- على كبدي : جار ومجرور متعلقان بـ (ذريب) .
- ١٢- خيال : مبتدأ مرفوع ، وخبره جملة (هاجني) .
- ذو : مبتدأ ، وخبره طروب .
- للطيف : متعلقان بـ (طروب) .
- ١٣- ما : نافية أو عاملة عمل ليس .
- في البكا : خبر ، وتصيب : مبتدأ أو اسم ما .
- للواجدين : جار ومجرور متعلقان بـ (نصيب) أو بحال منه .



النص الخامس

■ قال ابن زيدون يتشوق إلى ولادة (١) :

- ١- أضحى السنائي بديلاً عن تدالينا
- ٢- ألا وقد حان صبح البين صبحنا
- ٣- من مبلغ الملبسينا بالبعزاجهم
- ٤- أن الزمان الذي ما زال يضحكننا
- ٥- غيظ العدا من تساقينا الهوى فذعوا
- ٦- فاحل ما كان معقوداً بالفسنا
- ٧- وقد نكون وما يخشى تفرقنا
- ٨- يا ليت شعري ولم لغتب أعاذيكم
- ٩- لم نعتد بعدكم إلا الوفاء لكم
- ١٠- ما حقنا أن تقرؤا عين ذي حسد
- ١١- كنا نرى اليأس (تسلينا عوارضه)
- ١٢- بئس وبتاً لما ابتلت جوانحن شوقاً
- ١٣- يكاد ، حين تناجيكم ضمائرنا ،
- ١٤- خالت لفقدكم أيامنا (فقدت)
- ١٥- إذ جانب العيش طلق من تألفنا
- ١٦- وإذا هصرنا غصون الوصل دالية
- ١٧- ليسق عهدكم عهد السرور لما
- ١٨- لا تحسبوا لايكم عنا يغيرنا
- ١٩- والله ما طلبت أهواننا بدلاً

ولاب عن طيب لقينا نجاهينا
حين ، فقام بنا للحين ناعينا
حزناً مع الدهر لا ينلى ويئينا
أنساً بقربهم قد عاد يكيينا
بان كقص ، فقال الدهر : آمينا
وابت ما كان موصولاً بأيدينا
فاليوم نحن وما يرجي تلاقينا
هل نال حظاً من الغنى أعادينا
راياً ، ولم لتقلد غيره ديننا
بنا ، ولا أن تسروا كاشحنا فينا
وقد يتسنا فما للياس يغيرنا
شوقاً إليكم ، ولا جفت مآقينا
يقضي علينا الأسى لو تأسنا
سوداً ، (وكانت بكم بيضاً ليالينا)
ومرتع اللهو صاف من تصافينا
قطافها ، فحنينا منه ماشينا
كنتم لأرواحنا إلا رباحينا
أن طالما غير السأي المحيينا
منكم ، ولا انصرفت عنكم أمالينا

(١) ديوانه ١٤٧-١٤٣ .

٢٠- يا ساريّ البرقِ غادِ القصرَ فاسقي به
 ٢١- واسألْ هنالك هل عني تذكرنا
 ٢٢- وبما نسيم الصُّبا بلغْ قهيقنا
 ٢٣- فهل أرى الذَّهرَ يَقْضينا مُسَاعِفَةً
 ٢٤- ربيبُ ملكٍ كانَ اللهُ أنْشأه
 ٢٥- أو صاغَهُ ورَقاً مَخْضاً ، وتوجَّهُ
 ٢٦- إذا تَأَوَّدَ آذُنُهُ رَهاهِمِيَّةً
 ٢٧- كانت له الشمسُ ظِئراً في أَكْلَتِهِ
 ٢٨- كَأَلَمَّا أَتَيْتُ في صَحْنٍ وَجَنَّتِهِ
 ٢٩- ما ضَرَّ لم نَكُنْ أَكْفاءَ شَرْفاً
 ٣٠- يا رَوْضَةَ طالما أَجَنَّتْ لَواحِظُنَا
 ٣١- وبما حَيَاةُ غَلِيْنَا بَزْهَرَتِهَا
 ٣٢- وبما نعيمُ خَطَرُنَا في غَضَارَتِهِ
 ٣٣- لَسْنَا لِسْمِيكَ إِجْلالاً وَتُكْرِمَةً
 ٣٤- إذا الْفَرْدَتِ وما شُورَكَتِ في صِفَةٍ
 ٣٥- يا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَهْدِلْنَا بِسَدْرَتِهَا
 ٣٦- كَأَلَمَّا لم نَبْتَ وَالْوَصْلُ فَالْتَمْنَا
 ٣٧- سِرَّانٍ في خَاطِرِ الظُّلَماءِ يَكْتُمُنَا
 ٣٨- لا غُرُوْا في أَنْ ذَكَّرْنَا الْحَزْنَ حينَ لَهَتْ
 ٣٩- إنا قَرَأنا الْأَسَى يومَ النَّوَى سُوراً
 ٤٠- أما هَواكِ فَلَمْ نَعْدِلْ بِمَنْهَلِهِ
 ٤١- لم نَجِفْ أَلْفَ جَمالٍ أَنْتَ كَوَكْبُهُ
 ٤٢- ولا اخْتِياراً تَجْتَنِّبُنَاهُ عَنْ كَتَبِ
 ٤٣- ناسى عَلَيْكَ إِذا حَبَّتْ مُشْتَعِشَعَةٌ
 ٤٤- لا أَكُوسُ الرِّيحِ تُهْدِي من شَمالِنَا

مَنْ كانَ صَرفَ الْهَوى وَالوَدَّ يَسْقِيها
 الْفِئْءُ تَذَكُّرُهُ أَمْسَى يُعَيِّنُنا
 مَنْ لو على الْبَعْدِ حَيًّا كانَ يُحْيِينا
 فِيهِ ، وَإِنْ لم يَكُنْ غِيباً تَقاضِينا
 مِسْكَ ، وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طَبِنا
 مِنْ ناصِيعِ الثَّبرِ إِبْداعاً وَتَحْسِينا
 نَوْمِ الْفَقُودِ ، وَأَذَمَّتُهُ الْبُرى لَبِنا
 بَلْ ما تَجَلَّسَى لَها إِلَّا أَحْيَاها
 زُهرُ الْكُواكِبِ لَعَوِيْداً وَتَرِيْنا
 وَفي الْمَوْدَةِ كَافٍ مِنْ تَكاْفُفِنا
 وَزَداً جِلاهِ الصُّبا غَضْناً وَكسْرِينا
 مُنَى ضُرُوباً وَلِذاتِ أَهْلِيْنا
 فِي وَشْيِ نَعْمَى سَحَبْنَا ذَيْلُهُ حِينا
 وَقَدَّرَكَ الْمُغْتَلِيْ عَنْ ذاكِ يُغَيِّبُنا
 فَحَسَبْنَا الْوَصْفُ إِيضاحاً وَتَبْيِيْنا
 وَالْكُؤُوسِ الْقَلْبِ زُقُوماً وَغَسْلِيْنا
 وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ مِنْ أَجْفانِنا وَاشْهِنا
 حَتَّى يَكادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِيْنا
 عَنْهُ النُّهى ، وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ نَاسِيْنا
 مَكْتُوبَةً ، وَأَخَذَنا الصَّبْرَ لَلْقِيْنا
 شَرِباً ، وَإِنْ كانَ يَرويْنا فَيَضْمِيْنا
 سَالِيْنَ عَنْهُ ، وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِيْنا
 لَكِنْ عَدَلْنَا على كَرِهِ عَوادِيْنا
 فِيْنا الثَّمُولُ ، وَغَلَّابُنا مَغْنِيْنا
 سِيما ارْتِياحَ وَلَا الْأَوْتارَ لَلْهِيْنا

- ٤٥- دُومِي عَلَى الْعَهْدِ ، مَا دُمْنَا ، مُحَافِظَةً
 ٤٦- فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا
 ٤٧- وَلَوْ صَبَا لِحَوْنِنَا مِنْ غُلُوِّ مَطْلَعِهِ
 ٤٨- أُولَى وَفَاءً وَإِنْ لَمْ تُبْذَلْ صِلَةٌ
 ٤٩- وَلِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَقْتَ بِهِ
 ٥٠- عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ
- فَاخِرُ مَنْ دَانَ الْإِصْفَاءَ كَمَا دِينَا
 وَلَا اسْتَقْدَنَا مَهِيْبًا عَنْكَ يَفْسِدَا
 بَذَرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُضَيِّبُنَا
 فَالطَّيْفُ يُقْنِعُنَا ، وَالذِّكْرُ يَكْفِينَا
 بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَا زَالَتْ تُؤَلِّبُنَا
 صَبَابَةً بِكَ تُخَفِّفُهَا فَتُخَفِّفُنَا

● شرح المفردات :

أَلَا ، بفتح أوله وتشديد ثانيه المفتوح : حرف تحضيض ، يختص بالجمع الفعلية
 الخسرية كسائر أدوات التحضيض (معني اللبيب) . الحين : الهلاك . العتي : الرضا .
 وأعتبه : أعطاه العتي ، ورجع إلى مسرته . تقول : قد أعتبني فلان : أي ترك ما كنتُ
 أحيدهُ عليه من أجله ، ورجع إلى ما أرضاني عنه ، بعد إسقاطه إياي عليه . وفي المثل :
 ما مسيءٌ مَنْ أعتب (اللسان) . الكاشع : مضمِرُ العداوة . الأسى : الحزن . أساه
 تأسية فتأسى : عزاه فتعزى . قالت الخنساء :

مَا يَكُونُ مِثْلُ أَخِي وَلَكِنْ أَعَزِّيَ النَّفْسَ مِنْهُ بِالتَّاسِي

هتبرتُ الغصن وبالعصن : إذا أخذت برأسه فأملتة إليك . غاداه : باكره .
 الصُّرْف ، بكسر الصاد وسكون الراء : الخالص من الخمر وغيرها . عنى عناءً :
 نصيب . (نصب ، كفرح : أعيأ وأتعب) . وعناه : أتعبه فتعنى . الغبُّ في الزيارة : أن
 تكون كل أسبوع (القاموس) . ربٌّ ولده يرثه : بمعنى رباه ، والولد مروبٌ وربيبٌ .
 السورقُ : الفضة . الثبرُ : الذهب . التأوُدُ : التمني . تأوُدُ العودُ : إذا تشبى . آده الأمرُ
 يؤدوه أوْدًا : بلغ منه المجهود والمشقة ، وفي التنزيل العزيز : ﴿وَلَا يُؤْدُهُ حِفْظُهُمَا﴾
 [سورة البقرة ، آ: ٢٥٥] ، قال أهل التفسير وأهل اللغة معا : معناه : ولا يكرثه ، ولا
 يشقله ، ولا يشق عليه . التومة : اللؤلؤة ، والدرة . والجمع : ثومٌ وثومٌ . قال أيوب

ومسحّل : ابنا ربداء ابنة جرير : كان جرير يسمي قصيدتيه اللتين هجا فيهما الشعراء ،
وإحداهما :

ظعن الخليط للفرية وتناء
ولقد نسيت برامتين عزالي
والأخرى :

صَرم الخليط لـزابلوك لكورا
وحسبت بينهم عليك يسرا
قالا : كان يسميهما التومتين . البرّة : الخللخال . والجمع : بُرى . النسرين ، بكسر
السنون : وردّ معروف ، وهو ضرب من الرياحين (تاج العروس) . تملّى إخوانه : متّع
بهم . يقال : ملاك الله حبيبك : أي متّعك به وأعاشك معه طويلاً . وتملّيت عمري :
استمتعت به . ويقال لمن ليس بالجدد : أبلّيت جديداً وتملّيت حبيباً : أي عشت معه
ملاوة من دهرك وتمتعت به . الضربُ : الصنف من الأشياء . والجمع : ضروب . الفنُ :
النوع والضرب من الشيء . والجمع أفنان وفنون . يقال : رعينا فنون النبات ، وأصينا
فنون الأموال . وتجمع أفنان وأفانين ، وهو جمع الجمع . يقال : أفانين الكلام ، وأفانين
الطرد . قال امرؤ القيس في معرض وصف الغيث (الديوان : ٢٥) :

كان أباننا في أفانين وذّيقه
كبير أناس في بهاد مُزْمَلٍ
ويقال : افتن الرجل في حديثه وفي خطبته : إذا جاء بالأفانين من القول . قال
سيبويه في الكتاب (٢: ٢٠٠) : «هذا باب جمع الجمع : أما أبنية أدنى العدد فتكسرُ
منها أفعلةً وأفعلٌ على أفاعيل .. وأما ما كان أفعالاً فإنه يكسرُ على أفاعيل» . خطَرَ
الرجل في مشيته يخطِرُ خطراً : تهنّط وتمايل ، بمشي مشية المعجب . الغضارة :
النعمة والخصب والسعة في العيش . السدرُ : شجر التّيبق ، الواحدة : سِدرة
(القاموس) . وفي التّزليل العزيز : «عند سِدرة المنتهى ● عندها حنة مأوى ● إذ
يفغشى السدرة ما يفغشى» [سورة النجم ، آ: ١٤-١٦] ، وفي حديث الإسراء : «ثم
رُفعتُ إلى سِدرة المنتهى» ، قال ابن الأثير : سِدرة المنتهى ، وفي أقصى الجنة . الكوثر :

نهر في الجنة . قال الله تعالى : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [سورة الكوثر ، آ: ١] . الزقوم والغسلين : طعام من طعام أهل النار . قال الله تعالى : ﴿إن شجرة الزقوم • طعام الأثيم • كالمهل يغلي في البطون • كغلي الحميم﴾ [سورة الدخان ، آ: ٤٣-٤٦] ، وقال : ﴿فليس له اليوم هنا حميم • ولا طعام إلا من غسلين • لا يأكله إلا الخاطئون﴾ [سورة الحاقة ، آ: ٣٥-٣٧] . الشرب ، بكسر الشين وسكون الراء : المورد . والجمع : أشراب . قلاه : كرماء ورضيه ، قلى : أبغضه وكرهه غاية الكراهية فتركه . أو قلاه كرماء : في الحجر ، وقلبه كرضيه : في البغض (القاموس) . الكتب : القرب . عداه عن الأمر ، يعدوه : صرفه وشغله . العوادي ، جمع عادية : وهي شغل من أشغال الدهر يعدوك عن أمورك ، أي يشغلك . شمشع الشراب : مزجه بالماء ، وقيل : المشعشة : الخمر التي أرق مزجها . الشمول : الخمر . قال المتنبي في مديح سيف الدولة والنيل من أعدائه المتربصين به في بغداد ومصر :

ما الذي عنده ثدار المنيا كالذي عنده ثدار الشمول

السيما ، وياؤها في الأصل واو : العلامة . قال تعالى : ﴿سيماهم في وجوههم﴾ [سورة الفتح ، آ: ٢٩] ، وفي حديث الخوارج : سيماهم التحليق ، أي علامتهم . دنته بفعله : جزئته . وفي المثل : كما تدن ثدان ، أي كما تجازي تجازي ، أي تجازي بفعلك وبحسب ما عملت ، وقيل : كما تفعل يفعل بك (اللسان) .

التطبيق

- | | |
|------------|------------------------------------|
| ١- بديلاً | : خير أضحى منصوب ... |
| من تدانينا | : متعلقان بـ (بديلاً) . |
| تجافينا | : فاعل ناب مرفوع ، ونا مضاف إليه . |
| ٢- ألا | : أداة تحضيض . |

- وقد : الواو اعتراضية ، بين ألا و(من) في البيت الثاني .
- ناعينا : فاعل للفعل قام .
- ٣- من : اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ أو خبر .
- مبلغ : مبتدأ أو خبر لـ (من) .
- ٤- أن واسمها وخبرها : سدّت مسدّد المفعولين الثاني والثالث لاسم الفاعل مبلغ الذي عمل عم فعله . و(الملبسينا) المفعول الأول .
- (قد عاد) : في محل رفع خبر أن .
- آسأ : حال ، أو مفعول لأجله .
- (بيكيننا) : في محل نصب حال . وإذا تضمّن الفعل (عاد) معنى صار فهي نصب خبر للفعل الناقص .
- ٥- غيظ : فعل ماض مبني للمجهول .
- اهوى : مفعول به للمصدر (تساقى) منصوب ..
- آميننا : آمين أو أمين اسم فعل أمر بمعنى استجب والألف للإطلاق .
- ٧- تكون : فعل مضارع تام .
- (وما يُخشى تفرقنا) : في محل نصب حال .
- ٨- يا ليت شعري : يا : أداة تنبيه ، ليت : حرف مشبه بالفعل ، شعري : اسم ليت منصوب ، وخبره محذوف .
- (هل نال...) : جملة سدّت مسدّد مفعولي (شعري) لأنه بمعنى (علمي) المعلق عن العمل بالاستفهام .
- ٩- نعتقد : بمعنى نظن ، فتعدى إلى مفعولين : الوفاء ورأياً .
- غيره : حال .
- ١٠- ما : نافية ، حقنا : مبتدأ ، وخبره المصدر المؤول أن تقرّوا .

(النص الساس)

قال أبو فراس الحمداني (١) :

- ١- أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
 - ٢- بلى أنا مشتاق وعندي لوعة
 - ٣- إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى
 - ٤- تكاذب نضيب النار بين جوالحي
 - ٥- معلقتي بالوصل والموت دوكه
 - ٦- حفظت وصيحت المودة بيننا
 - ٧- وما هذه الأيام إلا صحائف
 - ٨- بنفسي من الغادين في الحي عادة
 - ٩- تروغ إلى الواشين في ، وإن لي
 - ١٠- بدوت وأهلي حاضرون ، لأفني
 - ١١- وجاريت أهلي في هواك ، وإلهم
 - ١٢- فإن كان ما قال الوشاة ولم يكن
 - ١٣- وفيت ، وفي بعض الوفاء مذلة
 - ١٤- وقور ، وزعمان الصبا يستقرها
 - ١٥- ثنائلي : من أنت ؟ وهي عليمه
 - ١٦- فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى
 - ١٧- فقلت لها : لو شئت لم تتعني
 - ١٨- فقالت : لقد أزرى بك الدهر بعدنا
 - ١٩- وما كان للأحزان ، لولاك ، مسلك
- أما لالهوى نهسي عليك ولا أمر ؟
ولكن مثلي لا يُداع له سر
وأذلت دمعاً من خلّاتقه الكبر
إذا هي أذكفها الصباة والفكر
إذا مت عطشاناً فلا نزل القطر
وأحسن ، من بعض الوفاء لك ، العذر
لأحرفها ، من كف كاتبها ، بشر
هواي لها ذل ، وبهجتها عذر
لأذنأها ، عن كل واشية ، وقور
أرى أن داراً ، لست من أهلها ، ففر
وإيائي ، لولا حبك ، الماء والخمر
فقد يهدم الإيمان ما شيد الكفر
لأنسة في الحسي شيمتها القدر
فتأرن أحياناً ، كما يارن المهر
وهل بفق مثلي على حاله ككر ؟
فقلت : قالت : أيهم ؟ فهم ككر
ولم تسألني عني ، وعندك بي خبر
فقلت : معاذ الله ، بل أنت لا الدهر
إلى القاسب لكن الهوى لليلي جسر

(١) ديوانه : ١٤٢-١٤٥ .

٢٠- وتهلك بين الهزل والجد مهجة
 ٢١- فابقت أن لا عز بعدي لعاشق
 ٢٢- وقلت أمري ، لا أرى لي راحة
 ٢٣- فعدت إلى حكم الزمان وحكمها
 ٢٤- كآلي أنادي دون ميثاء طيبة
 ٢٥- نجفل حيناً ثم تدنو ، كآلهما
 ٢٦- فلا تنكريني ، يا بنة العم ، إله
 ٢٧- ولا تنكريني ، إني غير منكّر
 ٢٨- وإني لنزال بكل مخوفة
 ٢٩- وإني لجرار لكل كتيبة
 ٣٠- وأظنما حتى ترقوي البيض والقنا
 ٣١- ولا أصبح الحي الخلف بغارة
 ٣٢- ويسا رب دار ، لم تخفني ، منعة
 ٣٣- وجيش شئت الغار حتى تركته
 ٣٤- وساحبة الأذيال نحوي ، لقيها
 ٣٥- وهبت لها ما حازة الجيش كله
 ٣٦- ولا راح يظفني بأوابه الفنى
 ٣٧- وما حاجتي بالمال أبني وفورة
 ٣٨- أسرت وما صحتي بعزل لدى الوغى
 ٣٩- ولكن إذا حتم القضاء على امري
 ٤٠- وقال أصبحاي : الفراء أو الردى ؟
 ٤١- ولكنني أمضي لما لا يعينني
 ٤٢- يقولون لي : بعث السلامة بالردى
 ٤٣- وهل يتجافى عني الموت ساعة
 ٤٤- هو الموت فاخترمنا فلا لك ذكره

إذا ما عداها السبب عذها الفكر
 وأن يدي ثما عقلت به صفر
 إذا السبب أنساني الخ بي الهجر
 لها الذنب لا تجزى به ولي العذر
 على شرف ظمياء جملها الذعر
 أنادي طلاً بالجوى أعجزه الحضر
 ليعرف من الكربة البدو والحضر
 إذا زلت الأقدام ، واستنزل النصر
 كثير إلى لؤلؤ السطر الشمر
 معودة ألا يخل بها النصر
 وأسغب حتى يشيع الذنب والنسر
 ولا الجيش ما لم تأبه قبلي الثدر
 طلعت عليها بالردى ، أنا والفجر
 هزماً ، فردني السراقع والحمر
 فلم يلقها جاني اللقاء ولا وعمر
 ورحت ولم يكشف لأبياتها ستر
 ولا بات يثني عن الكرم الفقر
 إذا لم أفر عرضي ، فلا وفر الوقر
 ولا قرسي مهر ، ولا ربة غمر
 فليس له بر يقيه ولا يخر
 فقلت : ههما أمران ، أحلاهما مر
 وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
 فقلت : أما والله ، ما فاني غسر
 إذا ما تجافى عني الأسر الضر ؟
 فلم يمست الإنسان ما حيي الذكر

- ٤٥- ولا خيرَ في دفع الردى بمذلة
 ٤٦- يمئون أن خلوا ليبي ، وإنما
 ٤٧- وقالتم سيف فيهم ذق نصلة
 ٤٨- سيدكروني قومي إذا جد جدتهم
 ٤٩- فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه
 ٥٠- وإن مت ، فالإنسان لا بد ميت
 ٥١- ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به
 ٥٢- ونحن أناس لا توسط بيننا
 ٥٣- تهون علينا في المعالي نفوسنا
 ٥٤- أعز بني الدنيا ، وأعلى ذوي العُلا
- كما ردها يوماً ، بسوءته غمرو
 علي ثياب من دمانهم خمر
 وأعقاب رمح فيهم حطم الصدر
 وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر
 وتلك القنا والبيض والضمر الشقر
 وإن طالت الأيام ، وانفسخ العمر
 وما كان يغلو التبر لو لفق الصقر
 لنا الصدر دون العالمين أو القبر
 ومن يخطب الحسنة لم يغلها المهر
 وأكرم من فوق الثراب ولا فخر

● شرح المفردات :

أضواني : أنجلي . مُعلتي : مطعمي . البشر : الخو . تروغ : تمل سراً . وقور :
 يعني محبوبته . تارن : تنشط وتمرح . الميناء : الأرض اللينة السهلة من غير رمل .
 الشرف : المرتفع من الأرض . الظمياء : صفة للشفة الذابلة في حمرة ، وللعين الرقيقة
 الجفن . الطلا : وليد لظبية . الحضر : الركض . المخوفة : صفة للأرض التي يخافها
 المرء . في نحوي : وأصداً . أسغب : أجوع . الحي الخلوف : الذي لا رجال فيه .
 الهزيم : المهزوم . الخمر : جمع الخمار ، ما تغطي بها المرأة رأسها . الوفر : المال .
 الغمر : الذي لم يجرب الأمور . دفع دهاء عمرو بن العاص : إلى كشف سوءته وقت
 مبارزته لعلي أمير المؤمنين . فاضطر الإمام علي إلى إشاحة وجهه ، لأن كرم الله
 وجهه — لم ينظر إلى سوءة حياته . التبر : الذهب . الصفر : النحاس .

التطبيق

- ١- عصي : مفعول به ثان للفعل أرى .
 شيمتك : مبتدأ ، وخبره الصبر ، ويجوز العكس ، لألها معرفتان .
 أما : الهمزة حرف استفهام . ما : نافية لا عمل لها .
 للهوى : جار ومجرور متعلقان بخبر مقدم للمبتدأ (هي) .
 ٢- بلى : حرف جواب .
 عندي : مفعول فيه ظرف مكان متعلق بخبر المبتدأ لرعة .
 ٣- الليل : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور .
 الكبر : مبتدأ ، خبره : شبه الجملة (من خلأثقه) .
 والجملة في مح نصب صفة (دمعاً) .
 ٤- النار : فاعل للفعل تضيء ، واسم تكاد ضمير مستتر ، وفي هذا تنازع .
 هي : ضمير فصل لا محل له من الإعراب .
 أو فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده .
 جملة (أذكتها) : تفسيرية لا محل لها .
 ٥- جملة (والموت دونه) : حالية ، أو اعتراضية .
 فلا : الفاء رابطة لجواب الشرط ، لا : دعائية لأنها دخلت على الماضي .
 ٧- وما : الواو استئنافية ، ما : نافية لا عمل لها .
 هذه : ها : للتنبيه ، ذه : اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ .
 الأيام : بدل من اسم الإشارة .
 إلا : أداة حصر .

صحائف : خبر اسم الإشارة مرفوع .

٨- بنفسي : جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف ، التقدير أفندي .

ويكون إعراب غادة : مفعولاً به للفعل المحذوف .

ويجوز أن تقول : بنفسي غادة جملة اسمية مؤلفة من مبتدأ وخبر .

هوأي : مبتدأ خبره ذنب . ولها : متعلقان بالمصدر هوأي .

٩- لأذنأ : اللام : مزحقة دخلت على اسم إن ، لأن خبرها تقدم على اسمها .

وقر : مبتدأ ، خبره شبه الجملة عن كل

١٠- قفر : خبر أن داراً .

وجملة (لست) : في محل نصف صفة داراً .



جامعة دمشق
Damascus University

النص السابع

■ قال المتنبي يمدح سيف الدولة ويشكره على هدية بعثها إليه ^(١) :

- ١- ما لنا كلنا جويًا رسول
 - ٢- كلما عادَ مَنْ بَعَثَ إليها
 - ٣- أفسدت بيننا الأماني عينا
 - ٤- تشكي ما اشكت من طرب الشؤ
 - ٥- وإذا خامر الهوى قلب صَبَّ
 - ٦- زودينا من حُسن وجهك ماذا
 - ٧- وصلنا لصلك في هذه الدنيا
 - ٨- مَنْ رآها بعينها شاقَّةُ القُطا
 - ٩- إن تُريني آدمت بعدَ بياض
 - ١٠- صَحْبتي على الفلاة فتاة
 - ١١- سهرتك الجمال عنها ولكن
 - ١٢- مثلها أنت لو حُشني واسقم
 - ١٣- نحن أذرى وقد سالنا بتجد
 - ١٤- وكثير من السؤال اشتياق
 - ١٥- لا أقمنا على مكان وإن طأ
 - ١٦- كلما رَحمت بنا الرُوح قلنا
 - ١٧- فيك مرعى جياذنا والمطايا
 - ١٨- والمُسَمون بالأمير كثير
 - ١٩- الذي زلت عنه شرقًا وغربًا
- أنا أهوى وقلبك المُقبول
غار مِنِّي وخانَ لهما يقول
ها وخانت قلوبهنَّ العُقُول
قِ إليها والشوق حيثُ النُحُول
فعلية لِكُلِّ غَينٍ ذليل
مَ فحسَنُ الوجوه حالُ نحول
فإن المقامَ فيها قليل
نُ فيها كما تشوق الحُمُول
فحميدة من القناة الذُّبول
عادة اللُّون عندها التبدُّل
بك منها من اللَّمى تقبيل
ست وزادت أهبًا كُما العُطُول
أقصير طريقنا أم يطُول
وكثير مِن رَدِّه تعلُّل
بَ ولا يُمكن المَكَانَ الرَّحيل
حلبَ قضدنا وأنت السَّهيل
والسَّيها وجفُّنا والذَّميل
والأميرُ الذي هـا المأمول
ولداة مُقابلي ما يزُول

(١) ديوانه : ١٤٨/٣ - ١٥٨ .

٢٠- وَمَعِيَ إِنَّمَا سَلَكْتُ ، كَأَلِي
 ٢١- فإِذَا الْقَذَلُ فِي التَّدَى زَارَ سَمْعَا
 ٢٢- وَمَوَالِ تَحِيَّهِمْ مِنْ يَدَيْهِ
 ٢٣- قَرَسَ سَابِقَ وَرُمَحَ طَوِيلَ
 ٢٤- كَلِمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَدُوِّ
 ٢٥- ذَهَمَتْهُ نُطَايِرُ الرُّزْدَةِ الْمُحَكَّمِ
 ٢٦- تَقْصُرُ الْحَقِيلَ حِمْلُهُ قَتَصَ الْوَحْدَ
 ٢٧- وَإِذَا الْحَرْبُ أَغْرَضَتْ رُغْمَ اللَّهِ
 ٢٨- وَإِذَا صَحَّحَ فَالزَّمَانُ صَبَّحَ
 ٢٩- وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانِ
 ٣٠- لَيْسَ إِلَّا يَا عَلِيَّ هُمَامُ
 ٣١- كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرُ
 ٣٢- لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي
 ٣٣- وَذَرَى مَنْ أَعَزَّهُ الدَّلْعُ عَنْهُ
 ٣٤- أَنْتَ طَوَّلَ الْحَيَاةَ لِلرُّومِ غَارِ
 ٣٥- وَسِوَى الرُّومِ خَلَفَ ظَهْرَكَ رُومُ
 ٣٦- قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِي
 ٣٧- مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا
 ٣٨- لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادَا
 ٣٩- تَقْصِرُ الْبُعْدَ عَنْكَ قُرْبَ الْقَطَايَا
 ٤٠- إِنْ تَبَوَّاتُ غَيْرَ ذُنُوبِي دَارَا
 ٤١- مِنْ عَيْدِي إِنْ عِشْتَ لِي أَلْفَ كَافُو
 ٤٢- مَا أَبَالِي إِذَا اتَّقَيْتُكَ الرَّزَايَا

كُلُّ وَجْهِ لَهُ بَوَجْهِ كَفِيلُ
 فَفَدَاهُ الْقَدُولُ وَالْمَعْدُولُ
 نَعَمْ غَيْرُهُمْ هَا مَقْصُولُ
 وَذِلَاصَ رَغْلًا وَسَيْفَ صَقِيلُ
 قَالَ تِلْكَ الْقِيُوثُ هَذِي السُّيُوثُ
 كَمْ عَنْهُ كَمَا يَطِيرُ التَّسِيلُ
 شِ وَتَسْتَأْسِرُ الْحَمِيمِ الرُّعِيلُ
 لَعَنَتْهُ أَلَّةُ تَهْوِيلُ
 إِذَا أَعْلَى فَالزَّمَانُ غَلِيلُ
 لَهُ مِنْ تَنَاةٍ وَجَّةٌ جَمِيلُ
 سَبَّحَتْهُ دُونَ عَرَضِيهِ مَسْلُولُ
 وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخِيُولُ
 رَبَطَ السُّدْرَ خَيْلُهُمُ وَالْتَحَمِلُ
 فِيهِمَا أَلَّةُ الْحَقِيرِ الدَّلِيلُ
 فَمَنْ لَوْ الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقَفُولُ
 فَعَلَى أَيِّ جَانِبِيكَ تَمِيلُ
 سَكَتَ وَقَامَتْ هَا الْقَنَا وَالْتَحُولُ
 كَأَلَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ
 وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بَخِيلُ
 مَرْتَعِي مُنْخَصِبٌ وَجِسْمِي هَزِيلُ
 وَأَتَانِي كَيْلٌ فَالْتِ الْمَنِيلُ
 رِوَالِي مِنْ لَدَاكَ رَيْفٌ وَكَيْلُ
 مَنْ دَهَشَتْهُ خُبُولُهَا وَالْحُبُولُ

● شرح المفردات :

الجوي : الذي أصابه الجوى ، وهو داء في الجوف . المتبول : الذي هبمه الحب ، وأفسده وسقمه . الطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن . خامر : خالط ولابس . والصب : الشديد الشوق . قال أبو الفتح : « ما دام » هنا بمعنى ثبت ، كقوله تعالى : « ما دامت السموات والأرض » ، أي ثبتت وبقيت . تحول : تذهب وتفتى . القُطان : المقيمون ، واحدهم : قاطن . الحملول : الأحمال ، ويجوز أن يكون المتحملين . آدم بضم الدال وفتحها : إذا شحبت لونه وتغير ، ونزع إلى السواد ظاهر . القناة : قناة الرمح . الذبول : اليبس والدقة . الفتاة : الشمس ، جعلها فتاة ، لأن الزمان لا يؤثر فيها ، كما يقال للدهر الأزلم الجذع : أي طري لا يستحيل . التبديل : التغيير . الحجال : جمع حَجَلَة ، وهو بيت يزين بالثياب والستور ، وهو بيت العروس . اللمى : سمرة تكون في الشفتين . التلويع : تغيير الجسم واللون . العطبول : الطويلة العنق ، السامة الجسم ، وجمعها : عطابيل ، وعطابيل . الترحيب بالزائر : الاستبشار به . والسبيل : الطريق . الوجف والذميل : ضربان من السير سريعان . الوجه : ما توجهت إليه . الكفيل : الضامن . منروى سابع ، فهو الذي يمدّ يديه في الحرب ، والدلاص : الدروع البراقة الملساء . الزعف : المحكمة النسيج ، وقيل اللينة اللمس . دهمته : جاءته على بغلة وفجأة . ازرد : حلق الدرع . النسيل والنسال (بالضم) : ما يسقط من ريش الطير ، ووبر البعير وغيره . الخميس : الجيش العظيم . والرعيل : القطعة من الخيل تقدم الجيش . القنص : الصيد . الثنا : الخير كيف يصرف ، وما يثنى من الحديث ، أي ينشر . سراياك : جمع سرية ، وقيل : هي ما بين خمس وتسعين إلى ثلاث مئة . التحرف : الميل . السدر : جمع سِدْرَة . النخيل : جمع نخلة : وهما ضربان ، تختص كثرهما بالعراق ومصر ، أراد : حتى يربطوا خيولهم في السدر والنخيل ، فكانه قلب المعنى ، فجعلهما يربطان خيول الأعداء ، وجعل الفعل للسدر

والنخيل توسعاً ، لأنها هي المسكة إذا رُبط إليها ، فكأنها ربطتها . القفول : الرجوع
 من الغزو . المساعي : المطالب في الجود والكرم ، وطلب الجهد . والقنا : الرماح .
 نصول : جمع نصل ، وهو السيف . الشُمول : الخمر الباردة ، وهي التي ضربتها ريح
 الشمال . التنغيص : التكدير . المرتع : موضع الرعي . المنخصب : الكثير والمرعى ،
 وهو استعارة . الهزيل : البالي . التبوؤ : القصد إلى المنزل والإقامة فيه . النِيل : العطاء .
 والمنيل : المعطى . الريف : هو ما أحاط بسواد العراق ، وهو (أيضاً) : إقليم عظيم
 بمصر في ظاهرها . والنسيل (أيضاً) : بمصر ، والأصل فيه الأرض ، ويكون فيها زرع
 ونخيل ، والجمع : أرياف . ورافت الماشية : إذا رعت الريف ، وأرئفنا : إذا صرنا إلى
 الريف ، وأرأفت الأرض ، إذا أخصبت ، وهي أرض رُفَّة ، بتشديد الياء . الرزايا : جمع
 رزية ، وهي المصيبة . والخنبل (بسكون الباء) : الفساد والجمع : خبول . وفي بني فلان
 دماء وخبول ، يعني قطع الأيدي والأرجل . والمُنجل ، كأنه قد قُطعت أطرافه . والخنبل
 (بكسر الخاء) : الداهية . والجمع خبال .

التطبيق

- ١- ما : اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .
 لنا : جار ومجرور متعلقان بخبر (ما) .
 كلنا : مبتدأ مرفوع .. ونا جر بالإضافة .
 جو : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لأنه اسم منقوص .
- يا رسول : منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب .
 (وقلبك المتبول) : جملة اسمية (مبتدأ وخبر) في محل نص حال .
- ٢- من : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل .
 جملة (عاد) : في محل جر بالإضافة .

- جملة (غار) : جواب شرط غير جازم لا محل لها .
- ٣- الأمانات : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة عوضاً عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم .
- عينها : فاعل للفعل أفسدت مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثني وحذفت النون للإضافة ، وها : جر بالإضافة .
- ٤- الشوق : مبتدأ مرفوع ..
- حيث : ظرف مقطوع عن الإضافة مبني على الضمّ في محل رفع خبر .
- النحول : مبتدأ مرفوع ، خبره محذوف .
- وجملة (النحول) وخبره : في محل جر بالإضافة .
- ٥- فعلية : الفاء رابطة لجواب الشرط ، عليه : جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف للمبتدأ دليل . والجملة لا محل لها .
- ٦- ما دام : ما : مصدرية ، دام : فعل ماض تام بمعنى ثبت .
- فحسن : الفاء : استئنافية ، حسن : مبتدأ مرفوع ، خبر (كان) .
- ٧- نصلك : فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (صلي) وعلامة جزمه السكون الظاهر .. والكاف : مفعول به .
- فيها : جار ومجرور متعلقان بالمصدر (المقام) .
- ٩- جملة (أدمت) : في محل نصب مفعول به ثان للفعل (ترينني) .

النص الثاس

■ الأخطل الصغير ^(١) :

- ١- لقيت عنك العلى والظرف والأدبا
- ٢- شهباء لو كانت الأحلام كأس طلاء
- ٣- لو كان للسيل أن يختار حليته
- ٤- لو أنصف الغرب الأحرار كهضتهم
- ٥- لكن خلقت لأمر ليس يذركه
- ٦- ملاعب الصيد من حمدان ما لسلوا
- ٧- الحالعين على الأوطان بهجتها
- ٨- سامهم ما لبأ في وجه من ضربوا
- ٩- ما جرد الدهر سيفاً مثل «سيفهم»
- ١٠- رب القسوافي على الإطلاق شاعرهم
- ١١- سيفان في قبضة الشهباء لا قلما
- ١٢- عرس من الجن في الصحراء قد كصبوا
- ١٣- كالكه لثمر الزهراء مارجة
- ١٤- أو هضبة من غرافات مرقعة
- ١٥- تخاصر الجن فيها بعد ما سكروا
- ١٦- فافزع الرمل ما زفوا وما عزفوا
- ١٧- فكشف الصبح عن طفل ومادة
- وان خلقت لها - إن لم تزر حلتا
- في راحة الفجر كمت الزهر والحبا
- وقد طلعت عليه ، لا ذرى الشهباء
- لشيدوا لك في ساحاتها الثصبا
- من يعشق الدل أو من يعبد الرمبا
- إلا الأهللة والأشبال والقصبا
- والرافعين على أرمحها القصبا
- ومهرهم ما كبا في إثر من هربا
- يجري به الدم أو يجري به الذهبا
- الخلد والمجد في آفاه اضطحبا
- قد شرفا الغرب بل قد شرفا الأدبا
- لله السرادق تحت الليل والقببا
- بمثل لسن الأفاعي تقذف اللهبأ
- باعين من لظى أو من رؤوس ظبي
- وبعد ما احتدمت أوتارهم صخبأ
- فطار يستجده القيعان والكثبأ
- له على صدرها زار إذا غضبأ

^(١) ديوانه : ١٢٠-١٢٦ ، يتحدث فيها عن المتنبي وحلب الشهباء .

أَوْ خَفَقَ السَّبْقِ إِمَّا اهْتَزَّ واضطربا
فَأَقْبَلُوا يَنْظُرُونَ السَّيْدَةَ الْعَجَبَا
لَقَالَ : كَلَّا ... لَقَالُوا : عَاصِفًا - فَاي
وَقَالَ : لَمْ تُنْصِفُوهُ اسْمًا وَلَا لَقْبَا
فَنَشَلُ النَّاسَ وَالْأَقْلَامَ وَالْكَتْبَا
لِإِنْ غَوَوَا فَلَقَدْ بَلَّسْنَا بِهِ الْأَرْبَا
سَمِيَّتِهِ الْمُتَنَبِّئِي ... فَاتَّقَشُوا طَرَبَا
يَهْوِي بِهِ الرَّحْلُ لَا يَذْرِي لَهُ سَبَا
وَالرَّمْلُ يَلْتَحِفُ الْأَزْهَارَ وَالْعُشْبَا

١٨- كَالَهُ الزَّيْبِيُّ الرَّجْرَاجُ فِي يَدِهَا
١٩- نَادَى أَبُوهُ - عَظِيمُ الْجَنِّ - عَثْرَكُهُ،
٢٠- مَاذَا نَسَمِيهِ ؟ .. قَالَ الْبَعْضُ : صَاعِقَةُ
٢١- لَقَامَ كَالطُّودِ مِنْهُمْ مَارِدٌ لَسَنُ
٢٢- سَتَبَعْتُ الْفَعْنَةَ الْكُبْرَى عَلَى يَدِهِ
٢٣- وَلَجَمَلُ الشَّغَرِ رَبًّا يَسْجُدُونَ لَهُ
٢٤- وَاحْتَالَ غَيْرَ قَلِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
٢٥- وَزَلْزَلُوا الْبَيْدَ حَتَّى كَادَ سَالِكُهَا
٢٦- يَمُرُّ السَّرَابُ غُبَابًا هَاجَ زَاخِرُهُ

أَعَاضَكَ الثَّاجَ مِنْهَا ، لَوْ بِهَا اعْتَصَبَا
فَنَسَاءَ رَبُّكَ أَنْ لَا تُذْرِكَ الطَّلَبَا
وَعُطِّلَ الْوَكْرُ لَا شَذَوَا وَلَا رَغَبَا
بَوَاتُهَا الشَّمْسُ ، أَوْ قَلْدَقَا الْحَقْبَا
فَرُبُّ حُلْمٍ جَمِيلٍ أَوْرَثَ الْقَطْبَا
وَلَا لَيْسَتْ إِلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْيَكْبَا
مِثْلَ الْمَرِيضِ أَتَاهُ بِالشِّفَاءِ كَبَا
كَالْفَتَحِ جَرَّ عَلَيْكَ الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا
تَيْجَانُ قَوْمٍ ، حَشَوَهَا الظُّلْمَ وَالرُّهْبَا
وَيُذْرِكَ الْغَايَةَ الْقُصْوَى وَمَا طَلَبَا
مَنْ يَمْنَعُ الشَّيْءَ أَحْيَانًا فَقَدْ وَهَبَا
حَتَّى هَتَفْنَا : أَوْحِيَا قُلْتُ أَمْ أَذَبَا
هَذَا إِذَا بَثَّ ، أَوْ هَذَا إِذَا عَثَبَا
وَاللَّهُ اسْتَلَّ مِنْ آيَاتِهِ الثُّغْبَا
يَعُودُ بِالدَّرِّ مِنْهُ كُلُّ مَنْ دَابَا

٢٧- إِلَيْهِ أَحَا الْوَلْفَةِ السُّودَاءِ كَمْ مَلِكُ
٢٨- طَلَبْتُ بِالشَّعْرِ دُونَ الشَّعْرِ مَرْتَبَةً
٢٩- إِذَنْ لَا تَكَلِّتِ أُمَّ الشَّعْرِ وَاحِدَهَا
٣٠- لَوْلَا طِمَاحُكَ مَا غَنَيْتِ قَافِيَةً
٣١- «خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا خَلَمْتَ بِهِ»
٣٢- أَبَا الْفُتُوحَاتِ لَمْ تُزَجَّ الْحَمِيسَ لَهَا
٣٣- تَأْتِي الثُّخُومَ فَتَلْقَاهَا مُهَلَّلَةً
٣٤- مَا الْفَتَحُ أَهْدَى إِلَيْكَ الرُّوضِ وَالسُّحْبَا
٣٥- وَلَوْ فَتَحْتَ بِحَدِّ السَّيْفِ لَا لِحَظَمْتَ
٣٦- «مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمُرُّ يُذْرِكُهُ»
٣٧- قَدْ يُؤْتِرُ الدَّهْرُ إِنْسَانًا فَيَحْرِمُهُ
٣٨- يَا مُلْبِسَ الْحِكْمَةِ الْفَرَاءِ رَوَّعْتَهَا
٣٩- كَالْمَا هِيَ أَصْدَاءُ يُرَدِّدُهَا
٤٠- قَالُوا اسْتَبَاحَ أَرَسَطُو ، حِينَ اغْبَزَهُمْ
٤١- مَهَلًا ، فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا قَيْضُ فَلَسَفَةٍ

- ٤٢- مَنْ عَلَّمَ ابْنَ أَبِي سُلَيْمٍ «حَكِيمَتَهُ»
 ٤٣- قَالُوا الْجَدِيدُ ، فَقُلْنَا : أَنْتَ حُبِّتَهُ
 ٤٤- الْفَكْرَةُ لَمْ تُكُنْ فَتَقَتِ بُرْعَمَهَا
 ٤٥- بَقِضَ الْجَدِيدُ الَّذِي يَدْعُوهُ أَدَبًا
 ٤٦- إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ الْوَجْهِ تُعْرِضُهُ

* * *

- ٤٧- عَفِصُوا نَبِيَّ الْقَوَايِ ، أَيُّ نَابِيَةٍ
 ٤٨- مَنَعَتْ عَنْهُمْ ضِيَاءَ الشَّمْسِ فَالْحَجَبُ
 ٤٩- أَضْرَمْتَ قُورَتَكَ الْهَوَجَاءَ فَالْتَهَمَتْ
 ٥٠- وَغَالِ شِعْرَكَ شِعْرَ الْكَانِدِينَ لَهُ ،
 ٥١- حَتَّى رَجَعْتَ وَلِلْأَفْلَامِ هَلْهَلَةٌ

* * *

- ٥٢- يَا خَالِقًا جَبَلَهُ ، لَوْلَاكَ مَا عَرَفْتُ
 ٥٣- غَضِبْتَ لِلْعَقْلِ أَنْ يَشْقَى فَفُتَتْ لَهُ
 ٥٤- هَلِ الثَّبُوءُ إِلَّا ثُورَةٌ عَصَفَتْ
 ٥٥- مَا ضَرَّ مُوقِدَهَا ، وَالْحُلْدُ مَنَزَلُهُ

التطبيق

- ١- إن : حرف شرط جازم ، لم : حرف نفي .
 تنز : مضارع مجزوم .
 وبعضهم يعرب : إن : حرف شرط جازم ، لم : حرف جزم ،
 والفعل في محل جزم فعل الشرط .
 ٢- شهباء : منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب .

كلاً : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف المحذوفة
نطقاً ، والمثبتة شكلاً لأنه اسم مقصور جاء نكرة .

٣- كان : فعل ماض تام .

المصدر المؤول من (أن) والفعل (يختار) : فاعل للفعل كان .

لازدرني : السلام واقعة في جواب الشرط ، والجملة جواب شرط غير جازم لا
محل لها .

٥- ليس : فع ماض ناقص ، اسمه ضمير مستتر ، وجملة (يدركه) في محل نصب
خبر (ليس) .

من : اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل للفعل (يدركه)
وفيه تنازع .

٧- ههجتها : مفعول به لاسم الفاعل الخالعين .

٩- مثل : صفة (سيفاً منصوب .

١٠- سيفان : خبر لمبتدأ محذوف مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى .

لا : نافية .

ثُلما : فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتحة الظاهرة ، والألف ضمير
متصل مبني في محل رفع نائب فاعل .



النفث التاسع

قال نزار^(١) :

أم توهّمت .. والنساء طنون
 ذبحته تحت السقاب العيون
 كيف أخفي الهوى ، وكيف أبين
 بعد موت ، وما علينا عين
 كجيني ، قد طرّزته الفضون
 والخلائيل ، ما هنّ رنين
 أين مئي الهوى ، وأين الفتون
 يا عصفير ... يا شذا ... يا غصون
 بين جفنيك ، فالزمان ضنين
 إن وجه المحب ، وجه حزين
 أهرّ سبعة .. وخور عين
 والعناقيد سكر مطحون
 والحروف التي عليه .. سنونو
 حين في الليل ، فكّر الياسين ؟
 وأنا فيك دأماً مسكون
 فأحلى ما في الهوى التضمين
 يعاني السجان والمسجون
 هل أنا السرو ، أم أنا الشربين ؟

١- أتراها تحبني ميسون ؟
 ٢- كم رسول أرسلته لأبيها
 ٣- يا ابنة العم ، والهوى أموي
 ٤- كم قلنا في عشقنا .. ونفنا
 ٥- ما وقوفي على الديار ، وقلبي
 ٦- لا ظباء الحمى رذنّ سلامي
 ٧- يا زمالاً في الصاحبة سمحاً
 ٨- يا سريري .. يا شراشف أمي
 ٩- يا زواريب حارتي .. خبيني
 ١٠- واعذريني ، إذا بدوت حزينا
 ١١- ها هي الشام ، بعد فرقة دهر
 ١٢- التوافير في البهوت كلام
 ١٣- والسّماء الزرقاء دلت شعر
 ١٤- هل دمشق - كما يقولون - كانت
 ١٥- آه يا شام - كيف أشرح ما بي
 ١٦- سامحني ، إن لم أكشفك بالعشق ،
 ١٧- نحن أسرى معاً .. وفي قفص الحب
 ١٨- يا دمشق ، التي تقمصت فيها

(١) ديوانه : الأعمال السياسية الكاملة : ٤٢٩/٣ - ٤٤٤ .

١٩- أم أنا الفلُّ في أباريق أمي
 ٢٠- أم أنا القطعة الأثيرة في الدار
 ٢١- يا دمشق التي تفشى شذاها
 ٢٢- سامعي إذا اضطربت .. فإني
 ٢٣- وازرعيني تحت الصفائر مشطاً
 ٢٤- قادم من مدائن الريح وحدي
 ٢٥- احتضني ... ولا تناقش جنوني
 ٢٦- احتضني حسين ألفاً وألفاً
 ٢٧- أهى مجسونة بشوقي إليها
 ٢٨- حامل خُبها ثلاثين قرناً
 ٢٩- كلِّمها جنتها أرذ ذبوني
 ٣٠- إن تغللت كل المقادير عني
 ٣١- يا إلهي ، جعلت عشقي بحراً
 ٣٢- يا إلهي ، هل الكتابة جرح
 ٣٣- كم أعاني في الشعر موتاً جميلاً
 ٣٤- جاء تشرين .. يا حبيبة عمري
 ٣٥- ولنا موعد على (جبل الشيخ)
 ٣٦- لم أعانك من زمان طويل
 ٣٧- ولم أغازلك .. والتغرُّل بعضي
 ٣٨- سنوات سيع من الحزن مرّت
 ٣٩- سنوات فيها استقلت من الحب
 ٤٠- سنوات سيع .. ها اغتالنا اليأس
 ٤١- فالقسمنا قبلاً وشعوباً
 ٤٢- كيف أهواك ، حين حول سريري
 ٤٣- كيف أهواك ؟ والحمى مستباح

أم أنا العُش ، والسحاب المَوت ؟
 ثلبي ، إذا دعاها الحنين ؟
 تحت جلد ، كالة الزنزلون
 لا مقفى حبي ... ولا مؤزون
 فأربك القرام كيف يكون ...
 فاحتضني كالطفل يا قاسيون
 ذروة العقل ، يا حبيبي ، الجنون
 لمع الضم لا يجوز السكون ..
 هذه الشام ، أم أنا الجنون
 فوق ظهري ، وما هناك معين
 للجملات .. حاصرتني الذبون
 فبعتني حبيبي أسعتين
 أحرام على البحار السكون ؟
 ليس يشقى ، أم مارذ ملعون ؟
 وتعايني من الرياح السفين
 أحسن الوقت للهوى تشرين
 كم الفلج دافى وحنون
 لم أحدثك ، والحديث شجون
 للهوى دينه ، وللسيف دين
 مات فيها الصفصاف والزبون
 وجفت على شفاهي اللحون
 وعلم الكلام .. واليانسون ..
 واستببح الحمى ، وضاع القرين
 يتمشى اليهود والطاعون
 هل من السهل أن يحب السجين ؟

٤٤- لا تقولي : نسيت . لم أنس شيئاً
 ٤٥- غير أن المسوى يصير ذليلاً
 ٤٦- شام .. يا شام .. يا أميرة حبي
 ٤٧- أرقيدي السار .. فالحديث طويل
 ٤٨- شمس غرناطة أطلت علينا
 ٤٩- جاء تشرين .. إن وجهك أخلى
 ٥٠- كيف صارت سنابل القمح أغلى ؟
 ٥١- إن أرض الجولان تشبه عينيك
 ٥٢- كل جرح فيها حديقة ورد
 ٥٣- يا دمشق اليسي ذموعي سواراً
 ٥٤- وضعي طرحة العروس .. لأجلي
 ٥٥- رضي الله والرسول عن الشام
 ٥٦- مزقي يا دمشق خارطة الدل
 ٥٧- استردت أيامها بك بنذر
 ٥٨- بك عزت قريش بعد هوان
 ٥٩- إن عمرو بن العاص يزحف للشرق
 ٦٠- كتب الله أن تكوني دمشقاً
 ٦١- لا خيار أن يصبح البحر بخرأ
 ٦٢- ذاك عمر السيف .. لا سيف إلا
 ٦٣- هزم الروم بعد سبع عجايف
 ٦٤- وقتلنا العنقاء في (جبل الشيخ)
 ٦٥- صدق السيف وعده يا بلادي
 ٦٦- صدق السيف حاكماً وحكيماً
 ٦٧- اسخي الذيل يا قنطرة المجد
 ٦٨- سبقت ظلها خيول هشام

كيف تنسى أهداً بهن الجفون ؟
 كلما ذل للرجال جبين
 كيف ينسى غرامه المجنون ؟
 وطويل لمن لحب الحنين
 بعد ياسي ، وزعردت (ميسلون)
 بكثير .. ما سره تشرين ؟
 كيف صارت عينك بيت السونو ؟
 فماء يجري ، ولبوز ، وتين ..
 وربيع .. ولؤلؤ مكنون
 وتمني ، فكل صعب يهون
 إن مهر المناضلات ثمين
 فتصر آت .. وفتح مين
 وقولي للذهر : كن .. ليكون
 واستعادت شبابها حطين
 وتلاقت قبائل ويطون ...
 وللغرب يزحف المأمون
 بك يبداً وينتهي الشكون
 أو يختار صوته الحسون ؟
 دائن يا حبيبي أو مدين
 وتعاقب وجدنا المظعون
 والقسي أضراسه الثنين
 فالسياسات كلها أليون
 وخده السيف ، يا دمشق اليقين
 وكحل جفنيك يا حرمون
 وأفاق من نومها السكين

- ٦٩- عَلَّمِينَا قِلْعَةَ الْعَرُوبَةِ يَا شَامُ
 ٧٠- عَلَّمِينَا الْأَفْعَالَ .. قَدْ ذَهَبْتَنَا
 ٧١- عَلَّمِينَا قِرَاءَةَ الْبَرْقِ وَالرَّغْدِ
 ٧٢- عَلَّمِينَا التَّفَكِيرَ .. لَا نَصْرَ يُرْجَى
 ٧٣- إِنْ أَقْصَى مَا يُغْضِبُ اللَّهَ
 ٧٤- وَطَنِي .. يَا قَصِيدَةَ النَّارِ وَالْوَرْدِ
 ٧٥- إِنْ كَهَرَ السَّارِبُخَ يَسْبِغُ فِي الشَّامِ
 ٧٦- لِحْنُ عَنَّا ... وَلِحْنُ كَرْمِلُ حِيفَا ..
 ٧٧- كُلُّ لَيْمُونَةٍ سَتُجَبُّ طَفْلاً
 ٧٨- شَام .. يَا شَامُ .. غَيَّرِي قَدْرَ الشَّمْسِ
- فَأَنْتَ الْبَيَانُ وَالْقَسِيْنُ
 أَخْرَفُ الْجَسْرُ .. وَالْكَلامُ الْعَجِيْنُ
 فَنَصَفُ اللَّغَاتِ وَخَلَّ وَطِنُ
 حِينَمَا الشَّعْبُ كُلُّهُ سَرْدِيْنُ
 فَكُرَّ ذَجْنُوهُ .. وَكَاتَبَ عَيْنِيْنُ
 نَفَقَتِ بِمَا صَنَعَتِ الْقُرُونُ
 أَيْلَفِي السَّارِبُخَ طَرَحَ هَجَجِيْنُ
 وَجِبَالُ الْجَلِيلِ .. وَاللُّطُورُونُ
 وَمُحَالٌ أَنْ يَنْتَهِيَ اللَّيْمُونُ
 وَقَوْلِي لِلذَّهْرِ : كُنْ لِيَكُونُ ..

التطبيق

- ١- أترأها : الهمزة : حرف استفهام ، تراها : مضارع ، والفاعل هي ، و(ها) مفعول به أول .
- جملة (تجني) : في محل نصب مفعول به ثان .
- ٢- كم : خبرية تكميلية مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .
- ٣- يا ابنة : منادى مضاف منصوب .
- كيف : اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال .
- ٤- كم : خبرية تكميلية مبني على السكون في محل نصب مفعول مطلق .
- ما : نافية أو عاملة عمل ليس .
- علينا : جار ومجرور متعلقان بخبر مقدم ، أو بخبر (ما) .
- يحين : مبتدأ ، أو اسم (ما) .

- ٥- ما : اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ أو خبر .
وقوي : خبر أو مبتدأ لـ (ما) .
٦- رددن : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ، والنون فاعل ،
وجملة (رددن) في محل رفع خبر للمبتدأ ظباء .
(ماهن رنين) : جملة في محل رفع خبر (الخلائعيل) .
٧- أين : اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية
متعلق بخبر المبتدأ (الغوى) .
مفي : جار ومجرور متعلقان بالمصدر (الغوى) أو بحال منه .



نصوص بلا تعليق

١- قال أبو الأسود الدؤلي :

وقد يُبلغ الحجاجُ الرسولُ المُعلمُ
لَهْجَتَها ، فيما تُجدُّ ، وتهزلُ
مَتَاعَكَ ، إلا من لِسَانِكَ ، يَفْضَلُ
ونفسُكَ ، دونَ المالِ ، صابَ وخَظَلُ
دونه بابٌ ، من الشَّحِّ ، مُقْفَلُ
تُفَرُّ ، فَيَرْجُوها الضَّعِيفُ ، المُفْغَلُ
تَقْلُ «لا» ، إذا ما قَلَّتْ : إلي سافِعَلُ
أَصَحُّ ، وأدلى للسُّدَادِ ، وأمَثَلُ
فقد يَمْنَعُ الشَّيْءَ الفَقِي ، وهو مُجْمَلُ
وأروحُ مِنْ قولِ «نعم» ، ثم تبْخَلُ
عليكَ ، فللآخرى أَشَدُّ ، وأنْقَلُ
إذا اخْتَبِرْتَ ، إلا الضَّلالُ المُضَلَّلُ

ألا ، أبلغا عَنِّي فلاناً رسالةً
بآية أن الولعَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ
والكَ تُعْطِي باللسانِ ، فلا يُرى
لِسَانُكَ مَعْسُورٌ ، فانت مَمْرَجُ
تَقُولُ ، فَمَنْ يَسْمَعُ يَقُلُ : أنت فاعِلُ
«نعم» مِنْكَ «لا» مَعْرُوفَةٌ ، غيرُها
فَقُلْ «لا» ، ولا تعرض لها ، أو «نعم» ، ولا
وبالصَّدقِ اسْتَقْبَلْ حَدِيثَكَ ، إله
وأجمل إذا ما كُنْتَ ، لا بُدَّ ، مانعاً
لَقَمَرِي كـ «لا» غيرَ ، إذا كنت باخلاً
وإن ثَقُلْتَ «لا» ، وهي غيرُ عَقْلِيَّةٍ
إذا هي لَمْ تُنْفَذْ بِصِدْقٍ ، ولم يَكُنْ ،

٢- قال الفرزدق يرثي ابنه :

بفي الشامتين القرب أن كان مسني
وما أحده كان المنيا وواءه
أرى كل حي ما تزال طليعة
يدكرني ابني السما كان مؤمناً
وقد رزى الأقوام قبلي بينهم
لما ابتاك إلا من بني الناس فاصبري

رزية شيلي مخدير في الضراحم
ولو عاش أياماً طوالاً بسالم
عليه المنيا من تنايا المخارم
إذا ارتفعنا فوق النجوم القوائم
واخوانهم فاعني حياء الكرائم
فلن يرجع المؤتى حين الماتم



٣- قال كثير عزة :

خليلي ، هذا رُبُعُ عَزَّةٍ ، فاعقلا
ومسا لراباً ، كأن قد مس جلدنا
ولا تياسا ، أن يمحو الله عنكما
وما كنت أدري قبل عَزَّةٍ : ما البكى ؟
فقلت لها : يا عَزُّ ، كل مصيبة
ولم يلق إنسان ، من الحبي ، مِيعَةً
كألي أنادي صخرة ، حين أعرضت
فما أنصفت : أما النساء فبلغت
يكلفها القيران شيعي ، وما بها
هنيئاً مريئاً ، غير داء مخامر ،
لوالله ما قاربت إلا تساعدت
وكنا سلكنا في صغود ، من الهوى
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا ،
فإن تكن العتي فاهلاً ، ومرحياً ،

قلوصكما ، ثم ابكيا حيث حلت
وبيتا ، وظلاً حيث باليت ، وظلت
ذنوبنا ، إذا صليتما حيث صلت
ولا موجعات القلب ، حتى تولت
إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت
نعم ، ولا غمَاء ، إلا تجلت
من الصم ، لو تمشي بها الغصم زلت
إلي ، وأما بالسؤال فضئت
هواني ، ولكن للمليك استذلت
لعزة ، من أعراضنا ، ما استحللت
بصرم ، ولا أكثر إلا أقلت
فلما توافينا نبت ، وزلت
فلما توافينا شدت ، وخلت
وحقت لها الغسي لدينا ، وقلت

٤- قال البوصيري :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بِلَدِي سَلَمٍ
أَمْ هَبَّتِ السَّيْحُ مَنْ تَلْقَاءُ كَاظِمَةٍ
فَمَا لَعْنَتِيكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَفَا هَمًّا
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتَمٌ
لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
لَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدْتَ
وَأَبَتِ الْوَجْدُ غَطِي عِبْرَةً وَضَى
لَعْنُ سَرَى طَيْفٍ مَنْ أَهْوَى فَارْقَى
يَا لَا تَمِي فِي أَهْوَى الْغُدْرِي مَعْدِرَةً
عَذَّتْكَ حَالِي لَا سَرِي بِمُسْتَبِيرٍ
مَعْضُفِي النَّصِيحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِلَّيَّ أَتَهَمْتُ لَصِيحِ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ
فَإِنْ أَتَارِقِي بِالسُّوءِ مَا أَتَعَطَّتْ
وَلَا أَعْدَتُ مِنَ الْفَعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَلَيْ مَا أَوْقَرُهُ
مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَائِبِهَا
فَلَا تُزِمِ الْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَاهَا
وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهَمَلَتْ شَبَّ عَلَى
فَاصْرَفَ هَوَاهَا وَحَادِرَ أَنْ تُؤَلِّقَهُ
وَرَاعِيهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
كَسَمَ حَسَنَتِ لَسَدَةٍ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةٌ
وَالْحَشَّ الدَّسَالَسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
وَأَسْتَفْرِغِ الدَّمَغَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ
وَحَالِفِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَاعْصِيهِمَا

مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ ثِقَلِ بَدَمٍ
وَأَوْمَضَ السَّرِقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفَقَ بِهِمْ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ
وَلَا أَرَقْتَ لِلذِّكْرِ الْبَيَانِ وَالْعَلَمِ
بِهِ عَلَيْكَ عَذُولُ الدَّمَغِ وَالسَّقَمِ
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى غَدَائِكَ وَالْعَتَمِ
وَالْحُبِّ يَغْرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
مَنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَلْصَقْتُ لَمْ تَلَمِ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَانِي بِمُنْسَجِمِ
إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعَذَلِ فِي صَمِّ
وَالشَّيْبِ أَبْعَدُ فِي نَصِيحٍ عَنِ التَّهْمِ
مِنْ جَهْلِهَا بِتَنْذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
ضَيْفُ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرُ مُخْتَصِمِ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكُتَمِ
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ
إِنَّ الطَّعَامَ يَقْوِي شَهْوَةَ التَّهْمِ
حُبُّ الرُّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّعَتْهُ يَنْفَطِمِ
إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُضْمِ أَوْ يَصِمِ
وَأَنْ هِيَ اسْتَعَلَّتِ الْمَرْغَى فَلَا تُسَمِ
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَنْذِرْ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
قَرُبٌ مَخْمَصَةٌ شَرٌّ مِنَ التَّخَمِ
مِنْ الْغَارِمِ وَالزَّمِّ حَمِيَّةُ السُّدَمِ
وَأَنْ هُمَا مَخْضَاكُ النَّصِيحِ فَاتَّهَمِ

وَلَا تُطِغْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلَا حَكْماً
اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بِإِلَا عَمَلٍ
أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا انْقَمَرْتُ بِهِ
وَلَا تَزُوْدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً
ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْبَبَ الظُّلَامَ إِلَى
وَشِدِّ مَنْ سَعَبَ أَحْشَاءُهُ وَطَوَى
وَرَاوَدْتُهُ الْجِبَالَ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَكْمَدْتُ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَةً
وَكَيْفَ نَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةً مَنْ

فَالَيْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْحَصْنِ وَالْحَكَمِ
لَقَدْ كَسَبْتُ بِهِ كَسَالاً لَدَى عَقَمِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ لِمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقَمِ
وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَيْسُزِي وَلَمْ أَصِمِ
إِنْ اشْعَكْتُ قَدَمَاهُ الضَّرْمُ مِنْ وَرَمِ
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحاً مُتَرَفِ الْأَدَمِ
عَنْ لَفْسِهِ فَاَرَاهَا أَيُّهَا شَمِّ
إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعَصَمِ
لَوْلَا لَمْ تُخْرِجِ الدُّنْيَا مِنَ الْقَدَمِ

نصوص نثرية

فصل في الكتابة (١)

النص الأول

ولولا الكتب المدونة والأخبار المخططة ، والحكم المخطوطة التي تُحصن الحساب وغير الحساب ، لبطل أكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفرغٌ إلى موضع استذكار . ولو تم ذلك لحرمنا أكثر النفع ، إذ كنا قد علمنا أن مقدار حفظ الناس لعواجل حاجاتهم وأوائلها ، لا يبلغ من ذلك مبلغاً مذكوراً ولا يُغني فيه غناء محموداً . ولو كُلف عامة من يطلب العلم ويصطنع الكتب ، ألا يزال حافظاً لفهرست كتبه لأعجزه ذلك ، ولكلف شططاً ، ولشغله ذلك عن كثير مما هو أولى به . وفهمك لمعاني كلام الناس ، ينقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجرداً ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومُعالمك والمعاون لك ، ما كان صياحاً صرفاً ، وصوتاً مصمّناً ونداءً خالصاً ، ولا يكون ذلك إلا وهو بعيدٌ من المفاهمة ، وعُطلٌ من الدلالة . فجعل اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلاً ، والكتاب للسنازح من الحاجات ، فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها : رفع الحواجب ، وكسر الأقفان ، ولي الشفاه وتحريك الأعناق ، وقبض جِلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوى

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٤٧-٥٤ .

بثوبٍ على مقطع جبل ، تجاه عين الناظر ، ثم ينقطع عملها ويُدرس أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعد كل شيء فضل عن انتهاء مدى الصوت ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوط والكتب . فأَيُّ نفع أعظم ، وأَيُّ مرفق أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !! وليس للعقد حظ الإشارة في بُعد الغاية .

فضل القلم

فلذلك وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع ، ونوّه بذكره في المنصب الشريف حين قال : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ ، فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط القلم ، إذ كان اللسان لا يعاطي شأوه ، ولا يُشقُّ غباره ولا يجري في حليته ، ولا يتكلف (بُعْد) غايته . لكن لما أن تانات حاجات الناس بالحضرة ^(١) أكثر من حاجتهم في سائر الأماكن ، وكانت الحاجة إلى بيان اللسان حاجة دائمة واکدة ، وراهنّة ثابتة ، وكانت الحاجة إلى بيان القلم أمراً يكون في الغيبة وعند النابذة ، إلّا ما خصّصت به الدواوين ، فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك قدّموا اللسان على القلم فاللسان الآن إنما هو من منافع اليد ^(٢) والمرافق التي فيها ، والحاجات التي تبلغها .

فضل اليد

فمن ذلك حظها وقسطها من منافع الإشارة ، ثم نصيبها في تقويم القلم ، ثم حظها ^(٣) في التصوير ، ثم حظها في الصناعات ، ثم حظها في العقد ، ثم حظها في الدفع عن النفس ، ثم حظها في إيصال الطعام والشراب إلى الفم ، ثم التوضؤ

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البداية .

(٢) في ل «إنما يوفى منافع اليد» .

(٣) هذه الكلمة ومكرراتها هي في ط : «خطها» وهو تصحيف أصلح من ل .

والامتساح^(١) ، استقاء الدنانير والدراهم ولبس الثياب ، وفي الدفع عن النفس ، وأصناف الرمي ، وأصناف الضرب ، وأصناف الطعن ، ثم التقر بالعود وتحريك الوتر ، ولولا ذلك لبطل الضرب كله أو عامته . وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضرب الطبل والدف ، وتحريك الصفقتين^(٢) ، وتحريك محارق حروق المزمار ، وما في ذلك من الإطلاق والحبس . ولو لم يكن في اليد إلا إمساك العنان والزمام والخطام ، لكان من أعظم الحفظ .

وقد اضطررنا في الحكم بين العقد والإشارة ، ولولا أن مؤلفنا في هذا الكتاب سوى هذا الباب ، لقد كان هذا مما أحب أن يعرفه إخواننا وخططانا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ، إلا بعد الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كتي ، من طريق فضل^(٣) ما بين العقد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ بينهما ، وإنما قصدنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

فضل الكتاب

والكتاب هو الذي يؤدي إلى الناس كتب الدين^(٤) ، وحساب الدواوين مع حفة نقله ، وصغر حجمه ، صامت ما أسكتضه ، وبلغ ما استنطقته . ومن لك بمسامر لا يتديك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ، ولا يحوجك إلى التجمل له والتدئم منه . ومن لك بزائر إن شئت جعل زيارته غباً ، ووروده حمساً ، وإن شئت لزمك لزوم ظلك ، وكان منك مكان بعضك .

(١) في ط : « والتمسح » .

(٢) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التي يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية : قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

(٣) كذا . ولعلها « فصل » .

(٤) في ل : « كتب علم الدين » .

والقلم مكتفٍ بنفسه ، لا يحتاج إلى ما عند غيره ، ولا بدُّ لبيان اللسان من أمور: منها إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك ^(١) ، محاصُّ الخاصِّ إذا كان أخصُّ الخاصِّ قد يدخُل في باب العامِّ ، إلا أنه أدنى طبقاته ، وليس يكتفي محاصُّ (الخاص) باللفظ عمَّا أدَّاه ، كما اكتفى عامُّ العامِّ والطبقاتُ التي بينه وبين أخصُّ الخاصِّ .

والكتابُ هو الجليس الذي لا يُطريك ، والصديق الذي لا يغبرك ، والرفيق الذي لا يملك ، والمستميج الذي لا يستريئك ^(٢) ، والجار الذي لا يَسْتَبْطِيك ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعمالك بالمكر ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يَحْتَالُ لك بالكذب . والكتابُ هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك ، وشحذَ طباعك ، وبسطَ لسانك ، وجوّدَ بنائك ، وفنّحَ ألفاظك ، وبجّجَ ^(٣) نفسك ، وعَمَّرَ صدرك ، ومنحك تعظيمَ العوامِّ وصداقةَ الملوك ، وعرفتَ به في شهر ، ما لا تعرفه في أفواه الرجال في دهر ، مع السلامة من الغرم ، ومن كدَّ الطلب ، ومن الوقوفِ ببابِ المكتسبِ بالتعليم ، ومن الجلوسِ بين يدي من أنت أفضلُ منه خُلُقاً ، وأكرمُ منه عِرْقاً ، ومع السلامة من مجالسته البغضاء ومقارنة الأغبياء . والكتابُ هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر ، ولا يعتلُّ بنوم ، ولا يعتريه كلالُ السَّهرِ . وهو المعلمُ الذي إن افتقرتَ إليه لم يحفرك ، وإن قطعت عنه المادّة لم يقطع عنك الفائدة ، وإن عَزَلْتَ لم يدعْ طاعتك ، وإن هَبَّتْ ريحُ أعاديك لم ينقلب عليك ، ومتى كنتَ منه متعلّقاً بسبب أو معتصماً بأدنى حبل ، كان لك فيه غنى من

(١) في ل : «كتب علم الدين» .

(٢) المستميج : طالب العرف . واسترائه : استبطاه . وفي ط : «يستريك» . وفي ل : «يستريك» .
وهما تحريف ما أثبت .

(٣) البجج محرّكة : الفرح ، وبجج به كفرح ، وبججه تجيحاً فتبجج : أي أفرحته وفرح .

غيره ، ولم تضطرك (معه) وحشة الوحدة إلى جليس سوء . ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانه إليك ، إلا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر إلى المارة بك ، مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ، ومن فضول النظر ، من عادة الخوض فيما لا يعنيك ^(١) ، ومن ملابس صغار الناس ، وحضور ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ، وجهالاتهم المدمومة ، لكان في ذلك السلامة ، ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل ، مع استفادة الفرع . ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخف المُنى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، ولك ما أشبه اللعب ، لقد كان على صاحبه أسبغ النعمة وأعظم المنّة .

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ هارهم ، وأصحاب الفكاهات ساعات ليلهم ، الكتاب . وهو الشيء الذي لا يرى لهم فيه مع النيل أثر في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروءة ، ولا في صون عرض ، ولا في إصلاح دين ، ولا في تسمير مال ، ولا في ربّ صنعة ^(٢) و في ابتداء إنعام .

أقوال لبعض العلماء في فضل الكتاب

وقال أبو عبيدة ، قال المهلب لبيه في وصيته : يا بني لا تقوموا في الأسواق إلا على زرادٍ أو وراقٍ ^(٣) .

وحدثني صديق لي قال : قرأتُ على شيخٍ شاميٍّ كتاباً فيه مآثر غطفان فقال : ذهب المكارم إلا من الكتب .

(١) يدل هذه الجملة في ط «ومن عادة الحرص» .

(٢) رب الصنعة : تعهدها .

(٣) الزراد : صانع الدروع ، والمهلب يوصي بفيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤي ^(١) يقول : غُبرت أربعين عاماً ما قلت ولا بثُ ولا
انكأْتُ إلا والكتاب موضوعٌ على صدري ^(٢) .

وقال ابن الجهم : إذ غشيَّني النعاس في غير وقت نوم — وبس الشيء
النوم الفاضل ^(٣) عن الحاجة — قال : فإذا اعتراني ذلك تناولت كتاباً من كتب
الحكم ، فأجد اهتزازي للفوائد ، والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة ،
والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعزّ التبيين أشدَّ إيقاظاً من هيق الحمير
وهذه المذم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستحدثته ، ورجوتُ منه الفائدة
ورأيتُ ذلك فيه — فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظرُكم بقي من ورقه خافّة
استنفاده ، وانقطاع المادّة من قلبه ، وإن كان المصحفُ عظيم الحجم كثير الورق ،
كثير العدد — فقد تمّ عيشي وكُمّلَ سروري .

وذكر العتيبي ^(٤) كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرة ورقه لنسخته . فقال ابن

^(١) والحسن هذا هو ابن زياد اللؤلؤي الكوفي ، قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع
منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأي ، وله عدة كتب في الفقه . الجاحظ في البيان ٢ : ٢٣٠ ، ٣ :
٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤي كان في بعض الليالي بالرقعة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ
نفس المأمون ، فقال له اللؤلؤ : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينيه وقال : سوقي والله !
خذ يا غلام بيده ١١ .

^(٢) إشسارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغُبرت : مكثت . وقال يقيّل : نام
وقت الظهيرة .

^(٣) في ط : « الفاصل » والصواب ما في ل .

^(٤) وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي القرطبي
الأندلسي ، وكان قاضياً وتوفي سنة ٢٥٤ هـ .. وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتيبي أبو نصر ،
مؤرخ من الكتاب الشعراء ، أصله من الري ونشأ في خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه =

الجهنم : لكنني ما رغبني فيه إلا الذي زهدك فيه : وما قرأتُ قطُ كتاباً فأخجلاني من فائدة ، وما أحصي كما قرأتُ من صغار الكتب فخرجتُ منها كما دخلت .

وقال العتيبي ذات يوم لابن جهنم : ألا تتعجبُ من فلان ! انظر في كتاب الإقليدس مع جارية سلمويه ^(١) في يوم واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة على أنه حُرٌّ مخيّرٌ ، وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرصُ على قراءة الكتاب من سلمويه على تعلم جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظنُّ أنه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ١١ قال العتيبي : وكيف ظننت به هذا الظنُّ ، وهو رجلٌ ذو لسان وأدب ؟ قال : لأني سمعته يقول لابنه : كم أنفقت على كتاب كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال ^(٢)] : إنما رغبني في العلم أني ظننت أني أنفق عليه قليلاً وأكتسب كثيراً ، فأما إذا صرتُ أنفق الكثير ، وليس في يدي إلا المواعيدُ ، فإنني لا أريدُ العلم بشيء ١١ .

= رئاسة الإنشاء في خراسان والعراق وتوفي سنة ٤٢٧ . وثالثهم هذا الذي يعنيه الجاحظ وهو محمد بن عبد الله من بني عتبة بن أبي سفیان . أديب كثير الأخبار ، لسه شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها «أشعار النساء الثلاثي أحبين ثم أبغضن» و«الأخلاق» و«الخیل» . «كان العتيبي وأبوه سيديين أديبين فصيحين» وانظر حواشي البيان ٢ : ١٨٢ .

^(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لما مات سلمويه قال «سألق به ، لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي» وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث لسه منها حسن الرأي والنظر في العواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه ، وتوفي سنة ٢٢٥ .

^(٢) حرف يستقيم به الكلام .

لا يذكر لهذا اليوم اسماً ، ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله في الشهر والسنة ، بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتاً بعينه ، وإنما يقرب ذلك تقريباً .

وأكبر ظنه أن هذا الوقت كان يقع من ذلك اليوم في فجره أو في عشائه . ويُرجح ذلك لأنه يذكر أن وجهه تلقى في ذلك الوقت هواءً فيه شيء من البرد الخفيف الذي لم تذهب به حرارة الشمس . ويُرجح ذلك لأنه على جهله حقيقة النور والظلمة ، يكاد يذكر أنه تلقى حينَ خرجَ من البيت نوراً هادئاً وخفيفاً لطيفاً كأنَّ الظلمة تغطي ^(١) بعض حواشيه . ثم يرجح ذلك لأنه يكاد يذكر أنه حين تلقى هذا الهواء وهذا الضياء لم يونس ^(٢) من حوله حركة يقظة ، وإنما آنسَ حركة مستيقظة من نوم أو مقبلة عليه . وإذا كان قد بقي له من هذا الوقت ذكرى واضحة بيّنة لا سبيل إلى الشك فيها ، فلأنما هي ذكرى هذا السياج ^(٣) الذي كان يقوم أمامه من القصب ^(٤) ، والذي لم يكن بينه وبين باب الدار إلا خطوات قصار . وهو يذكر هذا السياج كأنه رآه أمس . يذكر أن قصبَ هذا السياج كان أطول من قامته ، فكان من العسير عليه أن يتخطاه إلى ما وراءه . ويذكر أن قصب هذا السياج كان مقترباً كأنما

(١) تغطي : تغطي .

(٢) آنس : أبصر .

(٣) السياج : ما يحيط بالشيء من خشب أو حديد أو شجر أو بناء .

(٤) القصب هنا : ضرب من النبات ذو كعوب جوفاء ، كانت تتخذ منه الأقلام ، ينبت على شواطئ

الأنهر والترع .

كان متلاصقاً ، فلم يكن يستطيع أن ينسل^(١) في ثيابه . ويذكر أن قصب هذا السياج كان يمتد من شماله إلى حيث لا يعلم له نهاية ، وكان يمتد من يمينه إلى آخر الدنيا من هذه الناحية . وكان آخر الدنيا من هذه الناحية قريباً ، فقد كانت تنتهي إلى قناة عَرَفَهَا حين تقدّمت به السنُّ ، وكان لها في حياته — أو قل في خيالِه — تأثير عظيم .

يذكر أن هذا كله ، ويذكر أنه كان يحسد الأرناب التي كانت تخرج من الدار كما يخرج منها ، وتتخطى السياج وثباً من فوقه ، أو انسياً^(٢) بين قصبه ، إلى حيث تقرض^(٣) ما كان وراءه من نبت أخضر ، يذكر منه الكرنب خاصة . ثم يذكر أنه كان يحب الخروج من الدار إذا غربت الشمس وتعشى الناس ، فيعتمد على قصب هذا السياج مفكراً مُفرقاً في التفكير ، حتى يردّه إلى ما حوله صوت الشاعر قد جلس على مسافة من شماله ، والتفّ حوله الناس وأخذ يُنشدهم في نغمة عذبة غريبة أخبار أبي زيد وخليفة ودياب . وهم سكوت إلا حين يستخفهم^(٤) الطرب أو تستفزهم الشهوة ، فيستعيدون ويتمارون^(٥) ويختصمون . ويسكت الشاعر حتى يفرغوا من لفظهم^(٦) بعد وقت قصير أو طويل . ثم يستأن إنشاده العذب بنغمته التي لا تكاد تتغير .

ثم يذكر أنه لا يخرج ليلة إلى موقفه من السياج إلا وفي نفسه حسرة

(١) ينسل هنا : ينفذ . وإثناء الشيء : تضاعيفه . الواحد ثني ، بالكسر .

(٢) الوثب : القفز . والانسياح هنا : الدخول .

(٣) تقرض : تقطع .

(٤) استخفهم الأمر : أطربه وحمله على الخفة والجهل . واستفزه : استخفه .

(٥) يتمارون : يتجادلون .

(٦) اللفظ : الصوت والجملة .

لاذعة^(١) ، لأنه كان يُقدَّر أن سيقطع عليه استماعه لنشيد الشاعر حين تدعوه أخته إلى الدخول فيأبى . فتخرج فتشده من ثوبه فيمتنع عليها ، فتحمله بين ذراعيها كأنه الثمامة^(٢) . وتعدو^(٣) به إلى حيث تُنيمه على الأرض وتضع رأسه على فخذ أمه ثم تُعمد^(٤) هذه إلى عينيهِ المظلمتين فتفتحهما واحدة بعد الأخرى ، وتقطرُ فيها سائلاً يؤذيه ولا يجدي عليه خيراً^(٥) ، وهو يألم ولكنه لا يشكو ولا يبكي ، لأنه كان يكره أن يكونَ كأخته الصغيرة بكاءً شكاءً^(٦) .

ثم يُنقلُ إلى زاوية في حجرة صغيرة فتُنيمه أخته على حصيرة قد بُسطَ عليها لحافٌ ، وتلقي عليه لحافاً آخر ، وتُدْبرُهُ وإن في نفسه لحسرات ، وإنه ليمدُّ سمعه مداً يكادُ يخترق به الحائط لعله يستطيع أن يصله هذه النغمات الحلوة التي يُرددها الشاعر في الهواء الطلق تحت السماء . ثم يأخذه النوم ، فما يُحسُّ إلا وقد استيقظ والناس نيامٌ ، ومن إخوته وأخواته يغطُّون^(٧) فيسرفون في الغطيط ، فيلقي اللحاف عن وجهه في خفية وتردد ، لأنه كان يكره أن ينامَ مكشوفَ الوجه . وكان واثقاً أنه إن كشفَ وجهه أثناء الليل أو أخرجَ أحدَ أطرافه من اللحاف ، فلا بدَّ من أن يعثَّ عفريتٌ من العفاريات الكثيرة التي كانت تُعمُرُ أقطارَ البيت^(٨) وتملأ أرجاءه ونواحيه ، والتي كانت تمبسطُ تحت الأرض ما أضاءت الشمس واضطربَ الناس . فإذا أوتِ الشمس إلى

(١) حسرة : تلهف ، ولاذعة : شديدة مؤلمة .

(٢) الثمام : نبت ضعيف شبيه بالخوص ، يضرب به المثل لما هو هين المتناول .

(٣) تعدو : تجري .

(٤) تعمد : تقصد .

(٥) لا يجدي عليه خيراً : لا يحدث له خيراً ولا ينيله .

(٦) بكاء شكاء : كثير البكاء والشكوى .

(٧) غط النائم : شخّر وتردد ونفسه صاعداً إلى خلقه حتى يسمعه من حوله .

(٨) أقطار البيت : نواحيه .

كفها ، والناس في مضاجعهم ، وأطفئت السرج ، وهذأت الأصوات ، صعدت هذه العفاريث من تحت الأرض وملأت الفضاء حركة واضطراباً وهامساً وصياحاً .

وكان كثيراً ما يستيقظ فيسمع تجاوب الديكة وتصايح الدجاج ، ويجتهد في أن يميز بين هذه الأصوات المختلفة . فأما بعضها فكانت أصوات دبكة حقاً ، وأما بعضها الآخر فكانت أصوات عفاريث تتشكل بأشكال الديكة وتقلدها عبثاً وكيداً . ولم يكن يحفل بهذه الأصوات ولا يهابها ، لأنها كانت تصل إليه من بعيد ، إنما كان يخاف الخسوف كله أصواتاً أخرى لم يكن يتبينها إلا بمشقة وجهه . كانت تبعث من زوايا الحجرة خيفة ضئيلة ، يمثل بعضها أزيز المرحل ^(١) يغلي على النار ، ويمثل بعضها الآخر حركة متاع تخفيف يُنقل من مكان إلى مكان ، ويمثل بعضها خشباً ينقسم أو عوداً ينحطم ^(٢) .

وكان يخاف أشد الخوف أشخاصاً يمثّلها قد وقفت على باب الحجرة فسدت سداً وأخذت تأتي بحركات مختلفة أشبه شيء بحركات المتصوفة في حلقات الذكر . وكان يعتقد أن ليس له حصن من كل هذه الأشباح المخوفة والأصوات المنكرة ، إلا أن يلتفت في لحافه من الرأس إلى القدم ، دون أن يدع بينه وبين الهواء منفذاً أو ثغرة . وكان واثقاً أنه إن ترك ثغرة في لحافه فلا بد من أن تمتد منها يد عفريت إلى جسمه فتأله بالغمز والعبت .

لذلك كان يقضي ليله نحائفاً مضطرباً إلا حين يغلبه النوم ، وما كان يغلبه النوم إلا قليلاً . كان يستيقظ مبكراً ، أو قل كان يستيقظ في السحر ، ويقضي شطراً من الليل في هذه الأهوال والأوجال ^(٣) والخوف من العفاريث ، حتى إذا وصلت إلى سمعه

(١) المرحل : القدر ، وأزيره : صوته .

(٢) ينقسم وينحطم : ينكسر .

(٣) الأوجال : مخاوف .

أصواتُ النساءِ يُعَدْنَ إلى بيوتهنَّ وقد ملأنَّ جِرارهنَّ من القنّاءِ وهنَّ يتغنّينَّ «الله يا ليل
الله ...» عرفَ أن قد بَزَغَ الفجرُ ، وأن قد هَبَطَتِ العفّاريتُ إلى مستقرّها من
الأرضِ السُّفلى ، فاستحالَ هو عفريتاً . وأخذ يتحدّثُ إلى نفسه بصوتٍ عالٍ .
ويتغنّى بما حَفِظَ من نَشِيدِ الشّاعِرِ ، ويغمزُ مَنْ حوَلَه من إخوانِه وأخواتِه ، حتّى
يوقظُهم واحداً واحداً . فإذا تمَّ له ذلك ، فهناك الصّياحُ والغناء . وهناك الضّجيجُ
والعجيجُ ^(١) ، وهناك الصّوضاء التي لم يكن يضعُ لها حدّاً إلا نُهوضُ الشّيخ من
سريره ، ودُعاؤه بالإبريق ليتوضّأ .

حينئذٍ تخفّتُ ^(٢) الأصوات وتهدأ الحركة ، حتّى يتوضّأ الشّيخ ويصلي ويقرأ ورّده
ويشربَ قهوته ويمضي إلى عمله . فإذا أغلقَ الباب دونه هضت الجماعةُ كلّها من
الفراش . وانسابت ^(٣) في البيت صائحة لاعبة . حتّى تختلط بما في البيت من طيرٍ
وماشية .

(١) الضجيج والعجيج : الصياح ورفع الصوت .

(٢) تخفّت الأصوات : تسكن أو تضعف .

(٣) انسابت : جرت .

ابن المقفع

كليلة ودمنة

مقدمة الكتاب

قدّمها مهنود بن سحوان ويُعرف بعليّ بن الشّاهِ الفارسي .

ذَكَرَ فِيهَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمِلَ بِيَدِهَا الْفِيلَسُوفُ الْهِنْدِيُّ رَأْسُ الْبِرَاهِمَةِ لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَهُ الَّذِي سَمَّاهُ كُلَيْلَةً وَدِمْنَةً ، وَجَعَلَهُ عَلَى أَلْسِنِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ صَيَانَةً لِعَرَضِهِ مِنَ الْعَوَامِّ ، وَضَمَّنَا بِمَا ضَمَّنَتْهُ عَنِ الطَّغَامِ ، وَتَنْزِيهَاً لِلْحِكْمَةِ وَفُنُونِهَا ، وَمَحَاسِنِهَا وَعُيُونِهَا ، إِذْ هِيَ لِلْفِيلَسُوفِ مَنْدُوحَةٌ ، وَلِخَاطِرِهِ مَفْتُوحَةٌ ، وَلِمُحِبِّيْهَا تَنْقِيفٌ ، وَلِطَالِبِيهَا تَشْرِيفٌ .

وَذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أُنْفِذَ كَسْرِي أَنْوَشِرَاوُنُ بْنُ قُبَادِ بْنِ فَرْوَزَ مَلِكُ الْفُرسِ بِرَزَوِيهِ رَأْسَ الْأَطْبَاءِ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ لِأَجْلِ كِتَابِ كُلَيْلَةٍ وَدِمْنَةٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَلَطُّفِ بَرَزَوِيهِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْهِنْدِ ، حَتَّى حَضَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ الَّذِي اسْتَنْسَخَهُ لَهُ سِرّاً مِنْ خِزَانَةِ الْمَلِكِ لَيْلاً ، مَعَ مَا وَجَدَ مِنْ كُتُبِ عُلَمَاءِ الْهِنْدِ .

وَقَدْ ذَكَرَ الَّذِي كَانَ مِنْ بَعَثِهِ بَرَزَوِيهِ إِلَى مَمْلَكَةِ الْهِنْدِ لِأَجْلِ نَقْلِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَذَكَرَ فِيهَا مَا يَلْزَمُ مَطَالَعَهُ مِنْ إِتْقَانِ قِرَاءَتِهِ وَالْقِيَامِ بِدِرَاسَتِهِ وَالتَّنَظُّرِ إِلَى بَاطِنِ كَلَامِهِ ، وَأَنَّهُ إِنْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى الْغَايَةِ مِنْهُ .

وذكرَ فيها حضورَ برزويه وقراءة الكتابِ جَهراً . وقد ذكرَ السَّببَ الذي من أجله وضعَ بُزْرُ جَمَهُرُ باباً مفرداً يُسمَّى بابُ برزويه المُتَطَبِّبِ ، وذكرَ فيه شأنَ برزويه من أوَّلِ أمرِهِ وأوَّلِ مولِدِهِ إلى أن بَلَغَ الثَّادِيَّ ، وأحبَّ الحِكْمَةَ واعتَبَرَ في أقسامِها وجَعَلَهُ قَبْلَ بابِ الأسدِ والثورِ الذي هو أوَّلُ الكتابِ .

قال عليُّ بنُ الشَّاهِ الفارسيّ : كانَ السَّبَبُ الذي من أجله وَضَعَ بيديها الفيلسوفُ لَدَبْشَلِيمُ ملكُ الهِنْدِ كتابَ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ ، أن الإسكندرَ ذا القرنينَ الرُّومِيَّ لما فرَغَ من أمرِ الملوكِ الذين كانوا بناحيةَ المَغربِ ، سارَ يُريدُ مُلوكَ المَشرِقِ من الفُرسِ وغيرِهِم ، فلم يَزَلْ يُحَارِبُ من نازَعِهِ وَيُواقِعُ من واقِعِهِ ، ويسالُ من وادَعِهِ من ملوكِ الفُرسِ ، وهم الطَّبَقَةُ الأولى ، حتَّى ظَهَرَ عليهم وقَهَرَ مَنْ نَازَعَهُ وَتَغَلَّبَ على من حارَبَهُ ، ففترَقُوا طَرِائِقَ وَتَمَزَّقُوا خِرائِقَ . فتوجَّهَ بالجنودِ نحو بلادِ الصِّينِ ، فبدأ في طَريقِهِ بملكِ الهِنْدِ لِيَدْعُوهُ إلى طاعَتِهِ والدُّخُولِ في مِلَّتِهِ وولائَتِهِ .

وكانَ على الهِنْدِ في ذلك الزَّمانِ ملكٌ ذو سَطوَةٍ وبأسٍ وقُوَّةٍ ومَراسٍ ، يُقالُ لَهُ فور . فلَمَّا بَلَغَهُ إقبالُ ذي القرنينَ نَحَوَهُ تَأَهَّبَ لِمُحارَبَتِهِ ، واستَعَدَّ لِمُحاذَظَتِهِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطرافَهُ ، وَجَدَّ في التَّأَلُّبِ عَلَيْهِ ، وَجَمَعَ لَهُ العُدَّةَ في أسرعِ مَدَّةٍ من الفِيلَةِ المُعَدَّةِ لِلحُرْبِ ، والسَّيِّاحِ المُضْطَّرَةِ بالوُثُوبِ ، مع الخيولِ المُسَرَّجَةِ والسُّيُوفِ القَوَاطِعِ ، والحِرَابِ اللُّوَاعِ .

فلَمَّا قَرَّبَ ذو القرنينَ من فورِ الهِنْدِيِّ وَبَلَغَهُ ما قد أعدَّ لَهُ من الخيلِ الَّتِي كانَها قَطِيعُ اللَّيْلِ مِمَّا لَمْ يَلْقَهُ بِمِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الملوكِ الذين كانوا في الأقاليمِ ، تَخَوَّفَ ذو القرنينَ من تقصيرِ يَقَعِ بِهِ إنَّ عَجَلَ المِبارَزَةِ .

وكانَ ذو القرنينَ رَجُلًا ذا حِيلٍ ومَكائِدَ ، مع حُسْنِ تَدبِيرٍ وَتَجَرِبَةٍ ، فرأى إعمالَ الحِيلَةِ وَالتَّمْهِلِ ، واحتَفَرَ خندقاً حَولَ عَسْكَرِهِ ، وأقامَ بِمَكَانِهِ لاسْتِنْباطِ الحِيلَةِ وَالتَّدبِيرِ لِأَمْرِهِ ، وكانَ يَنْبَغِي لَهُ أن يُقَدِّمَ على الإيقاعِ بِهِ . فاستَدْعَى بِالْمُنْجِمِينَ ، وأمرَ

بالاختيار ليوم موافق تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه . فاشتغلوا بذلك .

وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة إلا أخذ الصناعات المشهورين صناعاتها بالحدق من كل صنف . فانتخبت له همتته ودلته فطنته أن يتقدم إلى الصناعات الذين معه في أن يصنعوا خيلاً من تحت محوفاً ، عليها تمثيل من الرجال ، على بكر تجري ، إذا دفعت مرصت سراعاً . وأمر إذا فرغوا منها أن تحشى أجوافها بالنفط والكبريت ، وتلبس وتقدم أمام الصف في القلب . ووقت يلتقي الجمعان تضرم فيها النيران ، فإن الفيلة إذا لفت خراطيمها على الفرسان وهي حامية ، ولت هاربة ، وأوعز إلى الصناعات بالتشمير والانكماش والفراغ منها ، فجدوا في ذلك وعجلوا . وقرب أيضاً وقت اختيار المنحمن ، فأعاد ذو القرنين رسله إلى فور بما يدعو إليه من طاعته والإذعان لدولته . فأجاب جواباً مضمراً على مخالفته ، مقيم على محاربتة .

فلما رأى ذو القرنين عزيمته سار إليه بأهبطه ، وقدم فور الفيلة أمامه ، ودفعت الرجال تلك الخيل وتمثيل الفرسان ، فأقبلت الفيلة نحوها ، ولقت خراطيمها عليها ، فلما أحسست بالحرارة ألقت من كان عليها ، وداستهم تحت أرجلها ، ومضت مهزومة هاربة ، لا تلوي على شيء ولا تمر بأحد إلا وطئته . وتقطع فور وجمعه ، وتبعهم أصحاب الإسكندر ، وأنحنوا فيهم الجراح ، وصاح الإسكندر : يا ملك الهند ابرز إلينا ، وأبق على عذتك وعيالك ، ولا تحملهم على الفناء . فإنه ليس من المروءة أن يرمي الملك بعذته في المهالك المتلفة والمواضع المححفة ، بل بقيهم بماله ويدفع عنهم بنفسه . فابرز إلي ودع الجند ، فأثنا قهر صاحبه فهو الأسعد ، فلما سمع فور من ذي القرنين ذلك الكلام دعت نفسه لملاقاته طمعاً فيه ، وظن ذلك فرصة ، فبرز إليه الإسكندر فتجاوزا على ظهري فرسيهما ساعات من النهار ليس يلقي أحدهما من

صاحبه فرصة ، ولم يزالا يتعاركان فلما أعيا الإسكندر أمره ولم يجد له فرصة ولا حيلة أمر ذو القرنين في عسكره صبيحة عظيمة ارتجت لها الأرض والعساكر ، فالتفت فوراً عندما سمع الرعدة ، وظننها مكيدة في عسكره ، فعاجله ذو القرنين بضربة أمالته عن سرجه ، وثنى بأخرى ، فوقع على الأرض .

فلما رأت الهند ما نزل بهم ، وما صار إليه ملكهم ، حملوا على الإسكندر فقاتلوه قتالاً أحيوا معه الموت ، فوعدهم من نفسه الإحسان ، ومنحه الله أكتافهم ، فاستولى على بلادها وملك عليها رجلاً من ثقاته ، وأقام بالهند حتى استوثق مما أراد من أمرهم وأتفاق كلمتهم ، ثم انصرف عن البلاد وخلف ذلك الرجل عليهم . ومضى متوجهاً نحو ما قصد له .

فلما بعد ذو القرنين عن الهند انجوشه تغرب الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خلفه عليهم ، وقالوا ليس يصلح للسياسة ولا ترضى الخاصة والعامة أن يملكوا عليهم رجلاً ليس هو منهم ولا من أهل بيوتهم . فلما لا يزال يستدلهم ويستقتلهم .

واجتمعوا يملكون عليهم رجلاً من أولاد ملوكهم ، فملكوا عليهم ملكاً يقال له ديشليم ، وخلقوا الذي كان خلفه عليهم الإسكندر ، فلما استوسق له الأمر ، واستقر له الملك ، طغى وبغى وتكبر ، وجعل يغزو من حوله من الملوك ، وكان مع ذلك مؤيداً مظفراً منصوراً ، فهابته الرعية . فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة ، عبث بالرعية واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم . وكان لا ترتقي حاله إلا ازداد عتواً . فمكث على ذلك برهة من دهره .

وكان في زمانه فيلسوف من البراهمة ، فاضل حكيم ، يعرف بفضله ، ويرجع في الأمور إلى قوله ، يقال له بيدبا . فلما رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية ، فكر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه ، وردّه إلى العدل والإنصاف ، فجعل لذلك

تلاميذ ، وقال :

اتعلمون ما أريد أن أشاوركم فيه ؟ اعلّموا آلي أطلت الفكر في دَبشليم وما هو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشرّ ورداءة السيّرة وسوء العشرة مع الرعية ، ونحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك ، إلّا لتردّهم إلى فعل الخير ولزوم العدل . ومتى أغفلنا ذلك وأهملناه لزم وقوع المكر بنا . وبلوغ المحذورات إلينا ، إذ كنّا في أنفس الجهال أجهل منهم ، وفي الشيون عندهم أقلّ منهم . وليس الرأي عندي الجلاء عن الوطن .

ولا يسعنا في حكمتنا إبقاؤه على ما هو عليه من سوء السيّرة وقبح الطريقة ولا يمكننا مُحاهدته بغير السنتنا ، ولو ذهبنا إلى أن نستعين بغيرنا لم تنهنا لنا معاندته . وإن أحسّ مبتا بمخالفته وإنكارنا سوء سيرته كان في ذلك بوارنا . وقد تعلمون أن مُحاورّة السبع والكلب والحية والثور على طيب الوطن ونضارة العيش لغدر بالأنفس . وإن الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة إلى ما يحصن به نفسه من توازل المكروه وتواحي المحذور ، ويدفع المخوف لاستحلاب المحبوب . ولقد كنت أسمع أن فيلسوفا كتب لتلميذه يقول : إن مُحاورّ رجال السوء ومُصاحبهم كراكب البحر : إن سلّم من الغرق لم يسلم من المخاوف . فإذا هو أورد نفسه موارد الهلكات ومصادر المخوفات ، عدّ من الحمير التي لا نفس لها . لأن الحيوان البهيمة قد خصّصت في طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقى المكروه : وذلك أنّا لم نرها تُورد أنفسها مورداً فيه هلكتها . وألها متى أشرفت على موردٍ مُهلك لها ، مالت بطبيعتها التي رُكبت فيها — شحاً بأنفسها وصيانة لها — إلى التفور والتباعد عنه . وقد جمعتكم لهذا الأمر : لأنكم أسرى ومكان سري وموضع معرفتي ، وبكم اعتضد ، وعليكم اعتمد . فإن الوحيد في نفسه والمنفرد برأيه حيث كان فهو ضائع ولا ناصر له .

أيتها الأرض جبران خليل جبران

قال جبران يخاطب الأرض :

ما أجملك أيتها الأرض وما أهلك
ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس !
ما أظرفك متشحة بالظل وأملح وجهك مقنعاً بالدجى
ما أعذب أغاني فجرِكَ ! وما أهول ترانيم مسائك !
ما أكملك أيتها الأرض وما أسناك !

لقد سرت في سهولك ، وصعدت على جبالك ، وهبطت إلى أوديتك ،
وتسلقت صخورك ، ودخلت كهوفك ، فعرفت حلمك في السهل ، وأنفتك على
الجبل ، وهدوءك في الوادي ، وعزمك في الصخر ، وتكتمك في الكهف ، فأنت !
أنت المنبسطة بقوتها ، المتعالية بتواضعها ، المنخفضة بعلوها ، اللينة بصلابتها ،
الواضحة بأسرارها ومكوناتها .

لقد أيقظني ربيعك ، وسيرني إلى غاباتك حيث تتصاعد أنفاسك بخوراً ،
وأجلسني صيفك في حقولك حيث تتجهر جهودك أثماراً ، وأوقفني خريفك ، في
كرومك حيث يسيل دمك حمراً ، وقادني شتاؤك إلى جبالك حيث يتناثر طهرك ثلجاً
فأنت ، أنت العطرة بربيعها ، الجوادة بصيفها ، الفيضة بخريفها ، النقية بشتائها .
في الليلة الصافية قد فتحت نوافذ نفسي وأبوابها وخرجت إليك مثقلاً بمطامعي ،

مكبلاً بقيود أنانيتي ، فالفيتك شاحصة بالكواكب وهي تبسم لك فنزعت عني قيودي
وأثقالني ، وعلمت أن منزل النفس فضاؤك ، ورغائبها في رغائبك وسلامتها في سلامتك ،
وسعادتها في الغبار الذهبي الذي تنثره النجوم على جسديك .

في الليلة المبطنة بالغيوم — وقد مللت غفلتي وجهودي — خرجت إليك فوجدتك
جبارة هائلة مسلحة بالعاصفة ، تحاربين ماضيك بحاضرك ، وتصرعين قدميك بجميدك
وتبعثرين ضيئك بضليعك فعلمت أن نظام البشر نظامك ، وناموستهم ناموسك ،
وسئلتهم سئتك ، وأن من لا يصهر بأرياحه ما ييس من أغصانه يموت مللاً ، ومن لا
يمزق بثوراته ما يلي من أوراقه يفنى همولاً .

ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك .

نحن نكلم صدرك بالسيف والرماح ، وأنت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم .

نحن نزرع راحتك العظام والجماجم وأنت تستنبتها حواراً وصفصافاً .

نحن نستودعك الجيف ، وأنت تملئين بيادرنا بالأغمار ومعاصرنا بالعناقيد .

نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وأنت تتناولين عناصرنا
وتكوّنين منها الورد والزنايق .

ما أوسع صدرك أيتها الأرض وما أكثر تعطفك !



اللجنة العلمية

أ.د. مفي إلياس

أ.د. مزيد نعيم

أ.د. شوقي المعري

حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة

لمديرية الكتب والمطبوعات

Damascus University

